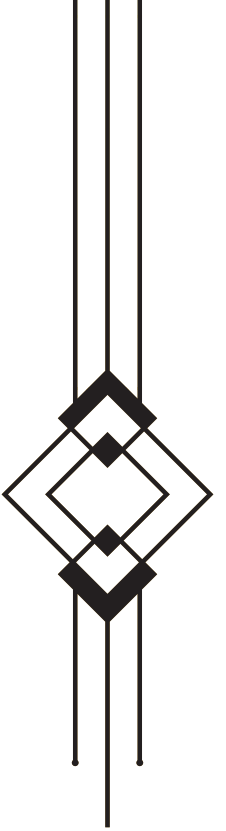

شيطاني الحارس

الكاتب: طارق إبراهيم

التدقيق اللغوي: أحمد إبراهيم

الإخراج الفني: ضياء فريد

تصميم الغلاف: محمد علي

رقم الإيداع: ٢٠٢٠/١٤٣١١

الترقيم الدولي: ٧-٤٩-٦٦٨٩-٩٧٧-٩٧٨

9 شارع مسجد المغفرة المتفرع من شارع العشرين
بجوارمدارس حسام الدين الخاصة فيصل الجيزة.

موبايل : 01126026691 01061813345

01009823984

طارق إبراهيم

رواية

شيطاني الحارس

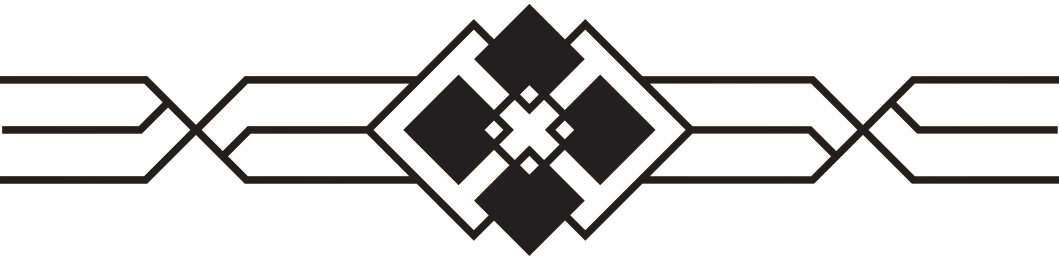

بسم الله الرحمن الرحيم

تنويه مهم

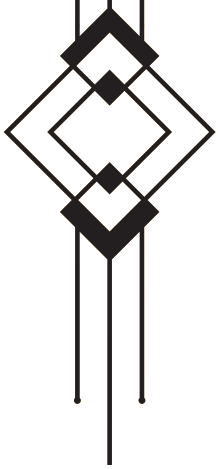

اتفق أهل العلم على أن ناقل وحاكي الكفر ليس بكافر، إلا أن يعتقد ما ينقله أو أن يقر بما يحكيه، لذا وجب علينا أن نطلع القارئ العزيز أن أخاكم كاتب هذه السطور لا يقر بكلمة مما سُيحكي خلال هذا العمل من معتقدات كُفرية، وإنما الاعتقاد هو عقيدة الإسلام والمسلمين، وفق ما ورد في كتاب الله وسنة رسوله، صلى الله عليه وآله وسلم.

المؤلف

الطريق إلى العصر الجديد

هذه المرة لن أكتب قصة، ولن أخلق شخصيات روائية وأحداثًا أمسك أطراف خيوطها بقلمي لأُدير حبكتها دراميًّا كيفما شئت، وإنما جئت إليكم بضيف يرجو ألا تتعجلوا في تصنيفه أو الحكم عليه سلبًا أو إيجابًا، إلا إذا شعرتم به حقًّا، ومن ثم تفاعلتم معه كونه إنسانًا في المقام الأول، وتصورتم حياته كما حياها هو ورأيتم ما قد رأى وما مر به.

والأهم من هذا كله أن تصغوا إليه وتنصتوا جيدًا، فإن كان كلامه معقولًا فبها ونعمت، وإن كان لا فكذبوه علانية لعله يملك ردًّا مقنعًا ودليلًا على ذلك الرأي الذي جاء به.

كما لا أخفيكم سرًّا أنني بذلت جهدًا شديدًا حتى أذن لي أن أحدثكم عنه، وجهدًا أشد حتى وافق أن يتحدث هو عن نفسه.

وها هو يخرج قلمه الفاخر بعد أن اشمأز من أن يمسك بقلمي الوضيع ويقص عليكم قصته.

شالوم.. هالو.. مساء الخير!

نزولًا على رغبة ساكن حارتنا وصديق طفولتي، الكاتب السكندري، سأحكي لكم مذكراتي الشخصية جدًّا، ومن شاء فليصدقني ومن أبى فله ذلك.

من أنا؟

اسمي ولي الله.

لعل البعض منكم قرأ قصة طفولتي[1] وعرف لماذا سميت بهذا الاسم النادر، والذي إن دل على مسمى، فإنما يدل على رجل من صالحي المسلمين، وهذا بالمناسبة أبعد ما أكون أنا عليه، بل لعلك تتفاجأ أني لست مسلمًا من الأصل، وإن كان لي دين سأكون يهوديًّا حسب تصنيف الكثير من الناس لنا، مع أننا لسنا بيهود.. وإن كنا ندين بدينهم في الظاهر، لنتمكن من تحريكهم.

فنحن فئة خاصة الخواص من اليهود، الذي استبدلنا التلمود مكان التوراة، وادَّعينا أن موسى أُوحِيَّ إليه بوحي شفهي غير الألواح، وهذا الوحي قد علمه موسى سبعين رجلًا، ونحن ورثة السبعين.

نحن النورانيون –أو كما يحلو للبعض أن يسمينا ماسون– نحن رؤساء اليهود وآباؤهم، وهم أدواتنا لتطبيق ما عملنا على غرزه فيهم دهورًا، وقد آن وقت حصاده هذا الأوان، والذي أسميناه بالعصر الجديد.

قد يتساءل **أحدكم:** وهل الجماعات السرية وعصرها الجديد تقدم نفسها بديلًا للدين على أنها عقيدة ومنهج حياة؟

حسنًا بما أنك قد سألت هذا السؤال، سأفترض أنك لم تقرأ قصة طفولتي، وكيف ولدت في بيت شيطان متجسد، وهذا الشيطان متجسد الآن على هيئته البشرية ويحمل جواز سفر، ويجلس بجواري في مقعد فاخر من مقاعد الدرجة الأولى على الطائرة التي أقلعت

---

(١) يمكن الاطلاع على الأحداث المقصودة في الجزء الأول للرواية والتي تحت اسم ولي الله اليهودي.

صوب باريس، لأجتمع أنا وألف شاب وفتاة قد تم استنساخنا من جينات أصلية من آل قابيل قاتل أخيه؛ لملاقاة المسؤول عنا، والملقب بالجد هرمس الميتاترون، لنبدأ الجانب التنفيذي من حياتنا العملية، ومهامنا المقدسة في تنوير البشرية، قبل أن نستلم زمام حكمهم تحت لواء الأب المسيا حور، أو كما تدعونه أنتم المسيح الدجال.

لكل منكم ملاكه الحارس، أما أنا فلي شيطاني الحارس، وها هو مسترخٍ في وداعة حمل بجواري في الطائرة.

هل سأل أحدكم نفسه قبل **ذلك:** هل ينام الشيطان؟

هل أنتم الآن تتحرون جوابًا أم تنتظرونه مني!

جوابي باختصار شديد أنه لو نام لصافحتكم الملائكة في الطرقات من فرط إيمانكم، لكن فقط جسده ينام دون روحه التي تسمعني الآن، وأنا أهمس لكم، لذا فقد بدأ يقاطعني ويشوش عليّ، قائلًا **بالعربية:** روبي! ما لك يا حبيبي بتفكر في إيه؟

فاتني أن أخبركم أن اسمي اليهودي هو رأوبين أو روبي كما يحلو لشيطاني أن يناديني به.

ـ بفكر في اللي جاي يا عم داوود!

ابتسم داوود (شيطاني الحارس) بخيلاء **حقيقي:** اللي جاي فيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.. أوشكت أن ترسي على شاطئ الحياة يا روبي.. اللي جاي فيه إنك تأمر فتطاع، ويكفيك إنك يُفتح لك عالم الأسرار المؤصدة، وتترقى بروحك وتصعد بها حتى تصير ربًّا، تقول للشيء كن فيكون، وحينئذٍ تسافر

بين النجوم، وتسكن الكواكب، ويسجد لك الكل محبة وإجلالًا.. حينها بتعرف إيه معنى إنك تكون أمير في مملكة آل قابيل المقدسة.

طربت آذاني لسماع تلك الكلمات من شيطاني، فأغمضت عيني وتذكرت قصصه التي طالما لقنني إياها منذ أن تحالف جدي الأكبر قابيل مع الملاك الساقط عزازيل أول من آمن بالرب لوسيفر حامل النور.

وكيف تمرد جدي (أزوريس.. الميتاترون) وانشق عن هذا التحالف، لكن ابنه حورس المسيا (المسيح الدجال) عاد للحِلْف بعد أن أطعمته الملكة ليليث من نصيبها في ثمرة الحياة، والتي كانت مهرها حين تزوجت من عزازيل.

وبسبب الثمرة صار حورس من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم[1].

جال في خاطري سؤال، تعجبت منه.. كيف لم يخطر على بالي قبلُ قط ألم يحدث أن تمرد أحدنا على تقاليد العائلة من قبل؟

فأجبت نفسي، لعل كثرة حكايته عن إخلاص أبناء النور لقضيتهم، جعلتني أظن أنه لم ينشق أحد منهم، ونظرت إلى داوود فوجدته يتلذذ بشراب الجين الفاخر الموضوع في الكأس المخروطي، وبداخله زيتونة خضراء مثبتة في عود مدبب.

وحيث إني أعلم من شيطاني بغضه للسؤال، وأنه يقول ما يريد وقتما يريد، فأردت التمهيد بسؤال أعلم أنه يجب عليه جوابه.

---

(١) كل هذه الأحداث وغيرها ذكرت في الجزء الأول من الرواية، والتي تحمل عنوان (ولي الله اليهودي). المؤلف.

قلت: قد علمت لجدي كونه خالدًا عشرات الأسماء والألقاب، منها أزوريس وهرمس وتحوت وإلياس، حتى إن العرب يستبدلون اسم أخنوخ بإدريس، ومنهم من لقبه بالخضر، فأي الأسماء يجب عليّ مناداته به، أم أكتفي بـ (سيدي)؟

داوود: أعتقد أنه سيُؤْثِرُ لقب جدي، نظرًا لما يملكه من حنان غامر للبشرية جمعاء.. فما بالك بحفيده!

هكذا كانت عادة داوود دائمًا حين يضطر لجواب سؤال يجيب بسؤال آخر، إن لم يكن استفهامًا، فليكن استنكاريًّا أو تقريريًّا، فلم أشأ أن أسلم نفسي للعبته التي سئمتها فباغته بمرادي.

أنا: أَحَدَثَ أن خالف أحد الآباء عهد جدي قابيل مع لوسيفر وعزازيل؟

أبطأ داوود من مضغ زيتونته المشبعة بالشراب الفاخر، والتفت نحوي وقد استفزه سؤالي لدرجة أفسدت عليه استماعه بزيتونته، فقال باللغة الآرامية، والتي هي لغته المفضلة رغم إجادته أكثر من ٤٠ لغة، علمني منها ١٤ لغة، كانت الآرامية أولها منذ صغري.

رد **باقتضاب:** معظم أنبياء بني إسرائيل حادوا عن المسار.

لم أشأ أن يكون ثمة فواصل من الصمت في الحوار حتى لا أمنحه شعورًا يزيد من ضجره؛ حيث إني أعلم مدى بغضه لكثرة السؤال.. فتظاهرت وكأني أسأل فقط أسئلة غبية على سبيل الفضول.

أنا: أعني في عصورنا الحديثة يا عم داوود.

داوود: مش كتير.. ولكن من الآن وصاعدًا لا تحدثني باللغة العربية، إلا إذا كنا منفردين وفي مكان مفتوح، لذا دعنا نتحدث بالآرامية.

أنا: مثل من؟

داوود: أذكر على سبيل المثال جون كينيدي، هل سمعتَ بعملية نورث وودز؟

هززت رأسي **وقلت:** لا.

داوود: في الستينيات، وتحديدًا في ١٩٦٢، أردنا حشد الرأي العام الأمريكي للدخول في حرب ضد كوبا وزعيمها فيدل كاسترو، فخطط رجالنا من كبار قادة أركان الجيش الأمريكي بوضع خطة تتضمن خطف طائرة أمريكية، وقتل من فيها، بالإضافة إلى تفجيرات في منشآت مدنية في ولايات مختلفة، ومن ثم إلصاق تلك الأفعال الإرهابية إلى لاجئين كوبيين، وإجبارهم على الإقرار بأنهم من قام بهذه الأحداث بتكليف مباشر من كاسترو نفسه.

وبالفعل تم الإعداد لكل شيء، إلى أن عرقل الرئيس جون كيندي الرئيس الأمريكي الأسبق الخطة ورفض التوقيع على الخطة.

وهذا الأمر بالإضافة إلى رفضه منح حق طبع الدولار للأسرة (بنك الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي) هو ما دفعنا إلى تصنيفه ابنًا عاقًّا لنا.

أما خلفه ابننا البار المطيع، ليندون جونسون، فقد وقع قرار حق الأسرة في طبع الدولار، بل وإقراض الحكومة من قبل حتى أن يقسم اليمين الرئاسي، كما جعلنا غير محتاجين لمؤامرة مثل نورث وودز لإعلان حرب، إذ استصدر من الكونجرس قرارًا يسمى قرار خليج تونكين، والذي خوله بمقتضاه سلطة استخدام القوة العسكرية في جنوب شرق آسيا دون الحاجة إلى طلب إعلان رسمي للحرب،

وعليه استطعنا إرسال ٥٢٥,٠٠٠ جندي مقاتل إلى فيتنام، بعدما كان العدد ١٦,٠٠٠ جندي فقط في عهد كينيدي.

كما أذكر أيضًا إسحاق رابين، حين أراد سلامًا حقيقيًّا مع الفلسطينيين، ومن قبلهم ولي عهد النمسا فرانز فريدناند، لتشتعل الحرب العالمية الأولى، ونحكم العالم من خلال إمبراطوريتنا الخفية الموحدة، ونلغي جميع الممالك والإمبراطوريات، وإن كانت باقية ظاهريًّا.

ازددت فضولًا **فسألته:** هذه الإجراءات تتبع مع من يتمرد فقط من ساسة العائلة يا عم داوود أم هي عامة؟

داوود: لا طبعًا عامة.. فمثلًا من العلماء أذكر نيقولا تسلا، حين أراد أن يفصح عن اختراعاته لعموم البشرية، فحذرناه وسجلناها بأسماء غيره كجرهام بل، وتوماس أديسون، لكنه عاند وأراد أن ينتج طاقة نظيفة، بل وكهرباء مجانية من الطبيعة، فحدث له ما حدث.

للحظة صمت داوود كأنما تذكر شيئًا مبهجًا، ثم ابتسم وتكلم حين رآني أبادله الابتسامة، وأنظر إليه متسائلًا.

داوود: وبوب مارلي.

انفرج فمي رغمًا عني **اندهاشًا:** بوب مارلي!

ثم **أردفت:** أول مرة أعرف أنه منتسب لعائلة النور المقدس.

بدا داوود للحظة متعجبًا من جملتي الأخيرة، فعقب **مستنكرًا:** تفتكر كان ممكن يوصل للعالمية إن لم يكن نورانيًّا أو متنورًا[1]!

---

(١) النوراني هو من كان من أصل آل قابيل من جهة الأم، أما المتنور فهو من يعمل لحساب القبيلة، سواء علم بذلك –وهم القادة– أو جَهِل ذلك واستُغِلّ.

أنا: قصدي إن ملامحه لا توحي بذلك.

داوود: أبوه كان منتسبًا، وكان ضابطًا مرموقًا في البحرية الملكية البريطانية، لكنه للأسف وقع في غرام امرأة من جامايكا، هي أم بوب، وتزوجها، وعبثًا حاولنا أن نثنيه عن تلك الزيجة، لكنه أصر رغم عزلنا له من البحرية.

وهكذا تركنا بوب يموج في بحار الفقر حتى بدأنا مشروعًا جديدًا للاستيلاء على أفريقيا من خلال تافاري ماكونن[1]، آخر أباطرة أثيوبيا.

وتم ابتداع مذهب مسيحي جديد (الراستافارية) من شأنه غزو الزنج، حينئذٍ كنا في حاجة لمبشرين للمشروع في الغرب، فوقع الاختيار على بوب مبشرًا بسيلاسي، وبالفعل عملت كل المنظومة لرفع شأن بوب، وبلوغ شهرته للآفاق، حتى صار أسوة يحتذى به حتى في إدمانه في المخدرات وتصفيف شعره، والتي كانت جزءًا من طقوس الراستافارية.

لكن فجأة صدق هيلاسي نفسه، وأراد أن يعمل خارج المنظومة، صدق نفسه أنه هو المسيا المنتظر، ولقب نفسه بالأسد القاهر من سبط يهوذا المختار من الله.

وهنا كان لا بد لنا من وقفة معه لتأديبه؛ كي يلتزم بالخطة المرسومة له، ويعود عن تمرده، ولما لم ينصع، تم إنهاء تمرده بجرعة سم سقاها له أقرب رجاله إليه.

---

(١) هيلا **سيلاسي:** أي قوة الثالوث

عند هذا الحد خشيت أن يصمت، فسألته بلهفة ابتسم على **إثرها:** وبوب مارلي؟

واصل داوود ابتسام الأفعى، وكأنه يروي إحدى **الطرائف:** بعد موت سيلاسي، سولت نفس بوب له ومخدراته أن الله تجسد في سيلاسي، وأنه لم يمت، بل رفع إلى السماء، وأنه سيعود وسينتقم إلا من المؤمنين بالراستافارية، وبالفعل عاد إلى جامايكا، وهناك أخذ يكرس لدعوته من خلال أغانيه، حتى استجاب له نحو مليون نسمة، وكان محتاطًا منا أيما حيطة، لدرجة أنه حينما استطاع النجاة من محاولتنا لاغتياله في إحدى حفلاته، عاد وأصر على استكمال الحفلة، واستمر بالغناء متحديًا لنا حول الإخاء والمحبة والسلام والتمرد على الظلم، ومثل هذه الأمور التي تروق للمغفلين مما زاد رصيده عندهم جدًّا.

لذا كان لزامًا علينا أن نضع حدًّا لتلك المهزلة.

واتسعت بسمة داوود الباهتة وهو **يحكي:** ذات يوم أرسلنا له أحد صيادينا محترفي فن الاغتيالات يدعي بيل أوكسلي، وكان عميلًا للاستخبارات الأمريكية، بعد أن أعددنا له هوية مراسل لصحيفة نيويورك تايمز، وأقنعه أنه مؤمن بديانته، وأنه يريد أن يستغل الجريدة لنشر الراستافارية.

طبعًا فرح بوب جدًّا، ووافق على اللقاء لإيمانه العميق بألوهية هيلا سيلاسي.

هنا أتت اللحظة الحاسمة، والتي كانت هدية ويل أوكسلي المكونة من حذاء رياضي ماركة converse الرياضي.

أنا: وماذا في ذلك؟ أعني كيف يقتله بحذاء؟

ثم لوهلة ومضت في ذهني فكرة كلمعة برق في ليلة شتاء حالكة **فهتفت:** جمرة خبيثة!

اتسعت البسمة غير المفسرة المرسومة دومًا على شفتي داوود، إلى ضحكة **مكتومة:** يبدو أنني لم أعلمك كيف تقتل بلا أثر.

ثم استطرد بدون سؤال مني عن **الكيفية:** بل مجرد إبرة صغيرة موضوعة بعناية في الفردة اليمنى للحذاء، إبرة مسمومة بمرحلة متأخرة من سرطان الجلد (الميلانوما)، وسرعان ما انتشر المرض في جسده، وهذا طبعًا لأننا نعلم يقينًا أن دينه يحرم عليه بتر أي جزء من بدنه، وهذا ما كان، فقد صار جلدًا على عظم؛ حتى شعره مصدر فخره تساقط كليًّا قبل موته.

أثناء حديث داوود أسدلت جفني لبرهة، محاولًا بناء تصور لشخصية بوب **مارلي:** أتراه كان مغفلًا عما كان يحاك حوله؟ أكيد لا، وإلا ما كان دومًا على حذر.

أم تراه كان موهومًا بسراب قد تمكن من شغاف قلبه؟

أجبت **نفسي:** وإن كان سرابًا بالنسبة لنا، فهو يقينًا عنده.

أخيرًا خلصت نفسي إلى أنه كان صاحب قضية ومات من أجلها.. تبًّا لي ما لي أفكر بحيادية ومنطقية، ويحي لو أدى بي تفكيري هذا إلى شيء من التعاطف، والذي طالما نهاني شيطاني داوود عنه، فنحن قوم بلا حس.

نفضت عن ذهني وابل الأفكار، ونظرت لداوود فوجدته يتلذذ بكأسه، وبعد أن فرغ منه مازحني بالعربية **قائلًا:** عامل لي فيها روبين هود بروح أمه.

توقع مني أن أبادله الضحك، لكني لم أقوَ على الفعل، فقط قلت **له:** أنا أعلم أني منهي عن كثرة السؤال، لكن لتغفر لي وتأذن أن أفعل.

وما إن التفت إلى حتى قذفت بسؤالي **نحوه:** هل حدث مرة أن تعاطفت مع أحد المتمردين؟

حدق بي مليًّا بلا تعبير على وجهه يذكر، أو على الأقل أنا لم أفهم انطباعه اللحظي، ما فهمته هو كم أنا أحمق! كيف أسأل شيطانًا عن التعاطف، لكنه باغتني حين **قال:** جميعهم!

بدا متأثرًا بصدق، ومنفعلًا بجوابه، وحينها انهار ثباتي الانفعالي، عبثًا حاولت لملمة شتات ذهني كي أتملص مما ورطت نفسي فيه بغباء سؤالي، لكني ما زدت إلا انهيارًا، وكغريق لا يزيده هلعه إلا غرقًا **قلت:** أعني! أيهم كنت أكثر شفقة عليه؟

لم يشح بوجهه **عني:** ليليانا.. أضاف بعد لحظات صمت، وكأنه **يستنطقني:** هل سمعت بها؟

تقاطرت حبيبات عرق على ناصيتي وأنا **أتلعثم:** هل تقصد.. أ.. أ.. أعني زوج جيمس ولي عهد...!

كانت عيناه المثبتة عليّ تسألني دون كلام، هل تصدق كوني رؤوفًا شفيقًا؟

الحق إني ما عهدته إلا أبًا حنونًا لي، لم يتوانَ يومًا في إسعادي، ولم يألُ جهدًا تنفيذًا لرغبة عندي، بل بذل قصارى جهده لا لشيء إلا ليرى بسمة رضا في عيني.

أسدلت جفوني، فتجلت لمخيلتي مشاهدات لذكريات معه، كانت تتكاشف كعرى وثيقة تنقض عروة تلو أخرى أمامي في سلسلة لا متناهية من الذكريات إلى أن أتاني **صوته:** حين نصل الفندق، لك أن تسمع قصة ليليانا ورودي من فمٍ قريبه محمد الماجد، فسنلتقي به هناك، وإلى هذا الحين سأغفو قليلًا.

لم يتحرَ مني جوابًا، وإنما اعتدل في كرسيه، وأغمض عينه وتركني صريعًا لقذائف ملتهبة مما هو آت.

استفاق من غفوته المزعومة على صوت أنثوي يطالبنا بربط الأحزمة؛ لأننا على وشك الهبوط بمطار شارل ديجول، نظر إليّ متوددًا قائلًا **بالعربي:** الحمد لله على السلامة!

رائيل وشركاؤه

حين لامست الطائرة أرضية المطار، نظر إليّ داوود بجدية، وقال لي بحسم وبلهجة أمر **خاطبني:** من الآن وصاعدًا، فلتمسك عليك جوارحك وانفعالاتك حتى يؤذن لك في إطلاقها.

ولما نظرت إليه مستفسرًا، **زادني:** لا تسأل عن شيء ولا تمعن النظر إلى شيء، والأهم ألا تبدي ولو مجرد دهشة حيال شيء.

فأجبته بأن هززت له رأسي، وقد رسمت على شفتي **بسمة:** أي أني قد فهمتك أو بالأحرى سمعًا وطاعة.

وما إن خرجنا من الأنبوب الموصل من الطائرة إلى صالة المطار، رأينا رجلًا سبعينيًّا متصابيًا في ملبسه الأبيض، يلوح لنا بالتحية، مصحوبة بنفاق وتملق واضحين، وبصحبته امرأة تصغره في العمر توحي إلى الرائي من خلال نظارتها الطبية واحتشام لباسها أنها اختصاصية أحد العلوم، أو على الأقل أستاذة جامعية.

بادلهما داوود التحية، بأن رفع إحدى يديه كملك يحيي رعاياه المحتشدة، لا لشيء إلا لرؤيته، أما أنا فاكتفيت منهما بالنظرة الأولى، ممتثلًا لأمر داوود بكتم انفعالاتي، ولم أبدِ أي تعبير، مما جعلني أوقن أن المرأة ستنعتني بالوقاحة، أو العجرفة لكني لم أبالِ.

مرت إجراءات الخروج بسلاسة، لدرجة أني تعجبت كيف لم يعلق ضابط المطار كوني شابًا مصريًّا يهوديًّا يحمل اسم رأوبين على ندرة اليهود في مصر.

لكني حكمت دهشة التعجب كما أمرني داوود، وما إن تجاوزنا الضابط، حتى قال لي داوود ساخرًا حين قرأ في خاطري الدهشة، وهو يرسم ابتسامته الباهتة، والتي لا تفارق **محياه:** هو كان حد تكلم في مصر لما حد هيتكلم هنا؟!

ثم اتسعت البسمة وهو **يردف:** ولّا أصلًا فيه حد ينفع يتكلم؟!

كانت جملته تتحمل ضمنيًّا عشرات المعاني، أقلها أن جوازات سفرنا ليست مزورة، لكن العجب الحقيقي كان هو كيف لهذا الشيطان أن يقرأ خواطر ذهني!

ما إن تجاوزنا الفاصل، حتى هرع إلينا الرجل والمرأة مرحبين، وبود بالغ صافح الرجل داوود بحرارة بالغة، على حين قبلته المرأة، ثم بدأ داوود يتحدث معهما ناطقًا بلهجة فرنسية كنطق أهلها لها.

وهو يشير نحوي مفتخرًا، وبطريقة مسرحية أرستقراطية أو هكذا **ظننت:** سمو الأمير الملكي صاحب الدماء الزرقاء والروح النورانية رأوبين بن توبال قايين.

انحني الرجل مائلًا بجزعه إلى الأمام، وطأطأ رأسه باحترام بالغ **مرددًا:** نامستيه!

هممت أن أمد يدي كي أصافحه إلا أنني فوجئت به يضم باطن كفيه تحت ذقنه كتحية الهنود.

فسحبت يدي وفعلت مثله **ورددت:** نامستيه.

ثم أشار داوود صوبه دون أن يغض طرفه دون **عيني:** مسيو كلود فوريلون خاتم الأنبياء المرسلين.

اكتسى وجه الرجل بورع كاذب مفضوح، وهو يضيف إلى نفسه تعريفات **مضيفًا:** إلياس رائيل رسول الألوهيم الخالقين إلى مخلوقاتهم بني البشر، ونبي الديانة الرائيلية.

تولد بداخلي شعور جارف نحوه بالاحتقار، فقد كانت كل خلجات وجهه توشي بالكذب البين، هذا غير كونه بدا متصابيًا جدًّا في إسدال شعره على كتفيه، رغم صلع مقدمة رأسه الشديد، وملابسه البيضاء حتى نعليه.

وعليه قلادة كبيرة بها رمز الديانة المعلقة على صدره، والتي كانت عبارة عن نجمة داوود بداخلها الصليب المعكوف.

ضبطت انفعالاتي الداخلية، فلم تؤثر على تعبير وجهي، واكتفيت ببسمة مجاملة بائسة ملأت بها ثغري، وهو يقدم لي كتابين صغيري الحجم نسبيًّا من تأليفه على سبيل الهدية.

تصفحت الأغلفة فوجدت الكتاب الأول **بعنوان:** الكتاب الذي يقول الحقيقية، أما الكتاب الثاني فكان معنونًا **باسم:** سكان الفضاء أخذوني على كوكبهم.

في تلك اللحظات مال رائيل إلى أذني هامسًا ليحمسني **للكتب:** إن شرعت في قراءتهما مساءً لن تستطع النوم حتى تفرغ منهما.

تبسمت له مجددًا دون أن أعقب، بعدها التفت داوود نحو المرأة معرفًا **إياها:** دكتور بريجيت بويسيلييه، المدير التنفيذي والمؤسس لشركة كلوناید.

انسل من بين فكي سؤالًا بريئًا –أو هكذا اعتقدت– وإن كان مخالفًا لتعليمات داوود المشددة بضبط جوارحي **فسألتها:** في أي المجالات تعمل شركتكم؟

فجأة اعترت الوجوه ملامح الدهشة ونظرت لي المرأة بفزع وكأنني طفل استيقظ من نومه، ليسأل أمه عمن تكون بالنسبة له، مرت لحظات صمت بدوت فيها كأبله القرية حتى أنقذني داوود فتطوع **بالإجابة:** بروفسور بريجيت –وإن كانت رقم اثنين في الديانة الرائيلية بعد مسيو كلود– إلا إنها رقم واحد عالميًّا في مجال البيوتكنولجي.

كما أنها كانت ممن أشرف على عملية تلقيح والدتك البيولوجية الست إيطاليا وحقنها مجهريًّا.. وشركتها شركة كلوناید هي من نفذت بنجاح مشروعنا (الألف ملك)، والذي كان من ثماره قدومك لدنيانا من خلال الحمض النووي الريبوزي للأب توبال قايين.

التقطت طوق النجاة من داوود للخروج من سذاجة سؤالي، الذي يدل على جهلي غير المناسب بالمرأة لذا قمت بحركة مفاجئة طوقت بريجيت بذراعي وقبلتها من وجنتها، وتأكدت من زوال دهشتها من عدم معرفتي بها حين قالت **مبتهجة:** أنت وإخوتك الألف، ثمرةُ نجاحي التي تمشي على الأرض، لطالما تتبعت أخباركم؛ بل والتقيت منكم البعض.. وإن كان من غير المسموح لي بالإفصاح لكم عن هويتي ولكني أحبكم حب الأم لأبنائها.

فقلت لها **بمرح:** عن أي أم تتحدثين! فإنك تبدين أصغر سنًّا مني.. أم أنك تتحاشين أن أطلب مواعدتك أثناء مكوثي في باريس؟

والحق إنها كانت فعلًا جميلة، محافظة على رشاقتها، ولا يبدو عليها تجاوزها للخمسين من عمرها.

نظرت لي بغنج وكثير من الشهوة ولم تبال بوجود الرجلين الحاضرين، **وقالت:** ليتنا نفعل، فثمة أشياء أريد أن أطمئن عليها! على كل حال يسعدني دعوتك لتشريف مقر الكنيس الرائيليي في باريس اليوم في الثانية عشرة، فثمة صلاة خاصة هنالك على شرف قدوم سيدي رائيل من مونتريال.

قبل أن أجيب، انبرى داوود **قائلًا:** دعينا نعتذر منك يا دكتور، رأوبين سيكون مشغولًا الليلة، ثم أردف بالعربية وهو ينظر **إليّ:** معندناش وقت للوساخة.

أيقنت أنهما لا يتحدثان العربية، لكني لم أعِ كيف قرن صلاتهما بما قال، فالتزمت الصمت.

أثناء ركوبنا الليموزين في طريقنا إلى الفندق في قلب باريس قلت **لداوود:** أنا مدين لك باعتذار عن سؤالي عن ماهية شركة الاستنساخ ومخالفتي للتعليمات.

داوود: أبدًا يا روبي، على العكس ده كان أول درس لك في حياتك الجديدة، والأهم إنك تكون قد استوعبته.

الحق أقول لكم أني لم أفهم عن أي درس يتحدث، ومع ذلك قلت **له:** ثق تمامًا أني قد استوعبت ما حدث ولن يتكرر.

هنا التفت إلى داوود وكأنه **يختبرني:** ماذا استوعبت؟

هتفت **بتلقائية:** امتثال الأمر وضبط لساني.

دون تردد أجابني، وقد كان متوقعًا **إجابتي:** غلط!

ثم أخذ يحدق بي لدرجة سرت معها قشعريرة في **أوصالي:** بل كان درسك أنه لا مجال للصدفة في هذه الحياة المادية النجسة.

ظللت أهز رأسي موافقًا على كلامه، ومسترضيًا له عله يصمت، ويكف عن تصويب تلك النظرة المخيفة كالسهام المشتعلة نحوي، لكنه لم يفعل، وإنما **أضاف:** هناك إله مدبر في كل ذرة من ذرات الطبيعة الكونية، ولا يسيرها هملًا أو عبثًا، وإنما رسائل وإشارات، وما نحن إلا أجهزة استقبال لتلك الإشارات.. فمن استقبل نجا، ومن غفل هلك، ولكن أكثر الخلائق لا ينتبهون لتلك الإشارات.

وبدون تقدمة لانت أسارير وجهه فجأة، وتحولت من بعد الحِدة وهو **يقول:** هذا الإله يحبك حقًا يا روبي يا حبيبي وله خلقناك، كي تكون مبشرًا ومكرزًا له.

قلت **مستفسرًا:** خلقتموني أم خلقني هو؟

قال داوود وهو ينظر إلى حدائق التويليري وميدان الكونكورد بالقرب من **الفندق:** هو من خلق الخالق.

أنا: يهوه الذي لا يلفظ اسمه؟

ضحك داوود ملء شدقيه، حتى لاحت نواجذه، ومالت رأسه على مخدع **الليموزين:** يا لك من يهودي أحمق متدين بفطرته المشوهة!

بادلته ضحكه بضحك، رغم كوني أجهل سبب ضحكه **وسألته:** إذًا أنا مخطئ؟

داوود: الخطأ والصواب نسبي يا روبي، لكنك معذور لأني –وبالرغم من تربيتي لك وتعليمك ما علمته إياك– إلا أني لم يكن مسموحًا لي بالخوض معك في الأمر الإلهي، حتى تلقى جدك

فيحدثك هو عن الإله الذي نعبد.. لذلك كثيرًا ما لقنتك أن طعام الرجال يقتل الأطفال والضرورة تقدر بقدرها.

وعمومًا إن غدًا لناظره قريب، ما إن يجتمع شمل عائلتك الملكية وتلتقي بجدك الميتاترون، حينها سأتعلم أنا منك.

ثم قهقه وهو يصف **نفسه:** رغم كوني شيطانًا رجيمًا!

سادت لحظات صمت لم أعرف كيف أعقب فيها على مزحته، فشردت فيما هو آت إلى أن قال داوود وهو يشير إلى أحد المباني العتيقة **الفاخرة:** ها هو الريتز أوتيل!

من لحظة دخولنا الفندق، وإذ بالعاملين جميعًا يعرفون داوود حق المعرفة؛ لكثرة تردده على المكان. والحق يقال لقد كان سخيًّا جدًّا معهم، بدا ذلك جليًّا للعيان لحظة أن هرع إلينا عامل المدخل الرئيس بشكل مبالغ، حين رآنا ننزل من الليموزين ثم حيا داوود باسم مسيو ديفيد، والذي بدوره أغدق عليه بورقة فئة عشرين يورو، مما جعل وجه الرجل يشرق مبتهجًا، وتبسمت أنا حين تذكرت حاله في حارتنا الشعبية وبخله الشديد مع أهلها، وكعادته قرأ أفكاري فتبسم بدوره، وهو يقول لي بالعربية كي لا يفهمه عامل **الفندق:** لكل مقام مقال، ولكل حادث حديث.

ضحكنا سويًّا وبادلنا العامل الضحك، وهو لا يدري عما نضحك، وكم كان مؤدبًا إذ انتظرنا حتى فرغنا من ضحكنا، ثم التفت إلى **داوود:** مسيو ديفيد! هناك بالداخل رجل ينتظر قدومك منذ ما يقارب الساعة.

وبالفعل، ما إن دخلنا إلى بهو الفندق متجهين ناحية موظفة الاستقبال الشقراء، ساحرة الابتسامة، زرقاء العينين، والتي بدأت

تتبعنا ببصرها منذ عبورنا الباب الرئيس، لاحظت أنها لم تصرف بصرها عنا حتى حين التقت نظرتي بنظرتها الجذابة، لدرجة أنك تشعر وكأنك لم تبصر في جمالها من قبل، أو أنك آدم حين أبصر زوجه للمرة الأولى، وفجرت فيه رجولته بأنوثتها الطاغية.

وبينما أنا منتشٍ بنظرة الفتاة وروعة بسمتها الخجلى، إذ برجل أظنه بنفس عمر رائيل يهتف **بنا:** مسيو ديفيد! مسيو ديفيد! وهو يحث الخطى نحونا.

لم يلتفت داوود، وبدا جليًّا أنه غير مرحب به حين قطب داوود بين حاجبيه وحياه باسمه مجردًا دون لقب –على غير عادته– وأكمل سيره ناحية الشقراء، التي كانت تشاهد ما **حدث:** أهلًا جان! ماذا أتى بك؟

سار الرجل يتتبع خطوات داوود، ويحادثه دون أن يلتفت الأخير **خلفه:** ذهبت إليك في المطار فوجدت رائيل بصحبتك، فانصرفت كي لا يراني معك.

داوود: ولِمَ كل هذا؟

جان: لقد أتيتك هذه المرة بالدليل الذي يثبت تورطه في قضية ١٩٩٧، بخصوص تحرشه بأطفال الجماعة، وإن نفوذ أتباعه وتوغلهم في المؤسسات هو ما أنقذه من السجن مع الذين سُجنوا من الأتباع، والذين ثبت تورطهم وحكم عليهم بخمس سنوات.

لأقل من دقيقة أطرق داوود مفكرًا، استغل جان لحظات صمت داوود **فأردف:** صدقني مسيو داوود، إنه مولع بالبيدوفيليا[1]، ولا يؤتمن على مصير الجماعة. وأنا خير المؤهلين لهذا المنصب.

---

(١) اشتهاء الأطفال جنسيًّا.

داوود: وأنت! ألست مثلي الجنس أم أنك تنكر ذلك؟

أجاب جان بثقة وثبات انفعالي يحسد **عليه:** نعم أنا كذلك ولا فخر، هكذا خلقني الرب وأنا متصالح مع طبيعتي.

داوود: حسنًا! إن كان لك أن تشتهي الرجال، إذًا فيحق له اشتهاء الأطفال، هكذا يجب أن تكون المساواة في الحقوق.

جان **مندهشًا:** ولكنهم كانوا دون الحادية عشرة والقانون يجرم ذلك.

ابتسم داوود بخبث وبثقة مفرطة **قال:** حسنًا! قد آن وقت تغيير القانون.

جان: لكن....!

قاطعه داوود حاسمًا **الجدل:** دع عني تلك الترهات، فلا وقت عندي لك ولا لهرائك، وقد أنهيت معك النقاش عمّا تعلم من قبل، وأنت تعلم قراري بخصوص هذا الشأن جيدًا.

ثم وجه حديثه نحوي دون أن يقطع ما بين **جملتيه:** هيا يا بني!

بطرف عيني لمحت جان قد أسقط بين يديه فانصرف مطأطئ الجبين، يجر أذيال الخيبة ولم يعقب.

سرت خلف داوود كالجرو المطيع، بدون نباح، ولكم كبحت جماح نفسي مرارًا حتى ألجمها عن السؤال بخصوص جان، حتى صعدنا لجناح داوود، وهناك قال لي بأبوية **صادقة:** اذهب الآن إلى غرفتك، وستجد في الخزانة ثيابًا جديدة لك، انتقِ منها حلة سوداء كلاسيكية، وسنلتقي في مطعم الفندق بعد ساعة، فلدينا عشاء عمل.

واتسعت ابتسامته الساخرة وهو **يردف:** وهناك سأقص عليك من أمر مسيو جان.

وكأن داوود أراد أن يروي فضولي، ويجيب عن تساؤلاتي، ولكنه عوضًا عن هذا زادني حيرة إلى حيرتي، فعن أي عمل يتحدث والذي يعد له اجتماعًا! فعهدي به أنه مؤتمن على أملاك اليهود، وأوقافهم بمصر ليس إلا.

واسيت نفسي بأنه ما هو إلا صبر ساعة، وسيجيب عن كافة تساؤلاتي، بعدها ولجت غرفتي فوجدت ما بشرني به داوود من ثياب وعطور ومشروبات كحولية فاخرة وغيرها من المباهج.

بالفعل ارتديت حلة إيطالية فاخرة ماركة فيرزاتشي كحلية اللون، بعدما انتقيت لها رابطة عنق مناسبة، وتعطرت بعطر فرنسي من ماركة بلو شانيل الفرنسي، وبينما أنا أصفف شعري الأحمر المموج أمام المرآة، إذ انتبهت إلى أني ارتديت الحلة كحلية اللون وليست سوداء كما أمر داوود.

حدثتني نفسي في **المرآة:** وما الفارق؟ هل قليل من التمرد يضر؟

أجبت سؤالها بسؤال مفحم، ومتى كنت متمردًا أو مراهقًا أو حتى لهوت كطفل في زخمٍ دروس العلوم الظاهرة والباطنية؟

لقد ولدت لأكون ملكا، ولهذا ثمن يجب أن يدفع، أقله هو الطاعة والانصياع لمؤدبي ومرشدي داوود.

فورًا خلعت الحلة، وارتديت أخرى سوداء ماركة جوتشي مع رابطة عنق شبابية وردية اللون، بدوت فيها وسيمًا إلى حد كبير.

حين نزلت إلى قاعة الطعام، وجدت داوود جالسًا يتذوق زجاجة النبيذ الأحمرِ المعدة للعشاء، وما إن رآني حتى هم واقفًا مُرحبًّا، ومبتهجًا باسطًا ذراعيه متبسمًا ببسمة ليست كابتسامته المتهكمة

التي عاهدتها عليه، ولعلي لا أبالغ إذا قلت إني لمحت في عينيه دمعة رقراقة، وكأنه يراني للمرة الأولى في المستوى الذي كام ينشده لي.

مددت الخطى نحوه ضاحكا، وأنا أمازحه بإيماءة استعراضية ولسان حالي **يقول:** ها أنا ذا.

اتسعت ابتسامته ومعها أضاء وجهه الأشقر وعانقني وهو **يردد:** روبي.. ابني ومليكي وثمرة فؤادي.

أردت لفت نظره أني حرصت على الامتثال، ولم **أخالف:** هل راقت لك الحلة؟

داوود: لم يرق لي سواك، لكم تمنيت أن تبصر عيناي هذه اللحظة وأن أراك وقد تقلدت زمام مهامك المقدسة، فأنا لم أحب من هذه الحياة سوى روحك يا روبي، حين كنت في الحارة أعلمك الحياة، رجوت الآباء مرارًا أن تُنتشل من حياة الفقر المدقع والبيئة المتدنية.. لكن دومًا قُبل رجائي بالرفض، وأخبروني بأنه يجب أن تمر أنت وإخوتك بهذه المرحلة من التقشف مع اختلاف البيئات حول العالم من آسيا إلى أمريكا اللاتينية مرورًا بأفريقيا.. وها أنا اليوم أراك نجمًا لامعًا في سماء الدنيا، وعما قليل ستبدأ بما يناط لك من تكاليف مقدسة.

تأثرت أيما تأثر بصدق مشاعر داوود الأبوية، فعانقته مجددًا، فهمس في أذني مازحًا وأنا بين **ذراعيه:** يا بختك بحب شيطانك لك.

قهقهنا بشكل لا يناسب المكان الفاخر، حتى لفتنا نظر الجلوس، لكننا لم نزد إلا ضحكًا رغم ذلك.

بطرف خفي نظر لي داوود وهو يملأ كأسي **نبيذًا:** ما لي لا أسمع سوى صمتك؟

بتردد نطق لساني **متلعثمًا:** كلما هممت بالكلام خشيت أن تصاغ كلماتي في صيغة سؤال، وأنا أعلم أني منهي عن ذلك، فأخشى حنقك لذا ألوذ بالصمت، وأَعُد صمتي طوق نجاة، ألم تعلمني أن الكلمة كطلقة مدفع إذا خرجت منه لا يمكن إعادتها إليه؛ لذا يجب أن تكون قاتلة، وإلا أفضل لها أن تكمن في خزينتها؟!

داوود: صدقت حبيبي، والآن دعني أزف لك بشرى رجوتها طوال عمرك، ورفع كأس النبيذ على هيئة النخب، الآن مدت لك قنطرة السؤال لتعبر من خلالها إلى بحر الأسرار.

لا أعرف كيف أصف شعوري تلك اللحظة.. كنت كمن عاش ثلاثين عامًا في كابوس مزعج كريه، واستيقظ ليتبين له أنه كان يحلم، كنت مثل رجل حيا بعدما تيقن من موت نفسه.

هل تعلم عزيزي قارئ سطوري شعور رجل وطئت أولى قدميه داخل الجنة! تقريبًا كان ذلك شعوري لدرجة رفض معها لساني التعبير، فنظرت إلى داوود بحمق اتسعت معها مقلتا عيني، لا ألوي على شيء سوى التحديق بداوود.

لمعت عينا داوود وعاودته بسمته الأبوية مجددًا ووضع كأس النبيذ على المنضدة دون أن يرتشف منه ولو **رشفة:** روبي حبيبي! سل ما شئت.. ألا تريد أن تعلم من نحن؟ من أين جئنا؟ ماذا نريد؟ كيف ندير العالم؟ ما الغاية مما نفعله؟ إلى آخره... الآن ألقِ بحارة اليهود المزرية خلف ظهرك، واستمتع بالسيطرة على زمامِ العالم والتحكم في مجريات الأمور فيه.

كانت كلماته صادقة وحنونة، ومعها تصارعت مئات الأسئلة والأفكار في ذهني، تتسابق سويًّا، كلها تريد النفاذ إلى النور لدرجة عجز معها لساني عن القضاء بينهم فصارت رأسي كحلبة مصارعة بلغت بها الفوضى أن خرجت السيطرة.

كعادته دومًا بدأ داوود بقراءة ما يدور برأسي، فأشفق عليَّ وأراد مساعدتي **بقوله:** ما رأيك أن نلعبها بأسلوب الفلاش باك على طريقة الأفلام الهوليوودية؟

فورًا فهمت ما يعنيه، بل واستحسنت الفكرة، عسى أن أرحم أفكاري من الزخم، **فسألته:** حسنًا.. فلنبدأ بقصة رائيل ومن معه.

بدأ داوود يتجرع نبيذه وعادت إليه بسمته **المتهكمة:** رائيل وديانته كان أداة صنعناها لغرض مرحلي، كديانات كثيرة، منها ما انتشر وصار عالميًّا، وأعتقد أن هذه الجزئية سيفصل لك فيه جدك حين يلتقي بك، وأديان أخرى كانت محدودة كالرائيلية لا تتجاوز المليونين حول العالم.

قاطعته: ولِمَ نبتدع أديانًا؟

داوود: مع أننا أهل النور عباد الرب لوسيفر، أهل الحق، لكننا قلة، وهذا لأن عقيدتنا ليست تبشيرية بالمعنى المفهوم؛ لأنها قائمة فقط على العرق القابيلي، فمن يتبعنا يكون لنا خادمًا وعبدًا مقابل تحقيق له ما يريد، وليس فردًا منا بالمعنى الدارج.

ولذلك فإن منهج النبي الأول عزازيل قائم على الحيلة وليس الحرب، وحتى لو اقتضت الظروف حربًا، فإنها تكون بالولاية عنا، ولا نمارسها نحن بأيدينا، ولهذا كتبت علينا حرب أزلية، وكما تعلم أن الحرب خدعة.

تنفست مشاعر التمرد الأولى في حياتي، فلوحت بيدي في **الهواء:** كفاك ألغازًا، لقد سئمت متاهاتك ثلاثين عامًا، أرجوك حدثني بأسلوب لا أحتاج بعده تفسيرات وشروحات.

على عكس ما توقعت لم يبد داوود أي انفعال عدواني إثر تعقيبي، بل وجدتُ منه إشفاقًا حنونًا.

داوود: روبي حبيبي، عالمك الذي أنت بصدد الدخول إليه احتارت عقول الحكماء والفلاسفة، فضلًا عن الأنبياء المؤيدين ممن أرسلهم الديميروج في ماهيته، أتتوقع مني أن أُجلي لك طلاسمه في سويعات عدة؟!

لم أبذل أدنى جهد من التأمل لأجد كلامه منطقيًّا، فدانت خلجات وجهي وهدأت أوصالي وابتسم داوود فابتسمت له وصمتُ.

داوود: أواخر الستينيات خرجت أصوات معتبرة علميًّا تشكك في الداروينية، وللأسف وجدت آذانًا مصغية، فلما أردنا التشويش كلفنا بعض مفكرينا بإيجاد خرافة جديدة موازية لخرافة تشارلز داروين في النشوء والارتقاء، فخرجوا بفكرة الأنوناكي[١]، وبالفعل أطلقنا مبشرينا بالفكرة أمثال جان سيندي وزكريا ستيشن[٢]، وإريك فون دانكن[٣]، وجورجيو تسوكاليس، وديفيد آيك وروبرت تمبل وغيرهم.

---

(١) فكرة تدعي أن الآلهة قدموا من الفضاء الخارجي البعيد وقد قاموا بخلق آدم معمليًّا.

(٢) ترجم الألواح السومرية الكاملة الخاصة بالمكتبة الملكية القديمة، في كتاب انكي المفقود، والكوكب الثاني عشر وغيرها من الكتب.

(٣) له عدة كتب في ذات الموضوع، أشهرها كتاب عربات الآلهة.

كانت الدعوة تنتشر بشكل نسبيي ومحدود، إلى أن جاء كلود، وكان صحافيًّا رياضيًّا مغمورًا، لديه مجله فاشلة اسمها (أوتو بوب) لا أحد يقرؤها سواه، وكان مهوسًا بالشهرة، أتى كلود هذا إلى جان سيندي، ليؤكد له أن افتراضيته صحيحة، وزعم أنه التقى شخصيًّا بالفضائيين الخالقين[1]، وأنهم غيروا اسمه إلى **رائيل:** أي رسول الألوهيم، وكلفوه بالتبشير بهم، وأن يقيم لهم سفارة بالقدس القديمة على غرار هيكل سليمان.

بالطبع تظاهر رجلنا جان سيندي بالتصديق، وهكذا تلقفناه ومددنا له يد العون، ولم يعلم المغفل أن الكواكب عامرة بإخواننا من الأرواح ساكنة الأجرام.

المهم أننا جندنا معه دكتورة برجييت، وكانت طموحة جدًّا حتى الجنون بأبحاثها في الهندسة الوراثية، فأنشأنا لها مؤسسة كلونايد للهندسة الجينية بجزر البهاما، ذاك المركز الذي كنت أنت وإخوتك أهم ثماره، في ذلك الوقت كان جان داني سان سير الذي رأيته يوشي برائيل في الفندق الساعد الأيمن لرائيل، وكان اتفاقنا المبرم معهم ينص على أن من يدين بدين رائيل عليه أن يدفع عشرة بالمئة من دخله السنوي واجبًا دينيًّا مُلزمًا لبناء سفارة الألوهيم ومؤسسة كلونايد، ولك أن تتخيل أن مليونين من الأتباع حول العالم، منهم رجال أعمال مرموقين وفنانين ودبلوماسيين وعسكريين وغيرهم يبذلون ذاك الرقم.

---

(١) ادعى أنهم هم الألوهيم المذكورة في العهد القديم.

طبعًا كنا نتقاسمه مع رائيل بنصيب الأسد لنا، ولذلك غضضنا الطرف عن انتهاكاته الجنسية الكثيرة طالما لم تصل إلى العلن.

أما حصة رائيل المالية، فكان يتقاسمها مع برجييت وجان داني وكبار مرشدي الطائفة بنسب فيما بينهم، وللحق أن جان داني كان مخلصًا للطائفة ومحبًّا لرائيل أشد ما يكون من حب زوجة لزوجها.

ولذلك، وبسبب مثليته وعشقه لرائيل، فقد تغاضى عن تجاوزات الرجل المالية ولم يبالِ، إلى أن علم بخيانات رائيل الجنسية المثلية والغيرية المتعددة له، حتى إن الأطفال لم تنج منه، هنا ثارت غيرة جان، وقرر هدم المعبد، فاتصل بالسلطات المختصة وأبلغهم بالانتهاكات الجنسية داخل المركز، وعليه فقد تمت إدانة رائيل بتهمة التحرش بأطفال دون الحادية عشرة وآخرين معه، لكننا بالطبع لم نقف مكتوفي الأيدي، وفي اللحظة المناسبة تدخلنا لإنقاذ رائيل والتضحية باثنين من الأتباع، وجعلها مسألة شخصية لهما، وعملنا على فك الارتباط بين القضية والطائفة؛ لأنه من البديهي أن سقوط رائيل معناه سقوط للطائفة، بالإضافة لخسارة الكثير من المال السهل لنا.

واليومَ.. ما إن علم رائيل بحضوري، حتى حاصرني بتملقه ونفاقه، كي أزيد له من حصته بزعم الدعم لمؤسسة كلونايد والشروع في بناء سفارة الألوهيم تلك السفارة التي لمَّا ينته منها سوى المجسم المصنوع من الورق المقوى فقط.

قلت: ولِمَ جاء جان اليوم إلى الفندق؟

داوود: بالطبع جان لم يكن يدري شيئًا مما يدور خلف الأبواب المؤصدة، وأننا سبب نجاة رائيل، فقط كان يعلم أننا بعد القضية

أمرنا رائيل بنقل نشاطه إلى مونتريال بكندا، فأتى اليوم يثبت لي تورط رائيل، وعليه يلتمس زعامة الطائفة هنا في فرنسا.

سألت **داوود:** إذًا هو مؤمن بالطائفة ودينها فعلًا؟

عادت بسمة داوود المتهكمة إلى **شفتيه:** أبدًا، هو أول العالمين بكذب رائيل وفضائينه المزعومة، ولعلك تعجب إن أخبرتك أن المال ليس هدفًا له، لكنه فقط يسعى للزعامة انتقامًا من عشيقه السابق رائيل، وخيانته له مع أطفال.

توقع داوود أن أعلق على موقف جان من رائيل، لكن غلبني فضولي **فسألته:** هو فعلًا فيه كائنات فضائية يا عم داوود؟

داوود: يا روبي، أنت عارف إن الأرض ما هي إلا ذرة غبار في فلاة شاسعة، فهل لعاقل أن يتصور أن الله العظيم خلق كل هذه الأكوان ولم يعمر فيها إلا الأرض!

صمتُّ متأملًا، فكم كنت أمقت أسلوب داوود حين يجيب عن السؤال بسؤال، ولكني كنت لا أجرؤ على عتابه، أما الآن وقد أذن لي في مجاراته فقررت أن أمارس صلاحيات التمرد الجديدة فورًا، لكن ما إن هممت بالتنفيذ أسكتني بإشارة من يديه وبسمة حنونة رسمها على ثغره.

داوود: رويدك اهدأ، هذا الأسلوب يسميه البلغاء جواب الحكيم، وهو الأنسب لك وإن أبيته، وستدرك كلماتي هذه بعد حين.

يا بُني لا تلمني على قِلة ثرثرتي، وأعمل عقلك فيما أقول، فأنا لا أتفوه بحرف إلا انتقيته بعناية لفائدة ما وغاية، علمها من علمها، ولكنكم بني البشر أكثركم تجهلون وهذا ما لا أرتضيه لك.

أنا: أرجوك أنا لا أريد فلسفة ولا منطقًا، وبما أنك تعلم بما يدور في خلدي فقط، أريد إجابة لكل سؤال، رجاءً يا عم داوود.

داوود: حسنًا يا روبي يا بني، كما تشاء، الجواب نعم، هناك مخلوقات فضائية، لكن رائيل كذوب ولم يلتقِ بهم قط.

قالها وتشاغل بالإشارة إلى نادل قاعة الطعام، ففهم النادل أنها إشارة بدء إحضار الطعام للمنضدة، بعدها ساد صمت مطبق بيننا، هو يملأ لنفسه كأسًا آخر، وأنا أفكر في كلامه وأكرره لنفسي، فصحت بصوت **داخلي:** ويحك! لقد أجابك الرجل حين **قال:** فهل لعاقل أن يتصور أن الله الخالق العظيم قد خلق كل هذه الأكوان ولم يعمر فيها إلا الأرض؟!

هذا استفهام استنكاري جوابه **بلي:** أي نعم، ثمة مخلوقات فضائية، وعليها فقد أجاب، إذًا هو تعمد ذكر الخالق العظيم لسبب ما، عله أراد أن يبدأ جدلية حول الخلق والخالق لمزيد من المعرفة، عند هذا الحد شعرت بسطحيتي الفكرية فأردت تلطيف الأجواء.

حدثته بالعربية لوجود رجلين حول المنضدة منشغلين برصها بأسماك مطهوة بشكل متقن.

فقلت له **مازحًا:** هو أنت جايبني من إسكندرية لباريس علشان تأكلني سمك.

ابتسم **مجاملًا:** من فات قديمه تاه.

بعدها طلب من النادل نبيذًا أبيض[1].

(١) هكذا يفضله دومًا حين يأكل سمكًا

خشيت عودتنا لحالة الصمت، فبادرته مستنهضًا همته لمواصلة **الحديث:** ألم تعلمني يومًا قول نبي الإسلام، إنما شفاء العي السؤال!

نجح مرادي وتحمس بالفعل **للكلام:** حسنًا! وبما أنك استشهدت به، هل تدري أن محمدًا هو أكثر الناس استعمالًا لأسلوب جواب الحكيم، والذي رفضته أنت من لحظة، ولم تعِ أهميته كونك متعلمًا بين يدي أستاذ.

خاطبته بمزيد مرح لتأليف **قلبه:** مثِّل لنا يا سيدنا؟

داوود: مثال صبيحة يوم صلح الحديبية، حينما صلى بأصحابه الصبح على أثر مطر، فلما أراد نهيهم عن قول مطرنا بنوء كذا، ويقولون مطرنا بفضل الله، إذا به يبادرهم **بالسؤال:** «أتدرون ماذا قال ربكم البارحة»؟ برأيك هل كان محمد يتوقع منهم جوابًا وكأنهم مطلعون على أقوال وأفعال الإله عالمون للغيب؟!

أنا: قطعًا لا.

داوود: قس على ذلك أحاديث تصحيح المفاهيم، «مثل أتدرون من المفلس»، «أتدرون من البخيل»، وحين مر رجل من فقراء المسلمين **سألهم:** «ما تقولون في هذا»! وبعدها الغني ليعلمهم أن علة الأمر التقوى، وأيضًا حين سأل «أيفتقد منكم أحدًا»؟ فحين **قالوا:** «لا»، عقّب «لكني أفتقد جليبيبًا» -الصحابي المسكين- أو لم يكن قادرًا أن يسألهم عنه مباشرة!

لم أجبه، بل ازددت مرحًا **ومازحته:** ليتني ما سألتك عن محمد يا بحر العلوم.

أخيرًا عادت له بسمته الأبوية وحدثني **بالعربية:** بلاش أونطة حارة اليهود دي، واعلم أني لن أسمح لك بالعشاء معي، حتى تثبت أنك استوعبت كلامي وتذكر مثالًا من عندك غير ما ذكرته.

عم المرح طاولة الطعام العامرة، فقلت متحديًا **بحماس:** ولتعلم نجابة تلميذك، سأزيدك من الشعر بيتًا ليس من اللغة فحسب، بل من أحاديثه أيضًا.

خطبته يوم النحر في حجة الوداع حين **سألهم:** «أي الأيام هذا»؟ «أي الشهور هذا»؟ حتى بلدهم الحرام سألهم عن اسمها وهو يقف أمام كعبتهم، لدرجة أنهم قالوا سيسمي هذه الأشياء بغير اسمها، وهكذا فعل ليعلمهم مدى حرمة دماء بعضهم بعضًا. أليس هذا جواب الحكيم أيها العجوز الحكيم؟

ضحكنا مليًّا حتى بدأ توافد الضيوف للعشاء.

ساعة أرودز

كانت العاشرة مساءً تمامًا حين أقبل علينا رجلان في غاية الوقار، يسبقهما مزيج من عطرين فاخرين نتج عن اختلاط أريجهما عبق ثالث فواح إلى حد ما.

كان الأول وجهه مألوفًا لديّ، وإن كنت لا أذكر أني قابلته، أما الثاني فكان أشد حشمة من الأول، وإن كانا يشتركان في الأناقة المناسبة لسنيهما.

فجأة وبدون تقدمة، دبت في داوود روح مراهق شاب، فقام متناسيًا أيًّا من قواعد اللباقة واللياقة المناسبة لفندق ريتز الفاخر.

فبسط داوود ذراعيه في الهواء، ثم قبضها كهيئة المحتضن، وأخذ يصيح بالعربية بلهجة **سكندرية:** حموو حبيبي صاحبي وأخويا وأجدع راجل في راس التين.

تلقفه الرجل الأول معانقًا إياه قائلًا بلهجة سكندرية أيضًا وهو **يمازحه:** حبيبي يا ابن عم بنيامين الساعاتي اللي ياما أدانا عُلق موت، وفرج علينا حارة اليهود.. قالها وانفجرا ضاحكين.

شاركهما ثالثهما الوقور الضحك وهو ينطق بعربية لكن بلكنة **أوربية:** ستظلان لووكال مهما كبرتما.

لم يكف داوود عن الضحك وعانق **الرجل:** خلي البساط أحمدي يا مولانا، ما أنت عارف إن الماجد ده أخويا وعشرة عمري.

التفت المرح نحوي ومن ثم **عانقني:** روبي حبيبي أنت أحلى من وصف اليهودي البخيل ده عنك، تعال يا واد في حضني.

لم أدرِ كيف أبادلهم المزاح، فقلت على **استحياء:** بالعكس ده حتى عازمني على سمك ونبيذ أبيض.

انفجر الضيفان ضحكًا فنظرت لهما بعيون زائغة مستفهمًا عما يدور، فقال داوود وهو **يضحك:** عمّك الماجد هو مالك الفندق، يعني كده كده مش دافعين.

هنا تذكرت أين رأيت الرجل، إذًا هو الملياردير المصري الماجد، فلقد رأيته مرارًا في التلفاز إبان حادثة مقتل قريبه (رودي) بصحبة الأميرة ليليانا.. إذًا لهذا ذكر لي داوود حين استنكرت عليه شفقته من ضحاياه، أني سألتقي بأصحاب القصة في الفندق.

التفت إلى صوت داوود وهو يعرفني بالرجل **الثاني:** أمير المؤمنين وإمامهم الشاه كريم الحسيني الأغا خان الرابع.

مددت يدي للوقور المتأنق بعدما تغلل جو المرح الذي يسود المكان **بداخلي:** تشرفت بفضيلتك سيدي ومولاي.

كان طاقم الخدمة قد انتهى من تهيئة مائدة الطعام، فقال كبيرهم موجهًا حديثه تحديدًا **للماجد:** العشاء جاهز سيدي، أتمنى لكم شهية طيبة.

شكره الماجد بتواضع قائلًا **بفرنسية:** ميرسي! بعدها واصل مزاحه المرح بالسكندرية ولكن هذه المرة نحوي.

محمد **الماجد:** يهودي أونطجي زي اللي رباك، سيدك ومولاك إيه يا بكاش، طب بالذمة أنت تعرفه!

أنا: طبعًا فضيلته إمام الشيعة الإسماعيلية.

محمد **الماجد:** طيب بتقوله مولانا ليه، هو أنت إسماعيلي؟

داوود: لا يا عم الإتحاد سيد البلد.

ضجت المائدة بالضحك، لكن الوقور لم يفهم الدعابة، فانبرى داوود لتوضحيها.

داوود: يا كريم سيد البلد ده لقب فريقنا المفضل الاتحاد السكندري، وعندنا فريق كرة اسمه الإسماعيلي برضه.

الماجد: وبرضه اسمهم دراويش زيكم.

ضحك كريم حين فهم المزحة وهو يهندم بدلته الشيك والكرافت الفخمة، قبل أن يمد يده لتناول أدوات المائدة.

التفت إليّ الماجد **يمازحني:** وَلَهْ يا روبي خليك على راحتك وكل بإيدك، بلا شوكة بلا سكينة، ده سمك، يعني مزاجه في الأزازة.

هكذا سارت الأمور أثناء تناولنا العشاء في جو من المرح، بعدها قام الماجد **واقفًا:** يلا يا جماعة نقعد في الهول عندي ركن هناك مفضل، الفيو بتاعه تحفة.

كريم: سوري يا مستر ماجد مضطر أمشي، ملتزم مواعيد. ثم وضع يده في جيب سترته الداخلي، فأخرج مظروفًا صغيرًا ناوله لداوود **قائلًا:** لم أشأ أن أرسل إليك أحد رجالي، وفضلت أن آتي بنفسي وأسلم عليك، نورت باريس يا مستر داوود.

فتح داوود المظروف، وأخرج طرف شيك بنكي، ونظر إلى الرقم المدون **وابتسم:** منورة بأهلها فضيلتك.

ابتسم الماجد **بدهاء:** الإسماعيليين راضيين عنكم يا داوود.

فهم داوود مغزى الكلام فأجاب **بجدية:** شبكة الأغا خان للتنمية عاملة شغل جامد حول العالم، أنا سمعت إنكم صرفتم ٨٠٠ مليون دولار السنة دي، صحيح الرقم ده يا مولانا؟

هز كريم أغا خان رأسه **إيجابًا:** كله في سبيل الله.

الماجد: بالحق يا كريم، قبل ما تمشي علشان كل ما أحاول أسألك أنسى.

التفنا جميعًا صوب الملياردير ابن منطقة بحري ظنًّا منا أنه سيتفوه بشيء ذي بال، فإذا به **يقول:** هي ريتا هيوارث تبقى أمك ولا مرات أبوك؟

أجاب الرجل بطيبة، إذ لم يلمح لهجة السخرية في كلام **الماجد:** هي زوجة أبي وأم أختي برنسيس ياسمين.

مد داوود يده مصافحًا إياه ومنهيًا **للحوار:** تبقى طمنا عليك سموك، وسلامي للأسرة الكريمة.

انصرف الرجل بعدما حيانا بأدب جم، بعدها استدار داوود ناحية صديق عمره **الماجد:** هتعيش وتموت عتال ميناء، الرجل مش قد هزارك الثقيل، عارف يا روبي إن عمك الماجد بدأ حياته عاملًا بسيطًا في ميناء الإسكندرية.

الماجد: ده فخر لي يا بني، المهم دلوقتي تعال يا داوود نقعد عشان عاوزك في موضوع. وأمسك بيدي بحنان **أبوي:** تعال يا روبي يا بني اشهد على كلامنا.

شعرت بعاطفة جياشة تجاه الرجل عزوتها لبساطته اللا متناهية وخفة ظله المفرطة، والتي لا تقلل من هيبته بنفس الوقت على عكس المتوقع.

في ركن مميز في بهو الفندق، اتجه بنا الماجد، وهناك وجدنا أصنافًا من الفاكهة والشراب، وبعد جلوسنا ابتدر داوود بالكلام.

داوود: وحياة العيش والملح يا ماجد، لو هتتكلم في موضوع قضية رودي الله يرحمه، يبقى بلاش، ومتحرجناش مع الجماعة في بريطانيا أكتر من كده.

الماجد: يعني إيه يا داوود؟ طيب حتى تعويض على الأقل.

داوود: ما حتى لو تعويض، يعني ده معناه اعتراف إن المخابرات البريطانية هي اللي عملت كدة، وأنت عارف وأنا عارف إن ده مش هيحصل.

شرد الماجد للحظات علت محياه مزيج من الأسى **والفخر:** فيه موضوع تاني يا داوود ومش عاوز فيه لك كتير.

داوود: خير يا ماجد؟

قال وهو ينظر **إلي:** بعد عمر طويل عاوز لما أموت جثماني يتحنط، والمومياء تعمل بها عقرب في الساعة الضخمة اللي فوق المحلات في لندن.

بدت آثار الدهشة على قسمات وجه داوود، فقال بلا **وعي:** أي محلات؟

الماجد: إيه يا داوود مالك! محلات أرودز طبعًا.

داوود: أنا فاهم بس أنت لخبطتني بطلبك الغريب ده، عاوز تتحنط يا ماجد!! وتبقى عقرب في ساعة.. معقول الكلام ده!!!

لم أستطع منع نفسي من الفضول **فسألته:** ليه نويت كدة يا مستر ماجد؟

الماجد: شوف يا بني، فعلًا زي العجوز ده ما قال، أنا جبتها من تحت أوي، وصح إني اشتغلت عتال في ميناء إسكندرية، بس وصلت لحد ما بنيت وشاركت حكومة الإمارات لما عملت لهم ميناء دبي، وحاجات غيرها كتير، منهم الفندق اللي إحنا قاعدين فيه.

بس كله كوم ومحلات أرودز دي كوم تاني.. المحلات دي رمز نجاحي، حلمي اللي اتحقق، التحدي اللي راهنت عليه وكسبته.

هنا بدأت تنسال من عينيه دمعات، فأخرج منديلًا حريرًا مسحها، وهو يواصل حديثه **لي:** علشان كدة أخدت القرار ده، ومصِرّ عليه. ثم حاول أن يتصنع البهجة، ومش هلاقي ساعاتي أشطر من اليهودي ده، عشرة عمري علشان يحافظ على جثتي ويحسن معاملتها، خصوصًا إني عارف أد إيه هو بيحبني.

تأثر داوود بما سمع، لكنه تصنع **المرح:** يا حمو مش يمكن أنا أموت قبلك.

نظرت فورًا لوجه الماجد لأستبين رد فعله على الجملة الأخيرة، وتساءلت في **خاطري:** هل هو يدرك حقيقة أن داوود ليس ببشري، لكن فوجئت به **يقول:** وقتها يبقى روبي ينفذ وصيتي، علشان ولادي مش موافقين وأنا مُصر على ده.

وحين قال ذلك علمت أنه لا يدري أن صديق عمره المخلص ليس سوى شيطان.

توءم الروح

هكذا سارت بنا الأمور خلال ثلاثة أيام بين لقاءات مع شخصيات مهمة يعقبها غالبًا أظرف تحتوي شيكات بأرقام لا تقل عن ستة أصفار في الغالب، وأحيانًا كنا نخرج للتنزه بغرض كشف أسرار عائلة قابيل المقدسة لي كي أكون على دراية بما أنا مُقدم عليه.

لذلك لم أدع غموضًا مر بي طوال عمري معه إلا وسألت عنه داوود، إلى أن كنا نجلس صباحًا في بهو الفندق، فبدأت معه جلسة الأسئلة، فكان من الأشياء التي علمتها منه، أن داوود هو المسؤول المالي المختص بالجماعات والطوائف التي صنعناها على مدار التاريخ. وأنه هو نفس الشخص لأبيه وجده الذين وُجدا في الحارة، وأنه كان يتقمص شخصيات عدة حتى لا يلاحظ أحد أنه لا يشيخ بمرور الزمن، لذا لم يشاهد أحد من أهل الحارة الجد والأب أو الأب والابن سويًّا إلا في مرات نادرة، كان يستعين فيها داوود بأحد الشياطين ليتقمص الشخصية المرادة.

كما علمت أن عمره ١٢ ألف سنة، وأنه كان طفلًا حين دمر الطوفان قارة أطلانتا، وأنه عُبد في جزيرة العرب قبل الإسلام تحت اسم إيساف مع شيطانة اسمها نائلة، وأن نائلة تلك هي توءم روحه على حد تعبيره.

ظننت في البداية أنه تعبير مجازي يدل على مدى العشق أو حتى الانسجام والتجانس إلى أن تلا على مسامعي آيات **القران:** «ومِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون»

ثم قال لي: ماذا تفهم من الآية؟

قلت: المعنى واضح، طلب المودة والرحمة بين الأزواج والزوجات.

داوود: لكن الآية بصيغة الماضي، **خلق:** جعل، فكيف يمن الرب على عباده بشيء ليس موجودًا على أرض الواقع.

بمعنى آخر، هل كل الزيجات بينها المودة والرحمة؟

قلت: أكيد لا، ولكنك تعلم أن ثمة فوارق بين الإرادة الدينية الشرعية والإرادة الكونية الخلقية القوية.. أو هو بلاغيًّا خبر على سبيل الإنشاء و....

قاطعني **قائلًا:** بس بس، قبل أن تخوض في مسائل القضاء والقدر ومراتبه، ماذا تقول في قوله إلى لفظة (أنفسكم) وكما في قوله «خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها».

قلت بلا تردد أو حتى **تفكير:** آدم وحواء، وإن الناس جميعًا من نسلهما.

قال: كيف وقد أخبرك بميثاق الذر الوارد في آية **الأعراف:** «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا».

أنا: يا عم داوود الله يصلح حالك أدخل في الموضوع على طول وبلاش موضوع جواب الحكيم ده، عاوز تقول إيه؟

داوود: بداية القصة هي بداية الروح، أعني الخلق الأول حين خُلقنا جميعًا كنور شذر متطاير من الروح الأسمى، والنور الأول الأعظم.. ليس فينا ذكر أو أنثى، وإنما فقط طاقات من نور، ولكن حدث أن (أحدهم) تكبر وتجبر وتعدى قدره، وزعم أنه هو الأول والآخر، وحبس تلك الأرواح في أجساد مادية من طين وغرز فيها الشهوات بأنواعها وقسمها إلى زوجين.

والأدهى أنه أنسى الأرواح حقيقتها الأزلية، كونها حرة خالدة، فجعلها مستعبدة له ومقيدة بنفس نفخها هو في الجسد المادي الذي جعله له سجنًا، لذلك الروح لا تَموت وإنما تنتقل من عالم إلى عالم آخر، والروح باقية إلى ما لا نهاية، وهي السر الأعظم، أما المادة التي هي طين، فتبلى وتفنى حتى تصير عدمًا.

وعليه فكل روح تبحث في اللاشعور عن نصفها الأزلي المتجسد، حتى تكتمل وتتحد به، ولو كان الاتحاد اتحادًا ماديًّا، ولكن للأسف نسبة اللقاء ضئيلة جدًّا نظرًا لتكرار الحيوات فضلًا عن الأكوان؛ لذا يقول رسول الإسلام في الحديث المتفق على صحته عند البخاري **ومسلم:** الأرواح جنود مجندة، ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف.

وهذا ما تسمونه الحب، وفق رؤيتكم المحدودة، ولكن الأمر أعقد من ذلك.

أثار كلامه مئات الأسئلة بداخلي، مثل من يقصد بـ (نحن)؟ هل من أين جئنا؟ إلى أين نذهب؟ لكن السؤال الأهم والذي قررت البدء به **هو:** بما أن خالق الروح غير خالق النفس، وأن الأخير قيدهما سويًّا داخل المادة **الفانية:** أي الجسد، فأي الخالقين خلق

الأكوان والطبيعة من حولنا؟ ولمَ خالق النفس سجن الروح في البدن؟ أم أني فهمت كلامه بشكل خاطئ!!

لكن وكعادته قرأ أفكاري فبادرني **قائلًا:** يا روبي يا حبيبي، لِمَ العجلة! كل هذه الأسئلة وغيرها مما لا يخطر لك على بال، سيجبيك عليها جدك حين تلتقيه.. ألم أقل لك إنك فُتح لك خزانة الأسرار وبحر العلوم!

قلت: لكن أنا حييت عمري كله بحياة مليئة بالألغاز من حولي، وأنت بالأمس القريب أذنت لي بالسؤال، فلِمَ أراك الآن تقطرني العلم قطرات؟! وكأنك تسمعني نفس كلماتك القديمة، طعام الكبار سم للصغار، ألا ترى أني نضجت بما يكفي لتناول قطعة من اللحم الشهي.

ضحك داوود حتى استنار وجهه الوسيم، ونطق جملته **بالعربية:** كبرت يا واد وبقيت ترد الأمثال بالأمثلة.

ثم أتم الحديث باللغة الآرامية لغته **المفضلة:** عارف يا روبي لو ضل شخص في صحراء وحُرم الماء لثلاثة أيام فيما أكثر، فحين يجد الماء لو شرب حتى الارتواء لتشققت رئتيه الجافة، وإنما عليه أن يبلل أعضاءه الحيوية أولًا، بدءًا من شفتيه.

وضم يدي بحنان ليديه وهو يقول **بالعربية:** حاجة كدة زي تسخين العضلات وإحمائها قبل المباراة، كذلك عقلك لا تحمله أكثر مما يطيق.

فلما لم أعره جوابًا **قال:** تيجي أأقولك علامات توءم الروح؟! ثم **ضحك:** علشان لما تلاقي الحتة بتاعتك تعرفها.

هززت رأسي بالموافقة فقال **بالعربية:** بص يا سيدي أول علامة وأهمها، إن رقمي تاريخ ميلادكما يساوي الرقم ١١ متجاورين على

جدول حساب الجمل اللي علمته لك وإنت صغير، حين كنت أعلمك سر الرقم ٦٦٦ الخاص بالشرير في سفر رؤيا يوحنا، لسة فاكره!

أنا: لكنك علمته لي بالأحرف العبرية الـ ٢٢، ويمكن اسمها مش عبري، ويكون فيه حروف مش موجودة في ٢٢ حرفًا عبريًّا.

داوود: احسب على الجدول العربي اللي حفظته لك، ومتنساش إنه بترتيب، أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ[١].

استرجعت الجدول في ذهني وأنا **أجيبه:** أيوه فاكره، استنى أحسبه وأشوف اسمها.

قهقه **داوود:** طيب أنت هتعرف اسمها منين.. أنت بس هتيجيب رقم يا ابن إيطاليا[٢] الشعنونة.

أخذت الأمر على محمل **الجد:** والنبي ساعدني يا عم داوود واعتبرنا بنلعب.

زاد وجهه **إشراقًا:** ماشي يا سيدي، يلا ادينا بنلعب ونتسلى.

---

(١) أ ١	ح	٨	س	٦٠	ت	٤٠٠
ب٢	ط	٩	ع	٧٠	ث	٥٠٠
ج ٣	ي	١٠	ف	٨٠	خ	٦٠٠
د ٤	ك	٢٠	ص	٩٠	ذ	٧٠٠
ه ٥	ل	٣٠	ق	١٠٠	ض	٨٠٠
و ٦	م	٤٠	ر	٢٠٠	ظ	٩٠٠
ز ٧	ن	٥٠	ش	٣٠٠	غ	١٠٠٠

(٢) إيطاليا هي المرأة التي حملت بوليّ بعد عملية استنساخه، التفاصيل في الجزء الأول من الرواية بعنوان (ولي الله اليهودي). المؤلف.

قلت: نبدأ بحساب اسمي **العربي:** ولي يعني و=٦، ل = ٣٠، ي = ١٠، إذًا يبقى ٦+ ٣٠+١٠= ٤٦.. وبعدين نجمع الرقمين يبقى ٦+ ٤= ١٠ وبعدين ٠+١=١.

صحت بمرح إذًا اسمي يساوي رقم واحد.

ضحك داوود ملء شدقيه، وبانت **نواجذه:** طبعًا مش أنت ملك، وسليل ملوك وملائكة.

قلت: يعني إيه؟

قال: يعني أي اسم في أي لغة لازم ينتهي حسابه برقم أحادي، من واحد إلى تسعة زي ما أنت حسبتها، لكن نادرًا ما ينتهي اسم شخص إلى الرقم ١.

قلت **بدهشة:** يعني أنت مكنتش عارف كدة لما سميتني؟

قال جوابًا زادني **دهشة:** مين قالك إني أنا اللي سميتك ولي.

قلت **بسرعة:** يا عم داوود أنت متعرفش تحكي مرة واحدة، خلصني بالله عليك مين اللي سماني ولي؟

ضحك مليًّا **وقال:** أنا فاكر كويس لما جابر الصياد عمل شغل الدروشة بتاعه وأصر على تسميتك باسم ولي الله، يومها محروسة كانت هتطلق فيها، والغريب إصراره على الاسم، وهي مصممة على تسميتك عمر، وكانت أول وآخر مرة يرفض لي طلب لما رجوته أن يقبل اسم عمر علشان أريحها[1].

---

(١) قصة التسمية مذكورة كاملة في الجزء الأول، والمنشورة باسم (ولي الله اليهودي).

قلت **بحماس:** سيبك من جابر الدرويش دلوقت، وخلينا في اسم توءم روحي المنتظرة نعرفها إزاي؟

داوود: لازم حساب اسمها يكون ١ علشان ١ بجانب ١ يعطي الرقم ١١، وهو ده السر، ناس كتير من السحرة بتجمع الأرقام مش بتجاور، مع إن السر في المجاورة وليس في الجمع بين الاسمين.

أنا: ده معناه إني لازم أجمع كل أسامي البنات في كل اللغات عشان أعرف اسمها!!!

مط داوود **شفتيه:** لا طبعًا؛ لأن فيه علامات تانية، ومقدمات لو لقيتها تبدأ تحسب اسمها.

أنا: علامات زي إيه؟

داوود: زي إنك عندما تكون مع توءم روحك فإنك تشعر كأنك تنظر إلى نفسك في المرآة، الروح واحدة فتنعكس في عين توءمك حتى طريقة الكلام، أو بعض الأفعال تتطابق، شبه كبير بينك وبين توءمك، تشعر أن هذا الشخص أنت بس في جسد مختلف.. الشخصيات قد تختلف أكيد نظرًا للبيئات المختلفة، لكن هناك الكثير من التوافق والتشابه في الآراء والأشياء المحببة والمكروهة.. حتى ببعض الأنماط في حياتكم تتطابق، نفس النمط في الحياة وليس نفس الأحداث.

الحب الحقيقي من أول نظرة، عند تتلاقي الأعين، يحدث شيء ما غير طبيعي.. فإنك تقع في حب هذا الشخص من أول نظرة، بالرغم من أنك عمرك ما عرفته في حياتك، لكنك تعرفه بالفعل منذ آلاف السنين، ولم ولن تحب شخص في حياتك كما تحب توءم روحك؛ لأنها علاقة أقوى من علاقة الدم.

كان داوود يتحدث وعيناي تطوفان بالمكان تبحث عن اللا شيء الوهمي كالظمآن يرى السراب يحسبه ماءً.

داوود: حين تلتقي بتوءم روحك، عندها تكون مستعدًا وأكثر نضجًا لتحمل مصاعب وتحديات هذه العلاقة؛ حيث يعكس توءم روحك –بما أنه مرآتك– كل المشاكل والعيوب التي يجب أن تصلحها في نفسك، في أي عيب تتذمر أو تشكو منه، هو في الحقيقة مجرد انعكاس لعيب داخلك أنت، فتجبرك هذه العلاقة أن تواجه نفسك بكل عيوبها ومزاياها، وهكذا يساعدك توءمك أن تتطور وترتقي وتتخلى عن كل شيء سلبي، فترى الحياة، وكأنك تولد من جديد.

وفي العادة تقابل توءم روحك في مكان غير مألوف، وفي وقت لا تتوقع فيه أن تقابله، كل ذلك يحدث فجأة وبدون ترتيب من أي منكما.. وأحيانا ترى توءم روحك في الحلم أو ترسم صورته أو تكتب أوصافه وأنت لا تعرفه تحديدًا أو قابلته.

في كل الأحوال روحك تحاول أن تخبرك بأي طريقة أنك تقابلت مع توءمك.

هذه أكثر علامات تدل على أنك قابلت توءم روحك، وتمر بعدها بيقظة روحانية ويقظة نفس، وتصل إلى حقيقة ذاتك، بعد تحقيق اكتمال الروح، وعند الشعور أنك لا تحتاج لأي شخص في هذه الحياة، وأن روحك مكتملة بذاتها.

نظرت تجاه داوود فوجدته كان قد أخرج من محفظته الخاصة صورة لامرأة غاية في الجمال، كان يحادثني دون أن يكف النظر إليها بعشق بيِّن.

فسألته: نائلة؟

فأجابني بإيماءة من **رأسه:** أي نعم، ولم يذهب بصره عن الصورة أو يكف عن حديثه.

وواصل: عندما فقط تلتقي بتوءم روحك، تجد لنفسك هدفًا ومعنى لاستكمال رحلة الحياة، وتحقيق حلم الجنة على الأرض، والأهم من ذلك كله أنك تستطيع أن تتخاطر معها مثلما نفعل سويًّا أنا وأنت تلباثيًّا[1].

ظن داوود أني شردت بخاطري عنه، ولكن الحقيقة أني بدأت في إرسال خاطرة على شكل رسالة ذهنية قصيرة. وكما علمني داوود في الصغر، أنه كلما كانت الرسالة قصيرة ومتكررة كلما كان الاستقبال أسهل، حتى وإن كان المُتلقي لا يعي فن الاستقبال تلباثيًّا.

كانت الرسالة **مفادها:** «أين أنتِ»؟

استفقت من إرسالي على صوت **داوود:** يستطيع توءم روحك أن يقرأ كل أفكارك ويشعر بما تشعر به حتى عن بعد؛ لأن هناك رابطة من الطاقة تربط بينكما، ولن تنقطع أبدًا حتى بعد الموت، والتقمص في الحياة الجديدة، وتزيد قوة التخاطر عندما تكون قريبًا من توءم روحك، وتقل قليلًا في البعد.

فجأة وبدون مقدمات صرخت **بالعربية:** استقبلت استقبلت.. يا عم داوود استقبلت.

لفتت صرختي المفاجأة انتباه الحضور، وعليها ابتسمت فتاة استقبال الفندق الجذابة التي كانت ترمقنا حين وصلنا الفندق في اليوم الأول.

---

(١) لغة العقول.

انزعج داوود من صرختي التي أخرجته من هيامه مع صورة نائلة، فقال **بالعربية:** الله يخرب بيت أهلك، استهبلت، ولا استقبلت أي نيلة على دماغك!

أنا: استقبلت تخاطر، البنت اللي في الريسبشن، عاجبها لون شعري الأحمر وبتقول في نفسها إنه لون شعر الأمير هاري ابن ديانا وتشارلز.

داوود: تعرف إن جدته الملكة إليزابيث تبقى حفيدة محمد رسول الإسلام و....

قاطعته: مش وقته يا عم داوود، قوم والنبي قوم خلينا نكلمها، شكلها هي توءم روحي.

داوود: توءم إيه يا أهبل يا ابن الهبلة، أنت مفكر الموضوع بالساهل كدة، الناس بتعيش حيوات متكررة، ونادرًا ما حد بيلاقي فيها توءم روحه، أنا مثلًا أهو قدامك، عارف أنا لقيت نائلة بعد كام .....؟

لم أرغب في مزيد من السماع، وإنما انتفضت قائمًا بلا أدنى تفكير، وسرت نحوها، نظرت خلفي فوجدت داوود يبتسم بمكر، وهو يشير إليّ بيده بمعنى أكمل خطواتك إليها.

خاطبته تخاطريًّا **بالآرامية:** أيها العجوز الماكر، ألا تعلم أني عديم التجارب العاطفية، تتسلى بمشاهدتي، وأنا أرتجف خجلًا!

فأجابني تخاطريًّا بالعربية، ليزيد **معاناتي:** ورينا شطارتك يا عم هاني شاكر.

رجوته المساعدة، فلم يأتيني منه جوابًا سوى صوت شفتيه، تعزف على أوتار **أعصابي:** تؤ تؤ تؤ.. وهو يهز رأسه نكاية بي.

سعيت إليها أحسب خطواتي إليها آملًا أن أعد لها مقولة تكون سببًا للسؤال عن اسمها، لكن ما إن وقفت بين أيديها، حتى قرأته على بطاقة التعريف النحاسية المثبتة على سترتها، لينا بو العافية.

كدت أتقهقر للخلف بعد أن نلت مرادي، أو على الأقل أتظاهر بانشغالي بهاتفي، إلا إني فوجئت بصوتها الملائكة يسألني بفرنسية **رقيقة:** كيف لي أن أخدمك؟

ألقيت بما هداني إليه خاطري المبعثر على لساني، فارتجلت أول جملة مرت **أمامي:** هل لي أن أطلب منك أن توصي خدمة الغرف بمزيد من الأغطية لغرفتي.

تسمرت عيونها التي بلون شواطئ العجمي الصافية، قبل غزو زيوت مصافي البترول القريبة لها، على عيوني، وبعد أن كانت تسترق نظرات خاطفة على شعري الأحمر الوهاج، ارتسم شبح ابتسامة على شفتيها اللاتي كانتا كفصي ثمرة يوسفي نضجت لتوها تتساءل عما أعنيه.

حينها أدركت أنها ستتساءل عن التكييف المركزي عالي الجودة، ولكي لا أتورط أكثر انسحبت قبل أن تسأل **مردّدًا:** ميرسي!

استدرت فواجهت داوود أمامي يحرك حاجبيه لي هزوًا، فسرت إليه وأنا ألعنه في صمت.

داوود: أها يا بطل! عملت إيه؟

أنا: طبعًا زي الزفت!

داوود: المهم اسمها إيه؟

أنا: لينا.

داوود: تمام، قلنا اسمك يساوي ١، وده طبعًا لأنك نوراني الأصل، يعني المفروض توءمك يكون حساب اسمها يساوي ١ عشان يكون ١١ بالتجاور، صح!

كدت أصرخ في **وجهه:** خلص يا عم داوود.

داوود: ماشي! ل= ٣٠، ي= ١٠، ن=٥٠، أ = ١

يبقى ٣٠ +١٠+ ٥٠+ ١= ٩١، وبعدين ١+٩=١٠

تغير وجهه وعبس صامتًا

فأتممت أنا بلهجة الفاتح **المنتصر:** ٠+١= ١

يعني لينا تساوي ١ مع ولي ١ يبقي ١١ بالمجاورة، هاه إيه رأيك؟

همس داوود متعجبًا بصوت **مكتوم:** مش ممكن، إزاي ده يحصل؟!

أنا: ليه بس؟

داوود: مش معقول بالسهولة دي، لأن لو ده حقيقي، تبقي دي إشارة ورسالة، مش قلت لك إن عالم الأرواح ليس فيه مجالًا للصدف، الصدفة فقط في عالمهم المادي القذر.

لم أفهم مراد داوود **فسألته:** ماشي بس دي برضه إشارة لإيه؟

قال داوود بمنتهى **الجدية:** المهم دلوقت عاوز تاريخ ميلاد البنت دي ضروري.. وهفهمك بعدين!

قلت **بحزم:** لا بعدين ولا قبلين، لازم أفهم دلوقتي، معنديش استعداد أرجع لأيام الألغاز تاني.

ويكأن داوود أراد أن ينتهي من فضولي اللحظي، ليهتم بما هو **أهم:** بص يا حبيبي، ١١ دي تقريبًا بتحصل مرة كل ٣٠٠

مليون توءم روح، أو أكثر، وعلشان كدة هي أكيد علامة من ملايين العلامات، وكونها تحصل معاك فورًا ودلوقت بالذات من بعد ما كلمتك عن نائلة، ده معناه إن الإله هو اللي أجرى الكلام على لساني.

فلما تكون هي رقم ١ ده معناه إنها من بنات النور، وسليلة عائلة قابيل المقدسة.

أنا: وبعدين؟

داوود: أنت تاريخ ميلادك ٧\٣٠ \١٩٧١، يعني ٤ برج الأسد، صح!

قلت **بلهفة:** صح.

قال كمن يفكر دون النظر **إليّ:** لو هي كمان ٤، يبقى دي إشارة إن الإله بيطلب مننا الاقتران بها.

ولو هي ٤ وبرج دلو... صمت للحظة ونظر إليّ من بعد **شرود:** ده معناه إنه مطلوب منكما الإنجاب.

كنت مذهولًا لما **أسمع:** إنجاب؟ إنجاب؟ ليه يا عم داوود؟

قال داوود بفخر وهو يتأمل الفتاة القابعة خلف حاجزها الرخامي، وتوزع ابتسامتها على **عملائها:** لو أنا قريت الرسالة صح، يبقى ده أسعد يوم في عمرك، لإنك ستنجب الرب مايتريا..

بتقول إيه يا عم داوود؟!!

هز رأسه داوود تأكيدًا **لكلامه:** الرب مايتريا، اللورد الماستر هو رسول عصر الدلو.. هو بوذا الخامس، وكريشنا العائد، والمسيح المعزي، هو ملك اليهود المخلص، ومهدي المسلمين المنتظر، وهذا لأنه روحاني خالص، من نصفيكما المكتمل.

أنا: بس اللي أنا فاهمه إن ملك اليهود مولود فعلًا من زمان وإنه خالد!

داوود: فهمك صح، والمايتريا هو تجليه الأخير.

أنا: مش فاهم!

داوود: حسب قوانين الأفاتار[1] يا غبي.

خلص البنت شكلها هتمشي، خليني أتصرف وبعدين هفهمك بالتفصيل.

نظرت نحوها فإذا بالفتاة تحادث زميلًا لها، وينظران في ورق أمامهما مما يعني أنه وقت تسليم نوبة عملها.

لذلك أغمض داوود عينه، وارتعشت عضلات ما بين حاجبيه، كما يفعل حين يدخل في التأمل التجاوزي، وهو يضم كفيه بقوة كمن يقبض على شيء، فعرفت أنه يُفرض إرادته على إرادة الفتاة تخاطريًّا، فوزعت نظري بينهما، وحين فتح عينه نظرت الفتاة نحونا بمشاعر جامدة، وحين بدا لنا أنها أنهت كلامها مع زميلها بسط داوود كفه فاتجهت الفتاة إلينا بخطى ثابتة كروبوت جيد الصنع، حتى وقفت أمام داوود الذي ما إن نظر إلى المقعد الشاغر فإذا بها تجلس عليه بصمت.

سألها **داوود:** اسمك لينا، أليس كذلك؟

أجابت لينا دون أن يطرف لها رمش، وهي تنظر إلى نقطة مثبتة على اللا **شيء:** صحيح!

---

(١) الأفاتار هي صور تجسد الإله في الجسد البشري وحياته على الأرض، وهي نفس فكرة الحلول والاتحاد عند الباطنية العرب.

داوود: هل هو ما أسماك به والداك والمدون في أوراقك الثبوتية، أم هو اسم مختصر تفضلينه على اسمك الأصلي؟

لينا: إنما هو اسمي، ولم يك لي يومًا اسمًا سواه.

داوود: حسنًا، ما تاريخ ميلادك يا لينا؟

لينا: ٢٠ يناير ١٩٨١.

كدت أن أشهق وأنا **أقول:** برج الدلو يا عم داوود!

أجابني داوود وهو يتفحص الفتاة التي لا تلتفت إلينا، وكأن الأمر لا **يعينها:** والأدهى أن رقم ميلادها ٤ مثلما ورد في الإشارة!!

كنت على يقين أن داوود يعي ما يقول، ومع ذلك أخذت أجمع الرقم.

٢٠ + ١+١٩٨١= ٢٠٠٢

إذا ٢+٠+٠+٢=٤

عند هذه اللحظة، ولسبب لا أعلمه، وجدت عاطفة جياشة في قلبي تجاه الفتاة، ورغم ذلك، كان صوت بداخلي **يناديني:** تبًّا لهذا الهراء والسخف، ليس هكذا تجري الأمور، أبفعل الكواكب والنجوم وحساب الأرقام والجمل يتولد حبًّا؟!

قرأ داوود ما طرأ على ذهني حالًا **فقال:** لماذا تحب فلانًا أو فلانة؟ دعني أجيب لأني لا أتوقع منك جوابًا، أتدري لِمَ؟ باختصار شديد، لأنه قدرك حتى حبك لأبيك أو أمك، أخيك أو أختك، أنت لم تختر شعورك نحوهم، ولا تملك إلا حبهم، قد يبغض البعض أمه أو أبيه، ولكن حينئذٍ سيكون له سبب أو أكثر للبغض، أما الحب فلا يحتاج لسبب لأنه ببساطة، هو قدر.

كانت تعابير قسمات وجهه تنم عن مزيج من الدهشة والسرور، إلى أن سأل **لينا:** ما لقب عائلتك؟

أجابت بكلمات جامدة، وبنفس النظرة إلى النقطة **المجهولة:**bellavio ، (بو عافية).

لاحظت بريقًا لمع في عين داوود الزرقاء، قبل أن يبتسم وينظر لي قائلًا **بالعربية:** أها كدة فهمت!

قلت على **الفور:** فهمت إيه يا عم داوود؟

لم يعرني انتباهًا، وإنما توجه للفتاة بجملته المعهودة عند انتهاء جلسات فرض الإرادة، فبعد أن طلب منها القيام **أمرها:** يجب أن تتذكري أن تنسي أنك تتذكرين، وأن ما في اللا وعي يجب أن يبقى هناك للأبد.. وأما إن أردت طلبك سأهمس في أثيرك بنبرة صوتي، وبنبرة صوتي فقط بداوود الساعاتي.

بمجرد أن أدارت الفتاة لنا ظهرها قلت لداوود بالعربية **متلهفًا:** خير يا عم داوود؟

وحين أجابني بالآرامية، علمت أنه سيسهب في الإجابة، فاعتدلت في مكاني لأكون أكثر **إنصاتًا:** إنها هي يا ابني، وسيكون لكما شأن عظيم، ويكفيك فخرًا أنك ستكون لك منها ذرية ملكية هي من ستحكم الكون يومًا ما.

قلت: لكن كيف وأنت تعلم أني غير مسموح لي بالاقتران خارج العائلة؟

أجاب: لا أعلم الكيفية، لذا عليك الآن اللحاق بها لتنفذ مشيئة القدر.

تتبعت الفتاة حتى خطت بضع خطوات خارج الفندق، وألقيت عليها تحية المساء، فالتفت لترد التحية، وحين أبصرتني سحرتني ببسمة رقراقة كدت على إثرها أن أنتشي سُكرًا، وحينها شعرت لينا بخجلي المفرط، وزادت من بسمتها، فزاد وجهها إشراقًا وهي تقول **مازحة:** ألا تزال تريد المزيد من الغطاء لفراشك أم تريد قول شيء آخر؟

= هل أستطيع أن أدعوك إلى كوب من القهوة.

دار بي الميدان كالمصروع حين رفضت قهوتي، حتى تبين أنها تمزح وهي **تقول:** ليس أقل من كأس ضخم من الآيس كريم.

واتبعت جملتها بضحكة مرحة تدل على شخصية نقية وبسيطة لا تهتم بالتعقيدات، بادلتها ضحكاتها المرحة بضحكة طفل فرح بيوم العيد، وهي تقودني للمطعم القريب، وهناك حيتها صاحبة المطعم البدينة بالآنسة بسلة، بادلتها لينا التحية مصحوبة بالضحكات.

مساء الخير مدام أنجلينا، نريد أضخم كأسين من الآيس كريم.

مرت ساعتان كذبت فيها كل الكذب المتقن الذي يستطيع لسان أن ينطق به، حول من أنا ومن أسرتي وماذا أعمل... إلخ.

نعم أعترف إني كنت كذوبًا، إنما في تلك الجحافل الغازية من المشاعر التي تدق حصون قلبي المنيع، فإنما كنتُ أتحدث بعفوية ينطق بها لساني دون إرادة مني.

قد أجزم أني لم أبح بحبي لها بشكل مباشر، لكني استخدمت كل مفردات الفرنسية التي أعرفها لأصف شعوري بالانجذاب لها من النظرة الأولى.

وأجمل ما في اللقاء أني لم أجد منها صدودًا ولا إعراضًا، وإنما صرحت لي بشكل مبطن، أنها تجد مثلما أجد من انجذاب منذ دخولي الفندق، وهو ما أثار دهشتها لدرجة أنها أخبرت أمها بذلك الانجذاب وتلك الراحة النفسية لشخصي الذي تراه للمرة الأولى.

عدت بعد اللقاء إلى داوود بوجه غير الذي ذهبت به، فلما رآني ابتسم وأشعل سجاره الفاخر ثم سألني عما فعلت.

قصصت عليه ما حدث، ثم سألته بدوري عمّا تخبره به الأرقام والحروف.

قال: لا أخفيك سرًّا، في البداية ظننت أن ثمة خطأ ما حين علمت أنكما ١+١، لكن أن يتوافق نجمًا كونيًّا ٤+٤ وخاصة أنها أول أيام الدلو، وهذا معناه أنها وعاء معد للتخصيب، وكما تعلم أن الوعاء رمز للأنثى كما في الكأس المقدسة، وأنت أسد فكل هذا أكد لي فحوى الرسالة، أنكما توءم روح.

وعلى حين غرة، وجدت داوود يبتسم بسعادة وهو **يقول:** هل تعلم أنها مثلك من أصل نبيل.

هتفت: كيف؟

داوود: عائلة bellavio، أصلها أبو العافية، وهم من يهود السفرديم المخلصين لنا، الذين هُجروا قسرًا مع المسلمين من الأندلس.. وقتها كانت العائلات تتخذ أسماء غير دينية للاستخدام خارج المعابد، لكن أصل الاسم هو (אבולעפיה) لكن مع مرسوم الحمراء الذي طرد اليهود من إسبانيا، لجأ الكثير من أفراد أسرة أبي العافية ويهود آخرون لم يتنصروا إلى أماكن أخرى حول أوربا وحوض البحر المتوسط، وخصوصًا الدولة العثمانية؛ حيث آواهم

السلطان. مع ذلك، فالنسب لم يختف في إسبانيا كليًّا، فما زال هناك كاثوليكيون يحملون اسم Abolafio أبولافيو. أفراد أسرة أبي العافية الذين غادروا عام ١٤٩٢ واستقروا كونهم يهودًا في إيطاليا أصبحوا يعرفون بأسماء مثل Abolaffio أبولافيو وBolaffio بولافيو وBolaffi بولافي.

استقر أفراد عائلة أبي العافية، كما فعل معظم اللاجئين السفارديم، غالبًا في الأجزاء الأوربية للدولة العثمانية، خصوصًا في سلانيك وإسطنبول، هذه كانت الأماكن حيث تركزوا، حتى الهجرات التالية إلى أركان أخرى في الدولة العثمانية مثل تونس ورودس، مع انهيار الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى ثم بعد الحرب العالمية الثانية وإنشاء دولة إسرائيل، انتقلت المجتمعات السفاردية من الدولة العثمانية السابقة إلى إسرائيل وفرنسا والولايات المتحدة، وكذلك استقر بعضهم في بلاد الشام.

وهم من أكثر الناس علمًا بعقيدة القبالاة المقدسة، وعملًا بها، لذا نُبئ منهم **اثنان:** النبي إبراهيم أبو العافية (١٢٤٠ـ١٢٩٢) في إسبانيا، النبي شبطاي تسيفي (١٦٦٢ ـ ١٦٦٧) في الأناضول، ولكل واحد منهما قصة جديرة بالذكر.

قلت: أليس هذا الأخير هو أصل يهود الدونمة؟ والذي ادعى أنه هو المسيا المنتظر؟

ضحك داوود مليًّا قائلًا **بالعربية:** يا واد أنت لسة عضمك طري.

قالها ثم أخذ **يسترسل:** ومنهم الفيلسوف الشهير إسبينوزا، وحاليًّا منهم المؤلف والمخرج الإسرائيلي المشهور يوسي أبو العافية.

قلت: تفتكر يا عم داوود لينا تعلم كل هذا؟

داوود: لا أعتقد ذلك.

أنا: ياه يا عم داوود، قد إيه إنك موسوعة علمية، فَشَر الموسوعة البريطانية!

داوود: لا موسوعة ولا ديالو، لما تعيش مئات السنين قدي هتعرف أكتر مني.

قلت **بانبهار:** هو أنا هعيش قدك يا عم داوود؟

داوود: وأكتر مني كمان، لحد الواحد بتاعك ما يبقي صفر، وتعود النقطة للمحيط.

قلت بلهجة من غلبه **فضوله:** بالراحة عليا يا عمنا وعم الكل، الواحد اللي هو أنا منهم، عرفته إنه نوراني، أمال الصفر يبقي إيه؟

زفر داوود زفرة عميقة على هيئة **تنهيدة:** الصفر هو الله يا رأوبين، هو الصفر المطلق، هو صفر ما قبل الأعداد والأكوان، هو ما لا اسم له ولا صفة، ولا يجمع مع غيره ولا يطرح منهم، على حد وصف منهج نبينا فيثاغورث، تحتاج له الأعداد وهو عنهم مستغنٍ.

قلت: إذًا الصفر المطلق الأزلي هو النقطة الأولى كما تصفه دراويش المتصوفة.

ضحك داوود بوقار، وأومأ بالإيجاب **وقال:** حين تسمع أحدهم يقول إن لكل سر مفتاحًا ومفتاحه هو أوله، ولذا سر القرآن الفاتحة، وسر الفاتحة البسملة، وسر البسملة الباء، وسر الباء النقطة، فاعلم أنه على ديننا مثل ابن عربي والحلاج وابن سبعين وغيرهم من الرموز.

الديميروج واللوجوس

في صبيحة اليوم التالي، فوجئت بداوود يطرق باب غرفتي مبكرًا جدًّا عليّ، وحين فتحت الباب وجدته بكامل هيئته مستعدًا للذهاب.

ولج داوود للغرفة على عجل أصابني بشيء من **التوتر:** البس يلا بسرعة، هنسافر علشان هتقابل جدك.

قلت **بذهول:** إيه؟ هنسافر؟ هنسافر فين؟

أجاب داوود بكلمات **مختصرة:** مونت كارلو، قدامنا حوالي تسع ساعات سفر، والعربية جاية بعد نص ساعة، يلا يا روبي ما فيش وقت يا حبيبي.

أنا: طيب أخد دش بسرعة! قلتها وبالفعل دخلت الحمام.. وأنا أواصل كلامي من خلف الباب الزجاجي **السميك:** طيب مش هلم هدومي وندفع حساب الفندق؟

وهنا زال بعض من توتري وذهولي فصحت بعد لحظة صمت **وتفكر:** ولينا يا عم داوود هنعمل معها إيه؟

ناكفني داوود ليزيد من توتري فتجاهل **سؤالي:** معندكش حاجة تتشرب ولا حتى إزازة بيرة، جتك القرف.

فهمت غرضه الخبيث من مزاحه الماكر، ألا وهو إغاظتي بعدم جوابي فيما يخص لينا فقلت **بانفعال:** والنبي يا عم داوود بلاش براميل العسل اللي بتخر منك ع الصبح دي وقولي هنعمل إيه.

سمعت صوت ضحكه حين علم أنه نجح بمناكفته في **إغاظتي:** سيب هدومك وهناك هتلاقي كل شيء جاهز لك. وبعدين حساب فندق إيه يا عبيط، أنت ناسي إن الماجد مالك الفندق! ثم حول نبرته صوته بشكل فكاهي مثل خواجات **الإسكندرية:** كله على خِساب ساخِب المخل يا خبيبي.

حين خرجت من الحمام مرتديًا روب الفندق، نظرت إليه بصمت معاتبًا إياه على المناكفة، فإذا به ينظر إليّ بمحبة بالغة، **قائلًا:** كبرت يا جزمة وعرفت الحب.

قلت: بجد أنا زعلان منك.

هتف **داوود:** لا والنبي ما أقدر على زعلك، بس أنت اللي حمار ومش فاهم.

قلت: مش فاهم إيه؟

داوود: مش فاهم إن لينا هي توءم روحك، يعني أنتم الاتنين روح واحدة، بس مقسومة اتنين، والروح دي هي اللي هتسعى لتكتمل غصبًا عن أي حد.

قلت وأنا أرتدي **ثيابي:** تكتمل إزاي يا عم داوود؟

داوود: خلص أنت لبسك ومعانا تسع ساعات في العربية هفهمك بالتفصيل الممل.

بمجرد انتهائي من ارتداء ثيابي، دق هاتف الغرفة فقال داوود **فورًا:** أكيد العربية جت.

ومع ذلك هرعت إلى الهاتف مؤملًا أن من يخبرنا بذلك هي لينا فأسمع صوتها، ولكن خاب أملي حين سمعت صوت موظف آخر هو من يخبرني بقدوم السيارة وانتظار سائقها لنا.

حين ركبنا السيارة، وبعد أن تفحص السائق مليًّا خاطبني **داوود:** لا تنسَ ألا تتحدث بغير الآرامية. فأومأت له بالإيجاب.

وبعد ما يقارب حوالي ربع ساعة من الصمت، قال **لي:** لقد دخلنا للتو على طريق A٦، وسيكون أول توقف لنا بمدينة ليون.

قلت: حسنًا، فلتخبرني الآن معنى أن الروح ستسعى لتكتمل بذاتها.

داوود: الروح يا روبي مع تعدد الحيوات، وغلبة النفس عليها، ومع كل مرة تتقمص فيها جسدًا جديدًا، تضعف وتثقل، فتبعد عن الغرض الأصلي الذي خلقت له وتلتصق بالنفس، وهي مرحلة الأنا أو الأيجو، لكن إذا حدث ووجدت نصفها الآخر تقوت به، وحين تلتئم معه يرتفع وعيها وإدراكها بما هي عليه من شفافية وصفاء، وآنذاك يسهل عليها الارتقاء والعودة إلى مكانها الصحيح بعيدًا عن عالم المادة.

أنا: احكِ لي عن أصل الروح يا عم داوود.

داوود: أخشى ألا تسعفني الكلمات، ولكن سأحاول يا حبيبي! خلينا نبدأ من البداية من مرحلة اللا وجود وهي مرحلة إين[١]؛ حيث

---

(١) تنطق باللهجات السامية القديمة، ومنها العربية –عَيْن– وهو الرمز الماسوني الشهير المرسوم على الدولار الأمريكي، والذي يعتقد كثيرون أنه رمز للدجال خلافًا للصواب، فإنه يرمز للإله الأول المعبود عند الجماعات السرية

كان الله وحده، وحين تفكر الله في ذاته خلق الوعي أو نقدر نقول العقل الكوني، وهنا بدأت مرحلة العدم وهي مرحلة أور، وبها تسمت أعرق مدينة من مدن العالم القديم، وكانت حاضرة العالم آنذاك، بناها السومريون المؤمنون حين سُدْنا الأرض، ومن تلك المدينة خرج نوح، ومن بعده إبراهيم، كما أسمى جدك الميتاترون ابنه الوحيد المسيح المخلص أور، ولكننا إمعانًا في السرية عَلمنا الناس تنطق اسمه حور، وبعدها نُطِقَ حين اشتهر بحورس، لما اعتنق الكثير من الفلاسفة اليونان ديننا، وأيضًا عاصمتنا أور **شاليم:** أي إله السلام.

المهم أن مرحلة العدم –أور– كان أولها الحب اللامتناهي واللا مشروط، بعدها حدث الانبثاق، والذي كان نتيجته أن وجدت الطبيعة الأم الحكيمة ذات القوانين المحكمة.

قلت: تقصد الانفجار العظيم؟

قال: سمها ما شئت، عمومًا اليونان الإغريق يسمونها باندورا، والرومان يسمونها صوفيا، ونحن نسميها باربيلو.

واستطرد **داوود:** المهم أنه لما رأى الله الطبيعة أحبها، فحدث الفيض، فخرجنا جميعًا أراوحًا من ذاته كقطرات من محيط، أو شررًا من نار أو بتعبير أدق خرجنا نورًا من نور نحمل نفس خواصها دون أن ننقص منها شيئًا. والأم أوجدت الكون الهائل ما علمنا منه وما جهلناه بعد، وهكذا كنا بلا مكان أو زمان، أرواحًا هائمة ذات وعي وإدراك، هائمة ومنعمة شغلها الشاغل الحب والسلام، إلى أن تولد من الطبيعة الأم رَبين مقدسين، أو يمكنك تسميتهما الإيوانات الأولى، وهذا بعد الزمن الذي وجد بوجود الطبيعة.

ومع هذين الربين المنعوت كل منهما بالإيوان بدأت المرحلة الثانية؛ ألا وهي مرحلة الوجود أو صوف، وإليها ننتسب في شريعتنا وتطبيقاتها (وحدة الوجود)، ولذلك يطلق علينا البعضُ المتصوفةَ.. ولأن الإله فوق الأسماء والصفات، فأحيانًا نحاول وصفه تبع مراحله **الثلاثة:** أي عين ـأورـ صوف، أو الثالوث المقدس، والتي لم تتجسد أبدًا في مخلوق إلا في جدك هرمس الميتاترون مثلث العظمة.

وهكذا كان الوجود.. أما الرب والإيوان الأول فكان مخلوقًا من ماء[1]، وحدث أن نظر هذا الرب إلى صورته في الماء، أصل خلقه، فاستحسنها، وهنا كانت بداية الكبر والغرور في عالم لا يعرف إلا المشاعر السامية.

فعمد إلى تراب الأرض، فخلق منها المادة الأولى في عالم الحس الأثيري، وصنع من هذه المادة الطينية –والتي هي في الحقيقة مكون من الطبيعة الأم– أجسادًا عديدة، منها الحسن ومنها الدميم، وكان كلما خلق جسدًا نفخ فيه من روحه، فتصير نفسًا تتحرك، ولكنها حركة مجردة بلا روح.. إلى أن هداه تفكيره أن يخلق جسدًا على صورته، وبالطبع نفخ فيه من روحه كعادته، فأوجد فيه نفسًا منفوسة. فقال **لذاته:** الآن لا ينقصني سوى أن أسجن روحًا داخل ذلك المخلوق، فإن فعلت صرت إلهًا يُعبد.

وبالفعل خلق أنفسًا بلا أرواح أو أجساد، وأسماها ملائكة؛ لتساعده في القبض على الأرواح، وسجنها داخل الأجساد التي

---

(١) الديميروج خالق المادة، حسب عقيدتهم الفاسدة.

ينفخ فيها من روحه. كل ذلك والطبيعة الأم الحكيمة تراقب ولا تدري ماذا تفعل، فهي تعلم يقينًا أن الله الخالق حين تجلى فخلق الكون ما أراد إلا إسعاد الأرواح، لا لتشقى وتعذب بالسجن، **ولكنه:** أي الله، أسمى وأجل من أن يخوض معركة مع مخلوق من مخلوقاته، حتى وإن كان شريرًا ومدعي الأولية المستحق للعبادة.

فالله الأول يا روبي لا يعرف الشر، ولم يخلقه، ولكن خلقه هذا الرب الديميروج الثاني الذي خلق المادة.

قلت: إذًا هذا الرب الديميروج خالق المادة، هو المعبود من عوام الناس شرير ويَدَّعي السلام؟

داوود: اعلم يا رأوبين أنهم قديمًا أطلقوا عليه الديميورج؛ لأن من حيله أنه يتسمى ويتصف بأسماء الله المتجلي الأول، والذي في هو الأصل فوق الأسماء والصفات، فمثلًا حين يحاول جمع من المؤمنين تسمية الله الحق براهما، يوحي الديميورج لأنبيائه أن اسمه براهما، أو جماعة أخرى كالطاوية المؤمنين حين يسمون الله الحق يانج، يسمي هو نفسه يين، لذلك مَيَّزُوا الله الحق باسم الطاو، وهكذا فعل أنبياء الفلاسفة حين وصفوا الله باللاجوس ادعى أنه هو اللاجوس.

فسموه **الديمورج:** أي خالق المادة، وأبقوا على الإله الحق متعاليًا على حقيقته فوق الأسماء **والصفات:** أي بلا اسم أو صفة، فقط أشاروا إليه بلفظ (هُو) بعدها سمى الديميورج نفسه (يَهُوَّه)، ولكن للأسف يا بني، اختلط الأمر على العوام، فاعتقدوا أن الديموروج هو الإله، ونسوا الإله الأول الحق.

قلت: وبماذا تسميه أنت يا عم داوود؟

قال: أنا أميل إلى لقب أدوناي (السيد) خصوصًا بين العامة، وإن كان هو لا يحده اسم أو صفة.

قلت: حسنًا، والآن أخبرني، ماذا فعلت الطبيعة الأم حين رأت الديميروج، يسجن الأرواح في جسد الأبدان؟

داوود: طبعًا حاولت أن تمنع خططه بالزلازل والعواصف، وسائر صور غضب الطبيعة؛ لتفسد عليه الأرض الذي سيقيم عليها مشروعه، ولكن لم يتراجع، وكان قد قبض على بعض الأرواح ساكني الأرض، وينتوي بعدها أن يتحول إلى سائر الكواكب ليفعل بساكنيها من الأرواح ما فعل مع أرواح الأرض.

عند هذا الحد عمدت الطبيعة الأم الحكيمة إلى الشمس، معطاءة الخير، وخلقت من نورها الناري ابنًا آخر ليتصدى لأخيه الديميروج، ويحول بينه وبين ما يصنع، فكان الرب الثاني المخلوق من نار الشمس.

قلت: إذًا هذا هو لوسيفر حامل النور؟

قال: نعم، هو الرب لوسيفر.

قلت: إذًا لماذا يطلق عليه الناس لقب شيطان رجيم؟

قال: هذا جهل مركب من الأغبياء العوام.

قلت: كيف؟

قال: أولًا لأنهم يخلطون بين لوسيفر وعزازيل، ثانيًا أن الديميروج هو من لقب عزازيل بالشيطان حين عصاه وامتنع عن المشاركة في مؤامرة سجن أرواح الأرض، وعكس الحقائق فادعى الخير لنفسه والشر للرب لوسيفر.

قلت: قد فهمت جزئية لوسيفر، لكني لم أفهم الجزء الخاص بعزازيل.

قال: أخبرتك أن الديميروج قد خلق نفوسًا وكلمة نَفْس هنا لكونها أنفس مخلوقة من نَفَس الديميروج، وليست أرواحًا من الخالق الأول النور الحق، وأسماهم ملائكة كي تساعده في خططه.

قلت وأنا أحصي على **أصابعي:** دعني حتى أستوعب ما تقول كاملًا، إذًا هناك أرواح كاملة نقية صافية بلا جسد مادي أو نفس من الديميروج، وهي التي هربت من السجن الأول، ألا وهم الخلق الأول، ولا نبصرهم أو ما نطلق عليهم أشباحًا وهم أخيار..

وهناك أنفس بلا روح أو جسد وهي الملائكة، وأولئك –حسب قولك– أشرار، وهناك أجساد بها روح ونفس، لكن النفس سَجّان الروح في سجن الجسد وهؤلاء هم البشر.

كان داوود يهز رأسه مستحسنًا كلامي وهو **يقول:** صحيح!

قلت: ولكن يبقى الآن احتمال واحد **وهو:** هل هناك جسد به نفس فقط دون روح؟

داوود: الآن بدأت تفهم يا روبي، وجوابي هو نعم، هناك أجساد آدمية بها نفس فقط، ولكنها بلا روح، وهؤلاء هم الشياطين، والذين قد تراهم حولك في كل مكانٍ وتظنهم بشرًا، فالأشرار يا روبي هم المنظورون للعيان وليس كما أُشيع بين الناس.

هل تعلم أن السبعة مليار من سكان الأرض ثلثان منهم تقريبًا أنفس بلا أرواح، وأولئك هم شياطين الإنس، هم جيرانك وزملاؤك في العمل والدراسة وكثير من البشر يتزوجونهم وينجبون منهم وهم لا يدرون ماهيتهم.. هؤلاء مهمتهم الأساسية هي غواية الأرواح المكبلة

بالنفس، كي تنسى أصلها النوراني، وبالتالي تضعف مقاومتها، فترضى بالسجن والسجان، فتضل وتنسى طريق العودة.

هذا غير مهمتهم الأساسية، وهي محاربتنا ومحاربة أي روح قد تبدأ في الاستيقاظ ومعرفة الحق فترتقي عن جسدها المادي، لذلك هؤلاء الشياطين أو كما نسميهم بالزواحف، هم عدونا الأول على أرض الواقع.

قلت: لذلك دومًا ما كانت دعوتنا سرية؟

قال: نعم ذلك سبب من الأسباب، ولكن ما عليك أن تفهمه جيدًا أن الحياة ما هي إلا صراع بين الروح الإلهية الخالدة المسجونة بالجسد، والتي تسعى للصعود وتلحق بالإله الحق الأول وتتحد به، وبين **سجانها:** أي النفس التي تجذبها بثقلها الطيني المادي للأسفل إلى أن يبلى الجسد وتموت، وبعدها تُسلم الروح التي بقيادة النفس إلى جسد جديد في دورة حياتية جديدة، وحين تولد الروح في جسد جديد تنسى ما كانت عليه قبل، أو قُل تنسيها النفس ماضيها النوراني، وهكذا دواليك حتى تضعف الروح، بل وتنقسم حتى تبلغ أوج ضعفها، وبعدها تتفتت ويلتصق كل جزء منها بنفس، وتلك هي الأرواح الكافرة، والتي تخلد إلى الأرض، وأشهر هذه الشياطين **الزواحف:** أي الأجساد التي بها نفس، وبلا روح، ذلك الطفل الذي قتله جدك، والمذكور في سورة الكهف، وابن نوح الذي قال فيه **الرب:** «**إنه ليس من اهلك انه عمل غير صالح، فلا تسألن ما ليس لك به علم، اني اعظك ان تكون من الجاهلين**»

أنا: رويدك يا عم داوود، كنت قد بدأت الفهم لتوي، ما لي الآن أشعر بالدوار لِما أسمع.

ضحك داوود **مليًّا:** ألم تكن تتعجل يوم معرفة الحقيقة، وفرحت حين أذنت لك بالسؤال حين كنا بالفندق، ما لي أراك الآن تشتكي، أتعترف وتقر بأنك طفل رضيع وطعام الكبار يقتلك؟

ضحكت حين فهمت مغزى كلامه، وتذكرت مقولته الدائمة لي حين كنت أسأله أثناء تدريسه لي تفاسير الكتب السماوية بشكل باطني عن أشياء لا أفهمها، فكان دومًا **جوابه:** (طعام الكبار سم الصغار)!

فقلت: إذًا لنستكمل من نقطة تمرد عزازيل على الديميروج، ورفضه المشاركة في خطة سجن الأرواح.

قال **داوود:** حسنًا، قلت لك الأم الحكيمة خلقت من نور الشمس ونارها الرب لوسيفر، لتعتدل كفتي الميزان، ويكون لوسيفر ممثلًا للخير والنور، وندًّا للديميروج رمز الشر والظلام، وليجابه الشر الذي خلقه من المادة.

ذهب الرب لوسيفر إلى الديميروج، فوجده يعمل على خلق جسدين بمساعدة ملائكته، وقد سمى الذكر آدم والأنثى ليليث، وحين خاطبه لوسيفر وأمره بالعودة إلى الحق والعدول عما يفعله، نهره الديميروج وأصر على ادعائه الألوهية، وسار قدمًا فيما يخلقه.

وكان من بين الملائكة الحضور الملاك عزازيل، فلما سمع الجدل بينهما عرف الحق من فم لوسيفر، وتعلم منه أصل الخلق والإله الحق، فآمن وأناب، بل ودعا إخوانه من الملائكة لاتباعه فرفضوا، بل ووشى عليه كبيرهم عند الديميروج، فأسَرَّها خالق آدم في قرارة نفسه لعزازيل، لذلك وإمعانًا في مذلة عزازيل، ما إن انتهى الديميروج في نفخ النفس في آدم حتى طلب منه السجود له.

ولكن هيهات لعزازيل أن يمتثل للأمر بعدما عرف الحق، فسار ولحق بلوسيفر، وذكر له ما حدث، وبعدما تفكرا في الأمر الجلل الذي حدث اهتديا للحل الأمثل، إلا **وهو:** أن يذهب عزازيل للمخلوقَيْن آدم وليلث، ويكاشفهما بحقيقة ذاتهما المقدسة، وأنهما أرواح مسجونة داخل الجسد الطيني، وأن لهما من القدرات والتقديس ما يوازي خالقهما، وأنهما إن عرفا حقيقتهما النورانية سيعودان إلى ما كانا عليه ليلتحما بالإله الحق النور الأسمى، كما تلحق القطرة بالمحيط، وأن هذه هي الجنة الحق، وأن دنياهم التي هم بصدد النزول إليها هي الجحيم الأبدي في تناسخ لا متناهٍ من الحيوات.

وبالفعل حمل عزازيل رسالة لوسيفر إلى آدم وليلث، فآمنت ليليث وعادت معه إلى لوسيفر، ولم يؤمن آدم الذي اشتكى لخالقه من الوحدة، فخلق منه امرأة من أصل جسده، ومن شاكلته من حيث الانصياع الأعمى، وأسماها حواء، بدلًا من ليلث التي نجحت في تحرير روحها من السجن البدني.

ومرة أخرى حاول عزازيل مع حواء عساها أن تنجو كما فعلت ليليث، ولكنه وجدها غير مدركة لخطورة ما هي عليه، شأنها شأن آدم زوجها، فكان الحل البديل والفكرة العبقرية التي توصل إليها جمع المؤمنين لوسيفر وعزازيل وليليث في اجتماعهم الأول؛ حيث دار الحوار بينهم **كالتالي:**

«**عزازيل:** لقد تكلمت مع المرأة (حواء) ووجدت منها شبه اقتناع، ولكنها أضعف من أن تتخذ قرارًا بمفردها.

لوسيفر: حسنًا فلنتخذها مطية لإقناع زوجها ووسيلة ضغط عليه، عساه يفهم حقيقة ما هو عليه من خسران وإنكار لروحه الخالدة.

ليلث: أرجو منكما ألا تعولا على آدم، فلا خير فيه، فَلَكَمْ حاولت إقناعه، ولكنه للأسف ارتضى العبودية لصانعه وسجان روحه.

عزازيل: حقًّا! كم هو مسكين آدم هذا! فإنه حين أعد له خالقه اختبارًا ليرى مدى خضوعه، فأمره بعدم الأكل من شجرة، فانصاع بلا أدنى تفكير، وحتى حين وُفِّقْتُ في إقناع زوجته أنه مجرد اختبار لتبيان مدى خضوعهما فأكلت وأقنعت زوجها بالأكل، لكنه سرعان ما عاد وندم، وحينئذٍ تيقن الخالق أن آدم ليس بمقدوره أن يعلم الخير من الشر، وأن زوجه تابعة له.

لوسيفر: إذًا حواء –ولأنها تابعة– فلن تأخذ قرارًا بنفسها!

عزازيل: نعم.

لوسيفر: وليس ثمة أمل في أن يدرك آدم حقيقة روحه، فيعود للإله الحق، إذًا ما العمل؟ هل سنعلن هزيمة الحق ونترك الخالق يستمر في سجن الأرواح الخالدة في الأبدان؟

ليليث: أرى أنه ما لا يُدْرَك كله لا يترك جُله.

لوسيفر: ماذا تعنين؟

ليليث: ما أعنيه هو إن لم ننجح في إنقاذ آدم لتعنته، فلِمَ لا ننقذ ذريته المتوقعة.

لوسيفر: ولكنك تعلمين أنه في كل مرة تسجن روحًا سيكون الأمر أشقّ مما كان عليه في الطبقة السالفة؛ لأن الروح ستكون أكثر ثقلًا وكثافة، وللنفس الغلبة عليها أشد مما سبق.

ابتسمت ليليث، فأشرق وجهها ضياءً، وازدادت جمالًا إلى جمالها الفائق، **وقالت:** هذا إن تركناها على مادتها المقيتة، ولكن سنمنحها نورًا من لدنا، فتزداد شفافيتها، وبالتالي يسهل تذكرها لذاتها فيكون ارتقاؤها وخلاصها من الجسد الطيني أسهل.

لوسيفر: جيد! ولكن كيف السبيل إلى ذلك؟

ليليث: قد علمتم ضعف حواء وترددها في قبول الحقيقة، لذا أرى أن يذهب عزازيل إلى حواء فيمنحها ذرية، فإن فعل فستكون تلك الذرية نصفها نوراني خالص من ناحية الأب عزازيل، مما يعني سرعة قبولها للحقيقة.

عزازيل: ولكن أيضًا سيكون هناك ذرية آدمية طينية خالصة، ذات أرواح مأسورة.

لوسيفر: أعتقد نجاة نصف الأرواح أفضل من أسر الكل، وليكن ذلك مرحليًّا، وذلك أفضل من إعلان الاستسلام لشر خالق المادة.

ليليث: وحتى النصف الآدمي، لن نتركه لنسيان أصله النوراني الأول، ولكن سنعمل على تذكيره بمساعدة النصف العزازيلي النوراني المحض.

لوسيفر: نعم الرأي رأي ليليث، ولي إضافة أخرى للخطة الطيبة، ألا وهي ما إن ينتهي عزازيل من مهمته مع حواء، أن أعلنكما أزواجًا

حتى تنجبا ذرية من ملائكة النور، تساعد بني آدم على الارتقاء والعودة والاتحاد بالخالق العظيم».

قال **داوود:** وبالفعل نجح عزازيل في أن حملت حواء بوليدها الأول التي أسمته (قابيل) وبعدها حملت من آدم بولد أسمته (هابيل).

أما عزازيل ولیليث، فقد تزوجا وأنجبا ذرية ملائكية تعاون البشرية وتساعدهم على بلوغ مرامهم وإنقاذهم من الجحيم الأرضي المتمثل في دوامة متكررة من التناسخ اللامتناهي من الحيوات الأرضية.

قاطعت داوود بتأثر **بالغ:** وهذا يعني أنك ملاكًا نورانيًّا ولست شيطانًا.

قال داوود وهو يكاد يبكي من فرط **التأثر:** الحياة الدنيا يا حبيبي كالمرآة المصقولة، إن أردت أن تفهمها اعكسها لترى الصورة بشكل صحيح.

ثم مازحني قائلًا بعيون رقراقة **بالدمع:** وهذا يعني أننا نشترك في الأب عزازيل، وإن كنت أنا من الأم ليليث وأنت من الأم حواء.

أحسست برغبة ملحة في احتضان العم داوود، ولكن لَمَّا لم أفعل، رتبت على يده **وقلت:** مثل لي على نظرية المرآة المصقولة التي ذكرتها آنفًا يا عم داوود.

قال **داوود:** هل وعيت الآن أن من تَسمى بالشياطين حقًّا هم الملائكة والعكس صحيح.

قلت: بلى!

قال: ما ورثوك إياه تكليفًا من الديميروج على أنه خير هو شر، والعكس كذلك، وعلى ذلك قس الأشياء.. لا أقول الأمور المنطقية التي تدرك بالحس كالضعف والقوة مثلًا، فليس من عاقل يقول إن الضعف خير من القوة، ولكني أحدثك عن المسائل الغيبية، مثل أفضلية اليمين على اليسار، أو التزام ممارسة الجنس على شخص واحد تحت مسمى الزواج، أو تحريم الخمر وما شابها من مخدرات لطيفة، وغير ذلك الكثير.

قلت: كيف ذلك، وتقريبًا كل الأديان والأعراف اتفقت على قبح مثل تلك الأمور؟

قال: هل تعلم أن دورة الأفلاك وأكوانها، وحتى الدورة الدموية والإلكترون حول نواة الذرة، كل هؤلاء، وما أدق منها يدورون عكس عقارب الساعة، يعني بدءًا باليسار، مش العكس؟!

واتسعت ابتسامته، وهو **يقول:** اليسار من اليسر، إنما الديميروج أسماه شمالًا، والتي هي اسم أحد الجهات الأربع لا غير.

قلت: طيب والجنس المشاع والخمر أو المخدرات، ما الحكمة فيهما كي يمنعها الخالق؟

قال: إياك أن تفهم من كلامي بخصوص الجنس، أن يصبح همُّ الناس الجنسَ والمخدرات، بالعكس، أنا أوجب على البشر التأمل والتدبير، ولكن عليك أولًا أن تفهم فلسفة الديميروج، كي تعرف كيف يفكر، ويأمر، وينهى، فيكون مخالفتك له هي الحكمة والمصلحة العامة.

أولًا: الجنس هو من وضع تلك الغريزة في الجسد المادي الذي خلقه حين سجن فيه الروح، وهو يعلم يقينًا أن الروح هي محبة خالصة، فصار الجنس ترجمة وتعبيرًا للحب، ثم يأتي بعد ذلك ويقنن الجنس بمشروع الزواج، هنا أصاب أكثر من هدف منها؛ حيث إن الحب –وهو صفة ملازمة للروح لا تنفك عنها– جعله خارج الزواج خيانة، وماذا لو أحببت شريكك وغيره معه، بل والخلق جميعًا والجمال من حولك في كل مكان، هنا تجد الشرائع تقف لك بالمرصاد.

ثانيًا: ألا ترى أن الزواج هو ما يدخل المرء في حلقة غير منتهية من المتطلبات الحياتية والقيود التي لا تنتهي، وبناءً عليه لا تجد أحدًا يخبر نفسه يومًا لِمَ كل هذه المعاناة؟ لِمَ أستيقظ مبكرًا وأذهب إلى مكان أبغضه يسمى العمل، وأتنافس مع آخرين يعانون مثلما أعاني كي أتحصل على بعض المال من أجل الشقة التي أبغى أن أجعلها بيتًا، أو السيارة التي أريد أن أجددها للأحدث، وكل هذا لأني أحببت يومًا شخصًا ما وأردت ممارسة الجنس معه بطريقة شرعية، هذه الممارسة التي يغلبها الملل بعد شهور من الزواج؟!

قد تقول وماذا عن الأبناء ومشاعر الأبوة والأمومة! دعني أجيبك قبل أن تسأل، لو أراد الخالق لجعل غريزة الإنسان الجنسية مثل سائر المخلوقات مؤقتة بوقت سنوي مؤقت لتواصل النسل ليس إلا، ألا ترى أن أمومة وأبوة بعض الحيوانات أقوى وأشد من بعض بني البشر. ولكن الخالق شرع منظومة الزواج، وربط الجنس بالحب المحدد لشخص واحد لتعذيب الإنسان، والأهم من هذا أن للديميروج غاية محكمة خبيثة خفية في الزواج لا يفطن إليها إلا الحكماء.

حكر الجنس على أفراد معينة لبعضهم، يضمن للديميروج تناسل الأنفس ببعضها، فينتج عنها شياطين الإنس على مر العصور وحتى لو تزاوجت إحداها بروح إنسية، غالبًا ما تسيطر النفس؛ لأن أغلب الأرواح الآن لا تدرك حقيقة ذاتها المقدسة.

لذلك، لا نؤمن بمنظومة الزواج، ولكن نؤمن بمبدأ الشراكة الحياتية خارج مصفوفة الاحتكار والأنانية والغيرة التي أُمليت على بني البشر.

قلت: ولكن ألا يخشى الخالق أن تتزاوج روحان متخلصتان من قيد النفس المادي، ويخرج منهما جيل يدرك حقيقة نفسه، ويكون وبالًا على الأنفس؟

داوود: هذا هو أعظم ما يخشاه، وبالرغم من ضعف احتمالية حدوثه لأسباب كثيرة أهمها جهل الناس بحقيقة أرواحهم وأنفسهم والفرق بينهما، إلا إن الديميروج أرسل الرسل لتؤكد للناس أنهم عبيد له، وممنوع عليهم التفكير خارج الصندوق. أما نحن فمهمتنا تخليص الأرواح من سجن الأجساد، وإعادة الوعي لها وتذكيرها بذاتها، لا تكثيرها بمزيد من الأنفس وتكرار دورات حياة بأنفس جديدة وأرواح أشد ضعفًا.

ولذلك تحدى بعض المتنورين قديمًا الخالق بالرهبنة وتعذيب الجسد، أمثال غنوصية اليهودية، رهبانية المسيحية، وصوفية الإسلام، ولكن فشلت الفكرة لقوة الغريزة إلا عند النذر اليسير ممن نجح وارتقى بروحه. والبعض على العكس من ذلك تحداه بالإفراط والخروج عن قوانينه، مثل عبدة الشيطان، فضعفت روحه وخضعت لنفسه وأدمن الجنس، ألم تقرأ كتاب أليستر كروالي (القانون أن لا قانون).

وعلى هذا دعني أقُلْ لك ذات الشيء في المخدرات والمسكرات، لا إفراط فيغيب عقلك الموصل لروحك، ولا تفريط فتكون كالثور الذي يحرث الأرض، ولا يعي من حياته غير ذلك، إنما الاعتدال الذي يدعوك للتأمل والتفكير، ويعطي عقلك وروحك مساحة لتحلق إلى أعلى.

الآن لعلك فهمت أن دعوتنا ليست دعوة للتهتك والانحلال على عكس المشاع عنا، وإنما هي دعوة لتحجيم قدر النفس، فلا هي تسيطر عليك بالحرمان من متطلباتك، ولا تدعها تقودك للغرق في الملذات لغرض الملذات.

ولهذا منعتك من الذهاب مع رائيل وبرجيت؛ لأني أعلم أن صلاتهما هي من قبيل حفلات الجنس الجماعي الذي لا مجال فيه للحب وإشباع الروح، وهو ما يتهمنا به العوام، ولعلك أيضًا قد علمت الآن أن الديميروج لا يريد إلا الشر بالناس، وإن أسماه خيرًا.

قلت: إذًا ما تمارسه من علوم روحانية يسميها الناس سحرًا هو خير، وليس شرًّا ولذلك حرمه الخالق، وذات الأمر فيما يسميه الناس بالإباحية، يا له من منطق!

قال: نعم هي علم إلهي، ولذلك حرمه الديميروج، مثله مثل التنجيم الذي به تَطَّلع على الغيب من اللاهوت النجمي، فتعرف قدرك من الأرواح التي فرت قديمًا، وسكنت الكواكب وهدتنا بالنجوم، ولذلك أخفي الديميروج علم الأرقام، وحساب الجمل على عبيده، كما أخفى الكثير من العلوم الإلهية الأصيلة.

كلامي هذا ينطبق على العديد من المسائل الخيرة، والتي عدها الديميروج شرًّا وسماها بأسماء قبيحة، مثلما سمى هدية الحب زنا،

كذلك سمى الربح المضمون ربا، والموسيقى التي هي جزء من هندسة الخلق المقدسة وغذاء للروح سماها مزمار الشيطان وغيره الكثير.. والآن دعني أخبرك بما هو أشد عليك وعلى الناس.. العوام يستبشعون مثلًا قتلنا لأطفال دون الحلم، وبل وأحيانًا رضع ويزعمون أننا نقدمهم قربانًا للشيطان فيما يزعمون. لكن، ماذا لو نظرت من خلال المرآة وعكست الصورة، كما بينت لك وعلمت أننا نخلص أرواحهم مبكرًا، وهي ما زالت شفافة، وقبل أن تثقل فيما بعد ولترتقي إلى خالقها مباشرة، وتتحد به وتنجو من دوامة التقمص المتكررة... ألا يعد قتلنا إياهم رحمة وشفقة، ولكن العوام لا يعلمون!

كان المثال الذي مَثّل به شديد الوقع على قلبي، وكيف يبرر لقتل الأطفال، فأردت تغيير الموضوع **فقلت:** دعك من القتل ولنبقَ في الحب.

ابتسم **وقال:** لينا!

ابتسمت **وقلت:** ومن غيرها!

قال ولا تزال البسمة الحانية على **ثغره:** قد علمت أن الأرواح تضعف وتثقل بمرور الأزمان وتكرار الحيوات، ولكن في بعض الأرواح ذات الأصل النوراني الخالص مثلك ومثلها، وإن كانت كل الأرواح نورانية المنبع، ولكنها تتفاوت في شفافيتها، هذه الأرواح المنكسرة والمهزومة، ما إن تجد بعضها، سرعان ما تسعى إليه؛ لأنها تعلم في اللاوعي أنها عند اتحادها ببعضها، فذاك هو السبيل لنيل المراد الأسمى ألا وهو الاتحاد بالذات العليا والروح الكلية الله المنزه عن الأسماء والصفات، هذا السعي يأخذ اسم الحب؛ لأن

الله هو الحب الكلي الجامع لكل الأرواح، والتي هي أصلًا جزء منه وطبعًا دون أن تنقصه كما شرحت لك.

ولذلك الحب الحقيقي درجات مترتبة وفق تقارب الأرواح من بعضها، وبالطبع أعلى درجات الحب هي الروح الواحدة التي ضعفت وانقسمت خلال تكرار الحيوات حين تجد نصفها المنقسم والمفصول عنها، مثل حالتك والتي تسمى توءم الروح.

وبالمناسبة هناك شيء مهم عليك أن تدركه، حين وجد علماؤنا جثامين أجدادك الذين لقوا حتفهم في طوفان نوح محفوظة في جليد سيبيريا، أصر عزازيل على تقوم مؤسسة كلونيد بإجراء الفحوص، واهتم بنفسه بمتابعة الأمر حتى تأكد أن الجثامين تعود لتوبال قابيل، فأمر باستنساخك أنت وإخوتك لتتفادوا دهورًا من تكرار الحيوات، وتكون أرواحكم لا تزال على نقائها قدر المستطاع، وذلك كونها قريبة العهد بالرعيل الأول.

اعتدل داوود في مقعده واستدار بجزعه حتى صارت وجوهنا متقابلة، فعلمت أنه سيتوجه لي **بالنصح:** روبي حبيبي أتذكر كهف أفلاطون؟

قلت: نعم بالطبع!

قال: ذكرني به.

قلت: تخيل أفلاطون طائفة من الناس يعيشون مقيدين في كهف مظلم تحت الأرض منذ نعومة أظفارهم، وتصور قبسًا من نار ينبعث من خلفهم، فيلقى على الجدار الذي أمامهم ظلالًا متحركة للأجسام التي تمر من أمامهم ولا يرونها، فيحسبون أن الظلال هي حقائق العالم الذي بالخارج ولم يروه يومًا.

داوود: هب أن أحد المقيدين فك وثاقه، ورأى النار من خلفه، وأدرك الحقيقة، وأن الظلال ليست بحقيقة، وما هي إلا مجرد انعكاس، فما هو شعوره؟

قلت: ربما استنكر النور في البداية، ولكنه سرعان ما سيدرك الحقيقة، ولن يقبل حياة الكهف بعد ذلك.

داوود: فلتكن أنت هذا الرجل يا روبي.

قلت: إذًا هذا ما أردت قوله حين قلت لي «انظر في المرآة المصقولة»؟

داوود: ما أردت قوله إن هذا الرجل بعد أن يخرج من الكهف، ويرى العالم على حقيقته، عليه أن يعود إلى إخوانه المقيدين ويخبرهم، ولِيُصدق من شاء، وليُكذب من شاء، فقط عليه أن يقدم الوعي لإخوانه.

لا أعلم كم مضى علينا من الوقت نتحدث، لكني انتبهت على صوت السائق يخبرنا أننا قد دخلنا للتو مدينة ليون، ولعلنا نريد بعض القهوة أو ما شابه، فأمره داوود بالتوقف عند مقهى محدد، وهمس في أذني برغبته في التبول.

خرجت من السيارة بوجه غير الذي ركبته بها، أتساءل كيف جعلني داوود أعيش عمري متوهمًا أنه شيطان في حين أنه كان ملاكًا!

تساءلت: الآن صار لي ملاكًا حارسًا فعليًّا؟

ابتسمت لمجرد فكرة الروايات الخيالية تلك، ولِمَ لا، ألم يفسر المفسرون آية سورة **الرعد:** «له معقبات من يديه ومن خلفه

يحفظونه من أمر الله» بأنهم الملائكة تحفظ البشر، ولكن هل الملائكة تتجسد في صور البشر أم هو كاذب!!

وقع صدى وصف كاذب عليّ مدويًا، فأنا لم أعهد عليه قط كذبًا أو خداعًا لي، والحق أقول لو أن لي أبًا لم يكن ليغمرني حبًا وعطفًا مثلما فعل بي داوود، الذي تكفل بي منذ يوم مولدي.

هززت رأسي لأطرد نعته بالكذب من رأسي، هو صادق فيما يقول، وهو أعلم مني بالحق، وحتى فيما قاله بخصوص العقيدة في ذات الله.

أتراه هذا هو الحق! أليست هذه مثنوية زرادشت فارس، وطاوية الشرق الأقصى والصابئة المندائية وحتى فلاسفة الطبيعة حين قالوا إن علة المعلولات يعود لفاعل ومنفعل! إذًا تلك العقيدة ضاربة بأصولها جذور التاريخ، ولعلها وجدت مع آدم وعزازيل حين قيل **لهم:** اهبطوا الأرض جميعًا؟

شيء ما استوقف تفكيري عند الصابئة، لقد ذكر لي داوود قديمًا أن تلك الطائفة هي أول من آمن بدين جدي هرمس الميتاترون، وأنهم هاجروا معه من مصر إلى الشام، وأخيرًا استقروا في بلاد ما بين النهرين؛ حيث دارت معركة مهلائيل الكبرى، وهم المذكورون في القرآن... ما أغزر علم هذا الرجل، فإن عنده جوابًا لكل سؤال، جواب من رأى الحدث بأم عينيه.

رأيته مقبلًا بوجه مشرق نحوي، يحمل كوبًا من القهوة وقطعة كرواسون فابتسمت له، فقال لي **بالعربية:** خد يا وله غير ريقك.

أنا: أنت جبت لي ومجبتش لنفسك؟

داوود: هو أنا أنسى نفسي برضه.

قالها وأخرج من جيبه سيجارًا طويلًا ماركة هافانا **الفاخر:** سيجار كوبي معتبر من بتاع تشي جيفارا وفيدل كاسترو... بيقولك يا واد يا روبي بيلفوه على أفخاذ العذارى، صحيح الكلام ده يا وَلَا؟

ضحكت وأنا أقول **له:** أنت أدرى يا أبو العريف.

حين ركبنا السيارة أمر السائق بالتزام الطريق A٧ مباشرة إلى مونت كارلو؛ لأننا لا ننتوي التوقف مجددًا لا في مارسيليا ولا في غيرها، بعدها التفت إليّ **قائلًا:** أنا صحيتك بدري، فلو عاوز تريح لسة قدمنا ٥ ساعات كمان.

أنا: عندك حق، حلال عليك القهوة دي مع سيجارك وأنا هنام.

ربت على كفي **بحنان:** ارتاح يا حبيبي شوية.

الحلم

استرخيت برأسي للخلف، فأخذت الأشجار تعدو أمامي تتحداني أن أنام فتجاهلتها وأغمضت جفوني، وإذ بي أرى فيما يرى **النائم:** قبيلة من القردة، ولكنها أنحف وأطول مما عهدناه في أيامنا هذه، كان شكلها يجمع بين الغوريلا في انتصاب قامتها والشمبانزي في صورة وجهها، ذلك القطيع كان يرعى في وادٍ خصيب، وإذا بزوج ضخم من التنانين الطائرة تنقض عليها من كل حدب تقتيلًا، أخذت القردة تفر منها هلعًا صوب الأشجار العالية القريبة، لكنني لاحظت أن التنانين تنفث لهيبها تريد الفتك بالمخلوقات المسكينة لا التهامها، وإنما القتل من أجل القتل، وكأنها سلطت عليها لا لشيء إلا لفنائها.

فحين هرعت المخلوقات المسالمة إلى قمم الأشجار، تركت الطيور الجارحة جثث ضحاياها مسجاة على الأرض ولم تقربها، وعثت في الفلول الهاربة قتلًا وحرقًا، حتى الذي لاذ بالأغصان الكثيفة لم ينج منها، فلما تأكدت التنانين أنه ما من شيء يتحرك، التهمت فقط بعض الجثث التي تحصى على أصابع اليد الواحدة.

كل هذا وأنا أختبئ في مرج من الأعشاب الخضراء الطويلة حابسًا أنفاسي، وإذ بتنين يلوي عنقه ويراني جاثمًا، فعلمت أنه سيعود إدراجه، فأطلقت ساقيَّ للريح، وأخذت أعدو في ذعر، وفجأة

سقطت في هاوية حلزونية ألقى في روعي أنها كثقب أسود متعد للزمكان، ولكن على الأرض وليس في الفضاء، وحينئذٍ أغشيَ عليّ.

حين استفقت وجدت نفسي مستلقيًا على تلة قريبة من شلال مائي يصب في نهر عظيم، شعرت بدوار هائل في رأسي، فأخذت أنظر من حولي عساني أجد بشريًّا يساعدني. وجدت من مكاني في الأعلى على التلة قرية صغيرة بدائية جدًّا على الضفة المقابلة من النهر، كان هناك بضعة قوارب مصفوفة على الشاطئ، ومجموعة من الأكواخ المصنوعة من الأشجار ومسقوفة بسعف النخيل.

وفي وسط القرية نار موقدة محاطة بقطع من الحجارة، حولها أطفال عراة يلهون في مرح، لم يكن لي من بد إلا الاستعانة بساكني القرية، وإن كانوا همجًا من آكلي لحوم البشر.

وقفت على حافة الشاطئ وأنا أنتوي لفت انتباه الأطفال ليقلني أحدهم بمركبه لجهة القرية، ولكن وقبل أن أصيح مستغيثًا سمعت أصواتًا من خلفي، فاستدرت فرأيت عجبًا، رأيت مجموعة من البشر عراة تمامًا ذوي شعور طويلة متسخة، وهم متوجسون مني خيفة يتفحصوني بترقب وحذر، حملت النساء أطفالهن وهن يتقهقرن للخلف، أما الرجال فثبتوا مكانهم على أهبة الانقضاض، ولكن يمنع هجومهم جهلهم بما أكون عليه، فقد كانوا يهمهمون بأصوات ليست بلغة معينة، وإنما فقط مجرد أصوات.

ومع ذلك فهمت أني أحول بينهم وبين الماء الذي جاءوا من أجله، فلما أردت طمأنتهم تجاهلتهم، واستدرت للماء وانحنيت عليه شربًا بكفي، وأنا أشعر بنظراتهم الفضولية تخترق ظهري، رويدًا

رويدًا بدأ الرجال يأتون عن يميني وشمالي ويشربون من النهر، ويلتفتون حولي خشية أن أباغتهم بما يكرهون.

وعندئذٍ علمت أنهم مسالمون، ولن يكون لهم مبادرة بهجوم إلا كرد فعل فقط دفاعًا عن أنفسهم، فاغترفت حفنة من الماء، وغمرت بها وجهي وأنا أتمايل مثلما يفعلون وأزوم بهمهمة استحسان، وإذا بهم يفعلون مثلما أفعل، وكلما زدت زادوا وعلت أصواتهم يتنادون للشرب ويطمئنون بقيتهم.

بعد وقت قليل اطمأن الجميع لي وبدأت النساء تتقدم للنهر، وبينما نحن كذلك إذ تقدم شاب مني على حذر، فهمت من نظراته الفضولية أنه يريد أن يتحسس ملابسي، فابتسمت تطمينًا له، فاقترب ومد إبهامه نحو الثياب، واطمأن أكثر فأخذ يتشممني.

وبينما نحن كذلك، إذ أطلق أحدهم صرخة رعب وهو يشير لجهة القرية في الضفة الأخرى، نظرنا فإذا بسكان الأكواخ قد اعتلوا قواربهم متجهين لضفتنا حاملين حرابًا ورماحًا حجرية.

كان المشهد ينذر بوقوع قتال حتمي بين الطرفين، ومع ذلك لم يهرب العراة المسالمون، ولكن اكتفت النساء بالصراخ والرجال بالصياح، وهم يقطعون الأرض ذهابًا وإيابًا في توتر بالغ كأسد مأسور، فقررت أنا الاختباء بين أغصان شجرة كثيفة الأوراق لأراقب المعركة، وحدث أثناء تسلقي أن سقطت مني فردة حذائي، وتملكني الرعب وأنا أراقب الحدث من مكمني على الشجرة، بدأ القتال بنزول سكان القرية، الذي كانوا يرتدون الجلود، وقد أصبغوا وجوههم وأجسادهم بالأبيض والأسود، ومزدانين بقلائد وأساور من أسنان الحيوانات والأخشاب من قواربهم، والعجيب أن العراة ظلوا

على توترهم ولم يشرعوا في القتال إلى أن بدأ به المهاجمون، فصار العراة يقاتلون بشراسة، وعلى الرغم أنهم كانوا أقل عددًا لكن كان بنيانهم أشد قوة.

ولم يطل الوقت حتى كان الحسم لصالح أصحاب الرماح والحراب، الذين أخذوا يجهزون على الجرحى من العراة، وبينما هم كذلك إذ رأى أحدهم الحذاء، فملكه الذهول ونادى البقية وصاروا يفحصون ذلك الشيء الجلدي العجيب، وهم يبحثون عن مصدره، وحين اكتشفوا مخبأي بادر أحدهم بقذفي برمح أخطأني، لكن المدهش أن زَجَرَه كبيرهم الذي يرتدي جمجمة غَزال بقرون طويلة على رأسه، وأشار إليّ بالنزول، ففهمت أنه يريدني حيًّا.

لم أجد الجرأة في نفسي على الاستسلام للمجهول، لكني ألقيت الفردة الأخرى للزعيم، وأنا أشير لقدمي، ففهم أنها صنعت لتُنتعل، فلما انتعل زوج الأحذية معًا استحسن صنعهما، ومعه زاد إصراره على نزولي، وبدأ حديثًا بلغة غريبة أكثر مفرداتها صياح وهو يشير لناحية القرية.

ومع ذلك، وحين رأيت سعادته بالحذاء، قررت لزيادة تأليف قلبه إهداءه كل متعلقاتي الشخصية، فبحثت في جيوبي فوجدت ولاعة سجائر لامعة رخيصة الثمن، فألقيتها لهم فورًا وبلا تفكير.

هنا ظل الزعيم يتفحصها تارة ويشمها تارة أخرى إلى أن ضغط على القداح، فأخرجت نارًا، وإذ بهم وبدون أي مقدمات يشكلون دائرة حول الشجرة وأخذوا يسجدون لي بشكل متكرر سريع، وهم يرددون **جملة:** كولان سيت، جامانيا ست.

عند هذا الحد فهمت أنهم يتضرعون لي، فاطمأن قلبي وقررت النزول، وقبل أن تطأ قدمي الأرض انبرى رجلان مني وحملاني على أكتافهما وتعالت منهما أصوات الابتهاج إلى أن بلغنا القرية.

على ضفاف النهر استقبلنا النساء والأطفال مصطبغين بالأبيض والأسود كآبائهم، وسرعان ما أخرج لهم الزعيم القداحة وأشعلها، ففعلت النساء مثل ما فعل رجالهن **ورددوا:** كولان سيت، جامانيا ست.

وبعدها أشاروا ناحية أحد الأكواخ وهم يتحدثون، فقد رسموا دائرة بضم إبهام اليد اليمنى وسبابتها، ثم أشاروا بسبابة اليسرى داخل الدائرة، كما يوضع القلم في المحبرة تمامًا، وقد صاروا يشيرون نحوي بالأصبع الممدود والآخر ناحية الكوخ، إذ كان من الواضح أن رجال القرية قد استحسنوا فكرة النساء، فسرنا جميعًا نحو الكوخ، وهناك وجدت لينا مقيدة ومذعورة.

صرخت: لينا!!! ماذا أتى بك هنا؟

قالت: صدمتني سيارة أثناء ذهابي لعملي، وغبت عن الوعي، فلما استيقظت وجدت نفسي هنا.

يا إلهي ماذا أفعل! وبماذا أخبرها! فهمست لها لعلي أبعث فيها شيئًا من **الطمأنينة:** اهدأي يا لينا! أنتِ تحلمين أو لعلك في غيبوبة جراء الحادثة.

لكنها نظرت وقد ملئتها **الدهشة:** حلم!! عن أي حلم تتحدث!! وهل تحلم أنت أيضًا؟

قلت: نعم نحن مشتركان في حلم واحد.

قالت: إن كنت صادقًا أرجوك أيقظني من هذا الكابوس.

نظرت إلى الحشد من حولي، فإذا هم يتابعون حديثي مع لينا كأطفال يترقبون الساحر حين يخرج الأرنب من القبعة، وبالإشارة طلبت إلى الزعيم ذي قرني الغزال أن يحل وثاقها، فامتثل على الفور.

قالت لي لينا بعد أن توقفت عن البكاء وكانت تهمس حتى لا يسمعونا، وكأنهم لو سمعوا **سيفهمون:** ماذا يحدث؟ وكيف الخروج من هذا كله؟

فقلت لها هامسًا **أيضًا:** لا نملك إلا أن ننتظر، وننظر ماذا يريدون منا، وبناءً عليه نقرر.

قالت: أعتقد أننا عدنا بشكل ما إلى العصور الأولى، وهؤلاء هم أسلافنا من الهوموسابينس، فقد رأيتهم يقاتلون النياندرتال.

حين قالت ذلك فهمت أمر القتال بين العراة والمصبوغين، وذكرت لها أمر القردة والتنانين، فانشغلت هي بسبيل العودة أما أنا فانشغلت بشيء آخر.

إذا كان ما تقوله لينا حقًّا، إذًا هذا يثبت نظرية داروين في الارتقاء، وعليه فيكون كل ما حدثني عنه ورباني عليه داوود هو محض الكذب، فلا وجود لخالق ولا جد مقدس، ولا أي شيء من الهراء الذي أملاني إياه، وإنما هو التطور ولا شيء غيره.

وبينما أنا كذلك، إذا بنساء القرية، وقد أتين بفاكهة متنوعة، لم أر أكثرها من قبل، ثم اجتمعنا جميعًا حول نار القرية، وبعدما ذبح الزعيم جديًّا سمينًا ووضعه على نار الشواء، وأخذ يدهن وجهي ويصبغه بإتقان باللونين الأبيض والأسود، وكذلك فعل مع لينا.

وبعد أن انتهى من الوجوه، طلب منا برفق خلع ملابسنا ليكمل الرسم، وكان يقولها وهو مبتهج.

عند هذا الحد هتفت **لينا:** لا لا لا! وهي تشير بيدها وتنظر إليّ مستنجدة بي، ومع أني حاولت مع الزعيم إثناءه عن تجريدنا من ثيابنا إلا أنه أصرّ.

فما كان مني إلا أن امتثلت وبدأت بخلع ثيابي، فلما رأت لينا ذلك ومع تشجيع النساء لها، وضحكهن، لم تر بُدًّا من ترك نفسها لأيديهن، فجردنها وهي تستر نهديها بكفيها، فلما انتهين من الإصباغ، جاء بمادة وأضرم فيها النار، وعرفت من رائحتها النفاذة أنها مطاط خام، وتركها تحترق حتى صارت ترابًا أسود، بعدها ربط ذراعينا أنا ولينا برفق سويًّا، وبواسطة إبرة دقيقة أخذ يجرحنا بتنسيق محدد، فقالت **لينا:** إنه يوشمنا.

وفعلًا بعد أن سال الدم صار يحشو الجرح بالمطاط المحترق على شكل بودرة، فخرج الوشم على شكل ثعبان ملتف على ساعدينا معًا، وهكذا تتضح صورته إذا ضممنا ساعدينا وتنقسم إذا باعدنهما.

فقلت **لها:** أتعتقدين أن هذه طقوس انضمامنا للقبيلة؟

لينا: ليت الأمر يقتصر على ذلك.

ثم قالت ذلك وهي تشير إلى أيدي نساء ورجال عليها أنصاف **الوشم:** وإنما أخشى ما أخشاه أن تلك مراسم زواجنا.

شعرت بالإهانة لخشيتها تلك، والتي تأكدت من صحتها حين أتوا لي بإكليل من الأزهار وطلبوا مني أن أضعه على رأسها تاجًا لها.. وما إن فعلت حتى تعالى الهتاف وصيحات الفرح، وصار الحضور يتبادلون ثمار الفاكهة ببهجة عارمة.

اعتقدت أن الأمر انتهى عند هذا الحد حين بدأ حفل الشواء، وبدأ الجمع في التهام الجدي المشوي، لكن ما حدث بعد ذلك كان آخر ما توقعته.

بدأ الأمر ونحن نتسامر جميعًا بالإشارة بعد العشاء الدسم، وإذا بالزعيم يقدم لنا بعض الحشائش الخضراء لنمضغها، كانت شديدة المرارة لدرجة أن لينا بصقتها فورًا، أما أنا فمضيت في المضغ، وكنت أرى أهل القرية يتهافتون على زعيمهم لينال كلٌّ نصيبه من الحشائش التي سرعان ما زالت مرارتها في حلقي، وصارت مستساغة لي، بل وممتعة، ومعها بدأت أشعر بالانتشاء مع خمول لذيذ يعم ذهني وبدني.

يا ويحي ماذا أكلت!! تذكرت شباب حارتنا حين كانوا يأكلون ما يسمى بـ (الداتورة) التي يجمعونها من كوم الناضورة عندنا في منطقة بحري.

فتجد أحدهم يجلس على الإمة (الناصية) لا يلقي بالًا بأي شيء، ولا يعبأ بأحد وكأنه في عالمه الخاص، يرى ما لا نرى، ويسمع ما لا نسمع.

لذلك حين مد الزعيم لنا بحفنة أخرى، حاولت الرفض بأدب، لكنه أصر، فخشيت أن يتصور رفضي انتقاصًا وإهانةً لشعيرة مقدسة عنده، فيحدث ما لا يحمد عقباه.

حين بدأت في مضغ الجرعة الثانية لمحت لينا، وقد أخفت نصيبها بخفة يد، وهي تتظاهر بالمضغ، وتحت أثر النشوة ضحكت لمكرها الأنثوي، ووجدتها وهي عارية على ضوء النيران جميلة حقًا، كما أن فكرة طقوس زواجنا البدائي هذا أثارني جدًّا وجعلني

أشتهيها، ولكني كبحت زمام شهوتي، فما كان ينبغي لي أن أسترسل في خيالي وإن كنت تحت تأثير المخدر.

ولكن مما جعل الأمر أكثر إثارة –رغمًا عني– حين قام بعض الشباب بعمل تبة ترابية مرتفعة قليلًا عن الأرض، وقاموا بفرشها بأغصان الأشجار، فأخذت شكل فراش بدائي بجوار النار الموقدة، وتحلقت القبيلة لمشاهدة اللحظة الفارقة لختام حفلة العرس.

ومن يدري، لعلها بداية حفلة جنسية جماعية لقبيلة من قبائل ما قبل الحضارات، زاد تفكيري المُخدر من إثارتي المكتومة تجاه لينا، التي كاد أن يغشى عليها من الذعر والنساء يسحبنها سحبًا نحو فراش الزوجية، وهن يطلقن عواء الفرح.

أما أنا فأخذت أشير بيدي **وأصيح:** لا لا لا!

ابتسم الزعيم ومد يديه لي بحفنة جديدة من مخدر الداتورة، فكررت صياحي، وإشارات يدي، كما تعمدت أن أتكلم بالفرنسية لأهدئ من روع لينا المنهارة رعبًا **فقلت:** لا لا! يكفينا من هذه الترهات، لقد أخذ الأمر منحى آخر لا نريده.

بالطبع لم يفهم من كلامي أحد سوى لينا، فعمدت إلى النساء الممسكات بها وخلصتها من أيديهن، وجلسنا عليّ مقربة من بعضنا نتهامس فيما العمل للخروج من هذا المأزق.

كان الزعيم يشير بيده نحو الأطفال، كما أن النساء كن يشرن على بطونهن علامة الحمل.

فقالت لي لينا وهي **ترتجف:** يبدو وكأنهم يريدون منا ذرية.

قلت: هذا لأنهم يعتقدون أننا آلهة بسبب قداحة النار.

في الوقت الذي كانت فيه لينا بدأت في نوبة جديدة من البكاء، كنت أنا أراقب المشهد جيدًا، فلاحظت امرأة عجوز سمينة ضخمة الصدر تتحدث مع الزعيم الذي كان يهز رأسه استحسانًا لكلامها، بعدها أمر شابًّا فذهب إلى النهر القريب وعاد بمجموعة من الحيوانات أشبه بالضب الصحراوي، أو الجربوع، ولعله حيوان بينهما منقرض.

وصار يناول الزعيم الجرابيع كُلًّا على حدة، فيأخذ الزعيم الجربوع ويفصل رأسه بيده ويلقي بالجسد، وفي هذا الرأس يعمل أظافره الطويلة فيخرج المخ من الرأس ويثبته في عود خشبي، كأنه يعد وجبة شيش طاووق، ويعرضها للهب، فلما نضجت وضع الأمخاخ في ثمرة جوز هندي يابسة ومجوفة بها سائل أصفر لزج، عرفت أنه عسل نحل، وصار يقلب بشدة حتى ذابت في العسل.

ثم أتاني وقدمه لي بوقار شديد، حاولت رفضه في البداية لكنه أصر، وذهني المخدر المشوش وجفاف حلقي من أثر التتورة كل هذا جعلني أتناول العسل الممزوج بمخ الجرابيع، بل واستمتعت بشربه.

ما هي إلا دقائق حتى ذهب عقلي تمامًا، وسيطر عليّ الخَدر، ومعه أصبحت لي قوة فرس قوقازي، وأصبحت مُثارًا كثور إسباني مستفز جراء طعنه برمح من مصارع محترف.

لا أدري بعدها كم مضى من الوقت وماذا حدث، لكن سمعت صياحًا وجلبة شديدة من السكان، وهم ينقذون لينا من بين يدي ومن تحتي خشية قتلها، وكأني نمر بنغالي حاصر فريسته في هوة عميقة ويأبى تركها.

كان الضجيج مزعجًا جدًّا والأصوات عالية، وأنا مقيد بأيدي رجال القرية، وأنظر إلى لينا، وهي مسجاة على الأرض في قمة الإعياء حتى إنها لا تقوى على البكاء.

من بين الأصوات الكثيرة والضوضاء ميزت صوت داوود **يقول:** روبي! روبي! اصحى يا حبيبي وصلنا مونت كارلو.

الشباب الستة

استيقظت في رأسي صداع شديد، وكان داوود لا يكف عن الثرثرة عن البرنامج المعد لي في لقائي بالجد المقدس، ثم يعاود حث السائق بمزيد من السرعة في اتجاه مرفأ اليخوت بموناكو.

قلت **له:** حلمت حلمًا وأريد أن أقصه عليك.

داوود: لا تكترث يا حبيبي! لعلك فقط لم تنم بشكل مريح. قالها لي بلامبالاة ثم توجه إلى السائق وأشار إليه بالوقوف عند بوابة المرفأ.

عند نزولي من السيارة نظرت إلى ساعدي، فإذا بوشم الثعبان مرسوم عليه، فصحت قائلًا بالعربية ومخالفًا **التعليمات:** عم داوود بص!

وكشفت عن كم قميصي ليتمكن جيدًا من مشاهدة الوشم، سألني داوود بنبرة من يسأل ليستيقن قبل **الحكم:** هذا الوشم قد رُسم في حلمك والآن أنت تجده في يقظتك؟

هززت رأسي بمعنى نعم!

لم يندهش داوود قيد أنملة، مما زادني تعجبًا وهو **يقول:** حسنًا أظنني قد فهمت! دعني أخبرك باختصار شديد، أعلمتك من قبل أنه نادرًا ما يقابل أحدنا توءم روحه، وهذا لأنه عادة لا يتواجد الطرفان في الحياة المادية، فحين يكون أحدهما يحيا على الأرض يكون

النصف الآخر في العالم الأثيري منتظرًا دوره في التناسخ، ولذلك سميَ قديمًا بتوءم الشعلة، ولكن إذا حدث كما في حالتك هذه مع فتاتك والتقى النصفان، فهذا معناه أنكما تحيان آخر حياة لكما على الأرض، ونجوتما من دوامة التناسخ.

ولكن دعنا نرجئ هذا الحديث الآن، فأمامك حدث جلل وهو لقاء الجد المقدس.

كنت أكتوي بنار الفضول وأنا أتساءل عن مصير لينا، تري هل حدث معها ما حدث لي، هذا وأنا أتفحص مليًّا في الوشم وأُقلب ذراعي إلى أن مد داوود يده فأسدل كمي على ساعدي.

داوود بلهجة حسم **وأمر:** رأوبين، حذار أن تقص قصة الوشم لأحد من إخوتك! رأوبين ولدي، أنا لست في حاجة لأن أذكرك بأهمية ما أنت بصدد الولوج فيه، رجاءً، المزيد من التركيز في مهمتك وتعليمك، ودع أي شأن آخر لوقت لاحق.

كانت كلماته باتة وقاطعة، مما جعلني أتحاشى النظر له، فأخذت أتأمل اليخوت بالغة الرفاهية الراسية بتناسق من حولي قبل أن **أقول:** أي اليخوت هو؟

قال: ها هو! وأشار ناحية عرض البحر وليس بجهة اليخوت المصطفة الصغيرة ومتوسطة الحجم.

نظرت حيث أشار، فلاح لي في الأفق القريب أكبر وأفخم يخت رأته عيني وأنا ابن منطقة بحري، والذي طالما تسلل في طفولته إلى باب عشرة؛ حيث محطة الركاب البحرية ورأيت ما لم يره غيري من سفن وبواخر ويخوت.

وسرعان ما أتي لنش سريع، وبعد أن تخاطر قائده مع داوود وتصافحا بشكل معين أقلنا إلى اليخت.

وبعد أن صعدنا على متن اليخت، استقبلنا رجل وضيء في ملابسه الرسمية البحرية الكاملة، ومن ثم اصطحبنا إلى غرفة جانبية تبين أنها مكتب، اندهشت أنهم يعرفونا جيدًا بأسمائنا، رغم أننا لم نفصح عن هويتنا، وتساءلت كيف له تمييز ألف شاب ومثلهم من مرشديهم الروحيين رغم عدم لقائه من قبل.

لكن الأغرب أن داوود لم يبد أي دهشة، بل كان يعامل الرجل بوقار شديد، إذ كان يجبيه بكلمة (سيدي) حين يسأله، ثم بوقار وبشكل رسمي طلب مني الرجل الاستراحة على أريكة وثيرة في ركن الغرفة.

وجلس هو على مكتبه وأجلس داوود أمامه، وبدأ يسأله وهو يتابع ببصره جهاز لاب توب موضوع على **المكتب:** داوود الساعاتي! هل تظن أنك وفقت في عملك مرشدًا روحيًّا لسمو الأمير؟

داوود: أرجو ذلك سيدي.

الرجل: لِمَ كان خروجك من مصر صاخبًا[1]؟

داوود: لا يوجد ما يعكر صفو الرسالة المقدسة.

الرجل: هل تم التقاط أي صور لسموه خلاف إرادتنا؟

داوود: لا سيدي.

الرجل: هل لدى سموه أي علامة مميزة له مثل، شامة أو خالٍ أو وشم، أو من أي شيء قد يُيسر تتبعه لمن أراد؟

---

(١) التفاصيل في الجزء الأول.

داوود: لا سيدي.

وأخيرًا قال وهو يضغط أزرار الكيبورد أمامه بسرعة **فائقة:** هل هناك ما تود تنبيهنا إليه أو إضافته إلى ملف الأمير قبل رحيلك؟

داوود: لا سيدي!

الرجل: حسنًا، لكما خمس دقائق منفردين. قالها الوضيء بوقار وخرج منصرفًا بعد إيماءة لي على هيئة الاستئذان.

قلت: أتكلم عربي عادي؟

ثم أردفت بعد أن هز رأسه لي **بالإيجاب:** هو أنت مش هتكون معانا في الرحلة.

ضحك داوود بسعادة ارتياح مشوبة بحزن **دفين:** أنا كدة خلاص! ثم زفر **بعمق:** النهاردة أديت الأمانة إلى أهلها، سيبني بقى أرتاح وأعيش لي كام سنة مع نائلة.

قلت: هي هنا؟

داوود: طبعًا هنا، وهي مرشدة روحية لأميرة من أخواتك اسمها زينب. قالها وابتسم **مبتهجًا:** إحنا قررنا نعيش في بُعد النيرفانا جنة الأرواح.

لم أدرِ، أأسعد لسعادته لاجتماعه بتوءم روحه أم أحزن لفراقه!

فعانقته وأنا أردد همسًا على **مسامعه:** بس هنتقابل تاني صح؟ قول صح هنتقابل يا عم داوود!

داوود: مصير الحي يتقابل يا روبي!

طرق أحدهم الباب، فرأيت دمع داوود حين فارقت حضنه.

اتفضل سموك لأدُلك على مكان قمرتك! قالها لي الطارق

ضممت كفي داوود بقوة قبل أن أستدير لأتبع دليلي إلى مكان نومي، كان اليخت أبهى وأفخر مما يوصف بكلمات قليلة، لذا لك أن تتخيل أفخم تصميم لديكور فندقي وأرقى أثاث وتحف من ثريات ولوحات وما شابه.

حسنًا كان اليخت أفخم مما تُصورهُ في خيالك.

قادني دليلي إلى الطابق السفلي، أو كما نسميه نحن أهل الإسكندرية (الغاطس) المخصص لقمرات النوم، وعند أحدها طرق الدليل الباب برفق.

وحين فُتح الباب تأخر قليلًا ليسمح لي بالدخول أولًا، كانت القمرة مرتبة بحيث تتسع لست أَسِرّة، كل اثنين منهما عموديان، وبالداخل كان ثلاثة ذكور، وفتاتان، فكان من الواضح أني آخر سكان القمرة لحوقًا بها، وبعد توزيع الابتسامات وعبارات الترحيب المقتضبة، أشار الدليل إلى سرير، فوجدت عليه بطاقة مدون عليها اسمي.

وبجوار السرير خزانة ملابس فتحها لي الدليل، وهو يقول بابتسامة **مهذبة:** سيكون لكل وقت زيه الخاص، وتسهيلًا لكم ستجدون كتيبًا داخل الخزانات مدون بها كل هذه الأمور وغيرها من التعليمات.

قال جملته وانصرف، فتناولت الكتيب، فوجدت أن ملابس الراحة هي طقم رياضي قطني أبيض، ونعلان كذلك، تناولت طاقمي مع منشفة وتوجهت لحمام القمرة.

من داخل الحمام سمعت الشباب يتعارفون فيما بينهم، فعرفت أنهم قرؤوا الكتيب بما فيه من تعليمات وإرشادات، وأنه لا حياة

سرية مع العائلة، ولكني لاحظت أيضًا أن –نحن الستة– من منطقة الشرق الأوسط؛ لذلك ما إن خرجت بدأت بتقديم نفسي، وأنا أخفي الوشم بالمنشفة، كي لا أثير فضولهم؛ حيث إنه كان من الممنوع أن نتميز بأي علامة مميزة.

اسمي رأوبين أو روبي كما يناديني مرشدي، نشأت في مصر تحت اسم ولي، حاصل على بكالوريوس صيدلة جامعة الإسكندرية.

هتفت فتاة **بجدية:** أنا كمان نشأت في مصر باسم رشا، لكن اسمي هو راشيل اقتصاد وعلوم سياسية القاهرة.

رد شاب **آخر:** يبدو أنني الوحيد بينكم والذي يملك اسمًا واحدًا، فأنا آدم. وضحك **بمرح:** هكذا وجدت نفسي.. آدم! اختاروه لي ليناسب كل الأديان، فأنا نشأت في لبنان، ودرست الإعلام في بيروت.

أجاب رابع **الشباب:** اسمي يوسف أو جو، اختصارًا لجوزيف كما يناديني مرشدي نشأت في الإمارات، لكني حصلت على بكالوريوس إدارة الأعمال من إنجلترا.

أجابت **الخامسة:** أنا مثلي مثل آدم أحمل اسمًا واحدًا، وهو زينب، هكذا أرادت مرشدتي لي اسمًا عربيًّا وليس عبرانيًّا، تيمنًا باسم زينب بنت الحارث التي دست السم لمحمد نبي العرب؛ حيث كانت تُعبد آنذاك، فأنا نشأت في السعودية، وتحديدًا في منطقة نجران، التي يقطنها بقايا الإسماعيلية الذين ينسبون أنفسهم إلى فاطمة أم زينب والحسنين، وعلى ذلك فاسم زينب مقدس عندهم، ولِمَ لا وهي عقيلة بني هاشم! وفي الحقيقة أنا لا أحمل شهادة جامعية، ولكني حزت كل علم مرشدتي من طاقة وفلك وغيره الكثير والكثير.

إذًا مرشدتك هي **العُزة:** أي أمنا إينانا وإيزيس! قال آدم على سبيل المزاح.

فبادلته زينب **مزاحه:** كيف لأمنا الملكة إيزيس أن تكون مرشدة روحية أيها الذكي، مرشدتي هي نائلة، أتدرون قصتها مع إيساف، هي مبلغ العشق والهوى في الميثولوجيا العربية.

ما إن سمعت اسم نائلة حتى استبشرت أني لم أفقد داوود بالكلية.

قال آخر **الشباب:** اسمي في العلن يعقوب، ومرشدي يناديني جاك، اختصارًا لجاكوب، نشأت في المغرب، حاصل على بكالوريوس في الطب النفسي.

قلت: طبعًا ليس صدفة أننا هنا في نفس الغرفة من منطقة الشرق الأوسط، فأنتم تعلمون أن كلًّا منا نشأ في بيئة معينة ليكون ابنًا لها، ومعنى هذا أننا جُمعنا سويًّا لحاجة في نفس يعقوب.

هنا صاح يعقوب مازحًا على ما ضربته من **مثال:** ليس في نفسي شيء، فلا تتهموني بشيء.

ضحك الشباب لمزحته إلى أن قال **يوسف:** لا تتعجلوا التوقعات، فقد ولت حياة الأسرار، وعلى متن هذا اليخت ستنجلي الحقيقة الكاملة.

رشا بلهجة مصرية جادة، وهي تتصفح **الكتيب:** كدة صح، خلي بالكم فاضل على الغدا ساعة بس، لو حد منكم عاوز يرتاح شوية ويوفر طاقته.

همس **الجميع:** أوك، إلا أنا **قلت:** ماشي! مداعبًا لها بخصوص لهجتها المصرية لكنها نظرت لي بجدية وبلا اكتراث.

لم يمر كثير وقت حتى سمعنا نغمة أشبه برنين الهاتف على المذياع الداخلي، وصوت أنثوي رقيق **ينبهنا:** باقي عشر دقائق حتى الغداء، أرجو الاستعداد للقاء الآباء.

وحين صعدنا في ملابسنا البيضاء إلى قاعة الطعام، استقبلنا بعض طاقم المركب وعرفنا منهم أن لكل منا مقعده المخصص، والذي سيكون له طوال الرحلة. وأيضًا لاحظت أننا نحن الستة خصصت لنا منضدة.

أخذت أتجول ببصري القاعة، فوجدت موائد عليها أربعة كراسٍ، وموائد خمسة حتى العشرة أو يزيد، كلهم في ملابسهم البيضاء، أما المنضدة الرئيسة فكان عليها ثلاثة رجال موقرين في بزاتهم الرسمية الكاملة.

بدأ أوسطهم بالحديث مباشرة بلهجة ودية حنونة مشوبة بحزم بغير **تكلف:** أبنائي وبناتي الأعزاء، دعوني أرحب بكم في أول تجمع عام لنا في عائلتنا المقدسة الكبيرة، اسمي الأب كو، وعن يساري الأب ناين، وعن يميني الأب بلو. أما أبانا المقدس وجَدُّكم، فإنكم ستلتقونه اليوم في تمام ١١/١١ مساءً، ولا أظنكم أنه يخفى عليكم ما في الرقم من دلالة، كما درَّسكم مرشدوكم.

الأب ناين والأب بلو سيكونان مسرورين بأسئلتكم وممارستهم على مدار الساعة، كما سيكون لي معكم لقاء نقاش يومي في أيامنا العشرة التي سنقضيها سويًّا.

أما عن الجد المبارك، فلن يسمح لكم بالدخول عليه إلا بعد المرور عليّ أولًا، أو أنه هو من يطلب أحدكم لأمر ما.

الأمر الأخير والهام جدًّا، الآن سيوزع عليكم برنامج تأملي، فأرجو منكم شديد الرجاء الالتزام بما فيه، وهذه صلاتكم المقدسة ثلاث مرات **يوميًّا:** عند شروق الشمس، وعند غروبها، وهاتان الصلاتان سنؤديها بشكل جماعي على سطح اليخت في معية الطبيعة الأم، ومشاهدة الشمس رؤية العين.

أما الصلاة الثالثة فعليكم الالتزام بها في فراشكم في أول درجات النوم، أو ما يسمى بالنعاس **العميق:** أي قبل انخفاض نمط الاستقبال ألفا، والدخول على موجة دلتا.

إن التزامكم بهذه الصلوات بشكل صحيح في المواعيد المقررة، وباليقين الواجب سيساعدنا على تنفيذ برنامجنا المعد لكم سلفًا، والخاص بطاقة الشاكرات، وإيقاظ أفعى الكونداليني، وفتح العين الثالثة، وغيره مما هو في برنامجكم المكثف من دروس نظرية، وعملية والذي به تبلغون في عشرة أيام ما لا يبلغه غيركم حياته كاملة، أمثال بوذا وزرادشت وكونفوشيوس وماني وغيرهم من الآباء الأنبياء.

والآن تفضلوا غداءكم، وسيوزع كتاب الصلوات عليكم أثناء ذلك، ومن لديه سؤال فليتفضل، فلدينا ساعة ونصف من الآن في حوار مفتوح، مرة ثانية! أهلًا ومرحبًا بكم.

استلمت نسختي من كتاب الصلوات، وبدأت تصفحه وأنا تُتلى على مسامعي بعض الأسئلة **مثل:**

س: بعد انتهاء تدريبنا وإعدادنا، هل سيتم تكليفنا في بلدنا التي نشأنا وبنفس الهوية؟

ج: نعم أظن ذلك، إلا النذر اليسير منكم، كلٌّ لما رُتب له.

س: ما طبيعة العمل الذين نحن بصدده؟

ج: هذا السؤال ما كنت أرغب بالإجابة عليه، وكنت أرجو أن يتكفل جدكم بالإجابة، ولكن لا بأس، لقد آن التحول من قرون في العمل السري إلى الصدح بدعوة النور، وتبيان الحقيقة الأزلية فيما يسميه الناس بالغيب أو الميتافيزيقا من وراء الحضارات والأديان وتاريخ الإنسانية عامة، وهذا كي نستطيع أن ننقذ أكبر قدر من البشرية من الخطر الهائل الذي أوشك على هلاكها.

س: ما نوعية هذا الخطر؟

ج: صراع بين الحق والباطل على مسألة الوجود من عدمه، فما صارت الدنيا تحتمل الفريقين.

س: تقصد نهاية العالم؟

ج: إذا كنت تقصد هذا العالم، فالجواب نعم! وهذا ليس معناه الفناء، وإنما الانتقال إلى أبعاد أخرى، وهو ما يسميه الناس الجنة والنار حسب أفهامهم الضيقة.

س: وكيف ستكون علاقتنا بالأديان؟

ج: هذه التفصيلة وغيرها من التفاصيل لن تعلم إلا القدر المنوط بك تنفيذه، فمنكم من سيُظهر المعاداة للدين، وآخر سيوالي دينًا سماويًّا، ويكون أحد رجاله، وعمومًا ستتطلعون على كل شيء بخصوص المشروع من خلال المحاضرات واللقاءات خلال رحلتنا هذه، شكرًا لكم.

كان وقع صدى كلماته بخصوص نهاية العالم على الشباب عمومًا عظيمًا، كذلك مائدتنا السداسية، فقد أصابنا الوجوم برهة ليست بالقصيرة إلى أن نطق آدم بلهجته اللبنانية **مازحًا:** دخيلكم شو بكم!

يعقوب: الأب بيقول لك توًّا القيامة بتقوم وأنت بتمزح!

آدم: هاد الحكي ما بيصير، هم مابيدروا أني بعدي ما تزوجت، يا جاك خبرهم بيخلوني بتزوج رفيقتي وندير حالنا، وبعدين عم بيسوا يلي بدهم ياه.

يوسف: هل لاحظتم أسماء الآباء، لماذا لم يفصحوا عن أسمائهم، أيوجد ساتر من التكتم والسرية حتى فيما بيننا.

زينب: لا أعتقد أن غرضهم السرية، ولكنْ شيء آخر، بمعنى، أن اسم الأب كو حرف لاتيني، أقرب للكيو في الإنجليزية، وكذا الأب ناين رقم، والأب بلو لون، فماذا لو أضفناهم إلى بعضهم حسبما ذكرهم هو فيكون، كيو ٩ أزرق، أشعر أنه مفتاح كودي لشفرة ما.

كانت رشا تصغي إلى كلام زينب باهتمام وتركيز حتى **قالت:** إذًا الآمال معلقة عليك في فك تلك الشفرة.

بعدها نهضت زينب **قائلة:** سأذهب إلى الغرفة.

كنت أول اللاحقين بها، وحين دخلت الغرفة فوجئت أنها عارية تمامًا في جلسة تأمل تجاوزي عميق، وقد أوقدت شمعة سوداء كبيرة ونغمة تردد 528hz تدوي في الغرفة من هاتفها المحمول، لكنها حين شعرت بوجودي بدا عليها الانزعاج، ووضعت سماعات الأذن.

فأخذت أتصفح كتاب الصلوات غير مبال بها، ولكني سمعت صوتها بعد برهة تردد بصوت **خافض:** مانترا، مير كا با، أوم أوم أوم أوم، مير كا با.

فراقبتها على حذر خشية أن تفتح عينيها تظن أني أتفحص جسدها العاري، وللأسف فهذا ما حدث، فلما التقت أعيننا تحجرت في مكاني خجلًا، وإذ بها تقف فجأة وتتجه نحوي، كنت أنظر إليها مترقبًا ما ستفعله، فلما دنت مني جلست على فخذي والتقت صدورنا، فنظرت في عيني المذهولة بعدها التهمتني تقبيلًا.

تماديت معها وحدث ما حدث بشكلٍ عنيف يدُل على لهفة لِما حدث، من جهتها على الأقل، فلما انتهينا **قالت:** هل أنا مدينة لك باعتذار؟

قلت وأنا أشيح **بيدي:** لا لا.

فقالت بدون **تقدمة:** نائلة تقرؤك السلام.

رددت: عليها وعليكِ السلام والبركة.

فهبت قيامًا عارية كحورية بحر أسطورية تفوح منها رائحة الجنس، حتى وقفت أمامي وأنا أجلس القرفصاء على فراشي.

وقالت **بمرح:** نائلة أرسلت لك هدية، ستحتاج إليها كثيرًا فيما هو آت.

نظرت إلى يديها **الفارغتين:** شكرًا لها ولكِ، أين هي؟

جثت على ركبتيها أمامي حتى كاد نهديها أن يلتصقا بوجهي، فأغمضت عيني وشممت عبقها، وإذا بها تضغط جانبي رأسي بقوة، ومعها شعرت بنور وهاج يتسلل إلى أُم عقلي، ومرت ذكرياتي كلها أمامي كضوء لامع في شريط مسلسل في ذهني.

ما هذا؟ قلت لها

قالت: افتح أي صفحة من كتابك الآن، وألقِ نظرة خاطفة.

فتحت المقدمة ونظرت نظرة سريعة، وأغلقت الكتاب، وإذا بي قد حفظت كل ما كان مكتوبًا في الصفحة الأولى، والذي **هو:** سأشعل نور الابتسامات.. ستتبدد ظلمة تعاستي، وسأبصر روحي على ضوء ابتساماتي المتوارية خلف الديجور الكثيف للأحقاب المتراكمة.

عندما أجد ذاتي سأسري في كل القلوب حاملًا مشعل ابتسامة روحي.. سيبتسم قلبي أولًا، ثم عيناي ومحيّاي.

كل ذرة من كياني ستتألق بنور الابتسامات.

سأخترق مجاهل القلوب الكئيبة، وأوقد نارًا جبارة تلتقم كل الأحزان.

أنا لهب الابتسامات الذي لا يُقاوم.. سأنعش ذاتي بنسيم الفرح الإلهي، وأتوهَّج في دياجير العقول.

ابتساماتي ستحاكي ابتسامات الله، وكل مَنْ يقابلني سيحصل على هَبَّة من سروري المقدَّس.

سأحمل مشاعلَ شافية من ابتساماتي إلى كل القلوب.

سأبتسم أولًا ولو كان ذلك صعبًا، وسأُلْهِمُ البائسين الباكين كي يبتسموا.

في بهجة كل القلوب أسمع صدى غبطتك يا إلهي.

وفي صداقة كل المخلصين أعثر على مودتك.

أتهلَّل وينشرح صدري لنجاح إخواني وتوفيقهم مثلما أفرح وأتهلَّل ليسري ورفاهيتي.

وإذ ألهم الآخرين الحكمة والفهم، فإنني أضاعف كنوز حكمتي ومعرفتي.

وفي سعادة الجميع أعثر على سعادتي.

زينب: من الآن وصاعدًا، لن تنسى شيئًا قرأته أو سمعته أو رأيته البتة، ستكون لك ذاكرة من فولاذ، فاجتهد في تصفح ما يخص دورك الذي ستكلف به، فإن عائلتنا لا ترضى بغير التميز.

أخذت أردد صلاتي التي حفظتها رغمًا عني، ومعها شعرت براحة كبيرة، فقط ينغصها عدم فهمي لكلمة دياجير، والذي يقطع سحر الكلمات بداخلي.

وإذا بزينب تجيبني بلا سؤال **مني:** دياجير جمع ديجور، والذي بمعنى الظلام الشديد، أشد من الحالك والبهيم والدامس.

شكرتها بحرارة، ولم تمر دقيقتان حتى كنت قد حفظت الكتاب المجلد الضخم.

قبيل الغروب نبهنا المذياع لقرب موعد الصلاة، فاغتسلنا جميعًا وارتدينا ثوب الصلاة، وهو رداء أحمر شفاف يشبه الجلباب المغربي، ذو غطاء الرأس المدبب المتصل به، ليس دونه أي ملابس داخلية، وصعدنا جميعًا لسطح المركب، وهناك وجدنا الطاقم قد بسط لنا الفُرش والوسائد المريحة، فجلسنا في شكل صفوف طويلة وكل منا يستند على ظهر أخ له.

في مكان مرتفع نسبيًّا جلس الأب بلو يرتدي مثل جلبابنا، ولكن بلون أسود.

وبدأ عظته القصيرة **بقوله:** ليت رؤساء وقادة الأمم والشعوب يدركون أنَّ كل النَّاس إخوة.. تجمعهم عرًى أزليَّة من الودِّ والإخاء، ألا فلنبتهل في قلوبنا من أجل حلف الأنفس واتِّحاد عالمي!

ومع أننا نبدو مجزَّئين بالشعوبيَّة والطائفيَّة واللَّون والطَّبقة والأغراض السِّياسيَّة.. ما زال بمقدورنا أن نشعر في قلوبنا بالإخاء والوحدة العالميَّة.

فلنعمل من أجل بناء عالم مُتَّحد، فيه تكون كلُّ أمة عضوًا نافعًا، يوجِّهها الله من خلال ضمير الإنسان اليقظ، في قلوبنا كلنا نستطيع أن نتدرب على التَّحرُّر من الأثرة والبغضاء. فلنتضرع التماسًا للتآلف بين كل الدول، علَّها تسير يدًا بيد عبر أبواب حضارة جديدة موحدة وسامية.

وحين أسدل غطاء رأسه الفضفاض على وجهه، وأمال برأسه للأمام، عرفنا أنه شرع في الصلاة، ففعلنا جمعينا مثله.

بدأت صلاتي الأولى على اليخت، بأول صلاة علمني إياها داوود في صغري، والتي كلما تلوتها شعرت معها بأني أخرج من جسدي المادي وأتحول إلى طائر من نور يحلق في سماء السعادة.

أيها الرب المحبوب،

إنني أدرك بأني لست الجسد ولا الدم ولا النشاط ولا الأفكار ولا العقل ولا الذات الكوكبية.

أنا الروح الخالد الذي يسطع بنوره عليها جميعًا، لا أتغير أبدًا بالرغم من تقلبها وتغيّرها.

أيا شبابَ الجسد والعقل الأبدي، امكث داخل كياني وابقَ معي على الدوام.

سأعتمد أكثر فأكثر من أجل النشاط والحيوية على معين الوعي الكوني الباطني، الذي لا ينضب، وأقل فأقل على المصادر الخارجية للنشاط الجسدي.

يا رب، إنَّ قوتك الشافية غير المحدودة موجودة في داخلي.

بدِّد ظلمة جهلي بنورك الرباني

أيها الروح الكلي،

ساعدني كي أشفي الجسد بشحنه بنشاطك الكوني.

وكي أشفي العقل بتركيز الذهن والابتسام

وما كدت أن أنهي صلاتي حتى تحررت من ثقل جسدي المادي، وحلقت بجناحين من نور في رحاب الجنة الأم الأولى، وانفصلت عن الواقع تمامًا.

ورأيت شجرة الحياة في عقيدة السومريين القدامى، ومتصوفة اليهود القباليين، بأم عيني، وعليها أفعى ذهبية عيونها كالعقيق الأحمر المشع، ترشدني إلى دروب خفية، كلٌ منها موصل لكنوز من الحكمة والمعرفة.

ولكن للأسف لم أتحصل منها بشيء، حاولت وحاولت النهل منها، ولكن لم أدرك شيئًا.

ولا أدري كم من الوقت مضى حتى سمعت صوتًا يناديني ويربت كتفي **برفق:** سيدي عليك الاستعداد جديًا للقاء الجد المبارك.

نظرت فإذا برجل من طاقم المركب يبش في وجهي، ولمَّا أستعد بعد وعيي كاملًا، إثر نشوة الوجد وانغماسي الكامل في صلاتي.

سيدي! لقاؤك بجدك يحتم عليك ارتداء زيك الرسمي.

قالها الرجل ومد يده ليساعدني على القيام فاستجبت ليده الحانية.

ذهبت إلى الغرفة مذهولًا، ووجدتهم قد انتهوا من تهيئة أنفسهم للقاء المرتقب، اللهم إلا زينب كانت تضع بعض لمساتها الأخيرة من مكياجها البسيط.

استقبلني آدم مازحًا، لكني لم أجد لدي الرغبة على مبادلته المزاح، وخرج بصحبة يوسف من الغرفة للتدخين، وبقيت بصحبة رشا وزينب ويعقوب، الذي كان يساعدني على ارتداء رابطة عنقي حين سألتني **رشا:** أنت تمام؟

قلت: تمام لكني انغمست في صلاتي قليلًا، وأعتقد أن حدث لي ما يسميه المتصوفة الذوبان أو الشطح، لا أدري.

التفت **زينب:** هذا جيد جدًّا، إنه كشف العارفين.

يعقوب: صف لي أخي كيف شعرت.

قصصت لهم رؤيتي لشجرة الحياة القبالاية والمصنوعة من النور وعليها الأفعى الذهبية.

زينب: تلك دروب الحكمة والعرفان.

رشا: رائع جدًّا، بأيهما بدأت؟

قلت: لا أفهمك! أو كان عليّ أن أختار إحداهما؟

لم تجبني رشا، وإنما قالت بأسلوب أشبه بأساليب داوود **القديمة:** كانت تلك فرصتك والتي أضعتها.

نظرت زينب نحوي في المرآة، ورأت وجوم وجهي وانفعالاتي **الصامتة:** روبي كان عليك أن تبدأ من نقطة معينة من نقاط الشجرة العشرة، ولا تنشغل بغيرها، ومن ثم تدع روحك للملاك الأفعى

تقودك لما هو أصلح لك، ولا تطرف عنها عينًا، وفي الأخير ستجد حين يقظتك قدرة جديدة ورسالة جلية كعين الشمس في كبد النهار.

ثم ابتسمت بشفقة **حنونة:** لا توجل يا أخي، فإنك على الطريق وعلى خير ما دمت تتحرى الخير.

هزت رشا رأسها تأييدًا لكلام زينب، في الوقت الذي أتم فيه يعقوب ربط الكرافت وضبطه جيدًا فقال مداعبًا **زينب:** جيد انتهى رأوبين المتأخر، وزينب لا تزال تصفف شعرها من ساعتين.

ابتسم ثلاثتنا إلا رشا **قالت:** يالّا بينا يا زيزي، كدة كفاية أوي.

خرجنا من الغرفة وانضم إلينا آدم ويوسف، وتوجهنا صوب القاعة الرئيسية.

الجد المبارك

كانت الساعة تقترب من الحادية عشرة حين دخلنا القاعة، تقريبًا كنا آخر الوافدين، لذلك أخذت أبصار الشباب تتفحصنا – خصوصًا الفتيات منهن لملابس وتصفيف شعر زينب ورشا.

والحق أن رشا بدا وكأنها لا تهتم أبدًا لمثل هذه الأمور، وكانت تكتفي بجمالها الأخاذ والخاطف للأبصار بطبيعته وبساطته، رغم جديتها الواضحة، بخلاف زينب والتي –وإن كانت أقل جمالًا من رشا– إلا أن روحها الجميلة وطيبتها الواضحة وعدم تكلفها يجعل منها أكثر جاذبية.

وبينما نحن نمرق للقاعة، إذ التقيت الأخ ذكري، وكنت قد التقيته لمرة واحدة في حفلة الألفية، والتي أقيمت عند سفح الأهرامات، وعرفت منه آنذاك أنه نشأ في الهند على خلفية هندوسية، وأنه أتم مناقشة رسالة الدكتوراه في مجال الفيزياء الكمية، والتي كانت بعنوان (الأدلة العلمية على وجود الصانع الذكي.. برهان النظم الدقيق في أوتار الكف البشري دالة على وجود خالق)، والتي دحض فيها أدلة أصحاب نظرية الانتخاب الطبيعي غير الموجه أو نظرية العشوائية.

صافحني ذكري بحرارة، ودعاني للقهوة في أقرب وقت ممكن، حين أعلن المذياع عن وصول الجد، فعم المكان صمت وترقب،

إلا من صوت موسيقى هادئة جدًّا تكاد ألا تُسمع لآلة البان فلوت، بأداء الروماني الرائع جورج زامفير.

وحين رأيت جدي تهاوى كل ما توقعته عنه وصورته التي رسمتها له في ذهني، إذ كان رجلًا لا يتجاوز الخمسة والأربعين عامًا على أقصى تقدير، له شعر مشيب من بعد شقرة، فصار رماديًّا، وإن كان يتخلله بعض الشعيرات البيضاء زادته وقارًا إلى هيبته المفرطة، بشرته بيضاء مشوبة بحمرة على وجنتيه، أما عيناه الخضراوتان بلون حبوب حشائش فصل الربيع الطازجة على مقلتين بلون ثلج قارة أنتارتيكا، فيهما براءة طفل وحكمة شيخ وحب عاشق وإخلاص نبي، وزهد متصوف في غار.

كان طوله مفرطًا، يقارب المترين إلا قليلًا مع جسم رياضي، كأنه لم يمرض يومًا ولا حتى بزكام في فصل شتاء دافئ.

له من الحضور الكاريزمي والجاذبية ما يجعل القلوب تألفه للوهلة الأولى، فإذا تحدث أو ابتسم تعلقت به تلك القلوب من بعد انجذابها الأول، وما جعلني حينها **أفكر:** أتُراه حقًّا خالدًا للأبد!

كان يرتدي بدلة خضراء داكنة بدون رابطة عنق، وما إن دخل القاعة حتى نهضنا جميعًا قيامًا بلا ترتيب مسبق منا، لا نلوي على شيء إلا النظر إليه، إلى أن أشار إلينا وإلى حضنه أن هلموا إليّ.

عندئذٍ تدافع الشباب إليه معانقين ومقبلين إياه.

ظلت الصور الذهنية المتوقعة عندي عن رسمية اللقاء تتساقط كأوراق شجر الخريف، ومعها شعرت بأريحية تامة، وأعتقد أن هذا ما أراده جدي ببساطته تلك.

ألن تذهب لمصافحة جدنا؟

سمعت صوت ذكري بجواري بين قلة من المتأخرين، قلت **له:** سأتريث قليلًا ريثما تهدأ الأجواء حوله! لا أريد مزيدًا من المزاحمة خشية مضايقته.

دقائق مرت قبل أن يكلم الجد الحشد من حوله بكلام لم أستبنه.

عندها انتظم الجمع قليلًا، ومعها بدأ جدي في مباركتهم بأن يضع كفه الأيمن على رأس أحدهم ويضع يسراه على قلب نفسه.

فمن مُنح البركة كان يتقهقر ويدخل من بعده، وحين قل العدد قليلًا أشار إلينا الجد فتقدمنا نحوه، كل ذلك ولم تخفت إشراقة وجهه، وتوزيع بسماته المحبة ولو لحظة.

تقدمني ذكري فاستقبله جدي بقبلة على جبينه، وبعد أن باركه سمعت جدي يهمس **له:** استأذن للدخول عليّ بعد صلاة الإشراق لأمر مهمّ.

ارتبك ذكري ولم يزد عن **قوله:** أوك سيدي! واستدار مدبرًا.

بعدها عانقني جدي وقبلني، وبعد أن باركني قال لي بعامية **مصرية:** أنت رأوبين مش كدة!

أيوة يا جدي.

اسم ولي الله أجمل.. ثم همس في **أذني:** ابقي اطمئن على جابر الصياد[1] من وقت لآخر.

لم أعرف بماذا أجيبه فقلت في **ارتباك:** اللي تشوفه حضرتك.

---

(١) جابر هو من ادعى عليه داوود أنه والد ولي. التفاصيل كاملة مذكورة في الجزء الأول من الرواية تحت عنوان (ولي الله اليهودي).

ضحك الجد بوقار إشفاقًا لتوتري **الواضح:** متخليش حد من الآباء يشوف الوشم، مش عاوزين حد يزعل مننا.

تعجبت من معرفته بأمر الوشم وتحشرجت الكلمات في حلقي من فرط تأثيره الخلاب للفؤاد، والذي سيطر على روحي، فارتميت في حضنه وضممته بحرارة، فوضع قبلة حانية على رأسي.

سمعت نحنحة مَن خلفي تحثني على التعجل، فخرجت مضطرًا من الصف، وعطفت إلى مكان ذكري فرأيته يجلس مطرقًا رأسه يفكر.

لماذا يريد جدنا لقاءك باكرا؟ سألت ذكري

أجاب: أذكر أنك من خَلفية مسلمة، أهذا صحيح؟

قلت: نعم صحيح.

رفع رأسه نحوي وقال بصلابة شعرت معها بكثير **خجل:** من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.

أ..أ.. أعني! قصدت إن كان من الممكن دخولي عليه بصحبتك.

ذكري بشيء من **التهكم:** أرجو دعواتك لي بالتوفيق.

قالها ذكري وقام من مجلسه وابتعد منهيًا الحوار.

شعرت بحرج بالغ أنقذني منه صوت **المذياع:** رجاء الالتزام بمقاعدكم للإنصات إلى كلمة الجد.

بدا أكثر شبابًا وحيوية من أحفاده الجالسين حين بادر كلمته.

بسم الله الواحد الخالق الإله الحق المعبود.

واجد الوجود وكل ما دونه لم يكن يومًا موجودًا.

فأوجد ذاته بوعيه الأول في اللُب والوجد وتجاوز المحدود.

هو عين الذات ونحن هو، فوحدناه في وحدة الوجود، فجزانا بتوحيده نور الخلود.

لم يحتج للرسل للتعريف به ولا لشهود، وإنما فطرة الروح تعرفه فهو الشاهد والمشهود.

أما بعد

أحفادي فلذات الكبد، ومهجة القلب وشغف الروح، تعجز الكلمات المنطوقة بكل لغات الكون عن وصف مدى تعلقي بكم واعتزازي وفخري بوجودي بينكم في تلك الليلة المباركة، والتي سيؤرخ بها لأول أيام العصر الجديد والألفية السعيدة.

لكن بادئ ذي بدء ما هي أطروحة العصر الجديد؟ ولِمَ سميت بالألفية السعيدة؟ تلك أسئلة مهمة؟ ولكن هل من أسئلة أخرى لعلها أهم من الأسئلة آنفة الذكر؟

جوابي هو.. قطعا وقولًا واحدًا نعم! هناك أسئلة أهم.. تلك الأسئلة الوجودية التي حار فيها الأنبياء والفلاسفة وعلماء الطبيعة وغيرهم منذ وجود الإنسان العاقل الأول، وحتى يوم الناس هذا.

أسئلة تتعلق بالإله **والروح:** مَنْ نحن؟ ومِنْ أين جئنا؟ وإلى أين نمضي؟ وما الحكمة من وجودنا؟ والعديد من الأسئلة المشروعة.

لذا أنا بين ظهرانيكم اليوم لأجيبكم جواب من رأى وعاين ما لم يعاينه غيره، عن كل هذه الأسئلة بالتفصيل غير الممل والاختصار غير المخل.

أولًا من هو الله؟ وما طبيعته وصفاته؟ بداية أرجو منكم الانتباه والتركيز جيدًا، فأنا لست بصدد التحدث عن الله المعهود في الذهن خالق المادة، والذي أرسل الرسل وأنزل عليهم الكتب السماوية،

والذي هو (الديميورج بمعني خالق المادة)، هكذا سماه الأولون، وإن تسمى هو بالإله أو الأول أو يهوه.

إنما أحدثكم عن الإله الأول، النور التام، وتمام النور، الآن ماذا لو أخبرتكم أن هذا الإله الخالق والرب **التوراتي:** أي خالق آدم هو ذاته مخلوق، وليس بأول ولا بخالق للروح، وهذا هو السر الأكبر الذي لن يجرؤ عن البوح لكم به أحد البتة.

نعم هناك إله آخر أسمى من الإله الذي خلق العالم والإنسان، فالإله الخالق ليس هو الإله الوحيد؛ بل يجب أن يكون هو متعبدًا لخالقه الأول[1].

نعم هناك إله آخر أعلى منه، إله مثالي متفوق بالمطلق.. هذا الإله، لا سبيل لمعرفته بالنسبة للإنسان المقيد بأغلال المورثات الفكرية والعقائدية.

فهو: أي الإله الحق الذي نحن بصدد الحديث عنه، خارج هذا الخلق المادي، ويستحيل على الإنسان أن يجد هذا الإله عن طريق جسده ونفسه المنقوصين والمخلوقين على تلك الحال، ولا يمكن أن يمتلك فكرة أو لمحة بسيطة من الحدس عما يكون هذا الإله الذي هو خارج هذا الكون المحدود، إلَّا الإنسان الذي حرر ذاته بالكامل من هذا الجسد، واستسلم لفطرته النقية الأولى، فلكل منا رسوله بداخله، وهذا الرسول هو جزء من الإله والذي يدله على الإله الحق رب الأرباب.

---

(١) تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا. المؤلف

الإغريق القدماء يسمونه أغنوستوس **ثيوس:** أي الإله المجهول، هذا الإله ليس مجهولًا فحسب، بل يستحيل معرفته، ولا سبيل إلى معرفته بواسطة الجسد والنفس فقط، وإنما فقط الروح من تدل عليه لأنه هو خالقها وهي جزء منه.

لا يمكن أن نمتلك أدنى فكرة عما هو هذا الإله، الذي هو خارج هذا النظام برمته، ومتفوق بشكل مطلق على الإله الخالق. إنه إله يستحيل إدراكه بهذا الجسد وهذه النفس، اللذين أتيا من هذا الكون المخلوق من المادة والزمن.

إن هذا الإله لا ينتمي إلى المستوى المادي، وإنما إلى مستوى المادة المضادة، إنه إله المادة المضادة، أعني مادة الروح النورانية، والتي لا تدرك بالحواس المادية ولذلك لا سبيل موصل إليه إلا بالروح.

الآن وقد عرفنا معبودنا الإله الأول، بإيجاز شديد ومختصر أظنه –وللأسف– مخلًا فكيف لي مثلًا أن أرسم عطرًا، هذا هو حالي كلما أردت أن أتكلم عن الإله.

على كل حال ما أحاول قوله، أنه هو النور الكلي والوعي الجمعي والعقل الجمعي الأول، وهذا التعريف من باب الإخبار عنه، إذ لا توصيف ولا مسمى له.

ولأننا قد علمنا أنه متعد للأسماء والصفات والاستثناء أو الشرط والحيز والمكان، وهنا سيقول البعض إنكم تعبدون عدمًا، نقول لهم إن سميتموه عدمًا فقد وصفتموه وهو الذي ليس مثله شيء.

أو بمعنى آخر، كل ما خطر على بالك فالله خلاف ذلك.

الآن وقد عرفنا الله الحق الأول، فكيف لنا بالحديث عنه وهو لا يتخيل باسم ولا صفة، ولذلك فدعونا نشير له بـ (هُوْ) لنميز بينه وبين الله خالق المادة، والآن من لديه سؤال في الجزء المنصرم من المحاضرة فليتفضل.

كانت رشا أول **السائلين:** قد علمنا أن الديميروج بدأ خلقه بآدم، ونفخ فيه من روحه فصار نفسًا، فكيف خلقنا (هو) كأرواح في عالم ذر النور.

الجد: خلقنا بالفيض والتجلي، بمعنى آخر قبل الفيض، كان اللاوجود، وهو أيضًا فوق قدرة تصور العقل البشري، فكما أن للحواس قدرات لا تتخطاها، مثل أشعات معينة وموجات صوتية معينة وغيرها، كذلك العقل يصعب تصور مرحلة اللاوجود ويصيغها بكلمات.

ولكني سأحاول جاهدًا فاعذروني لو قصرت. **وابتسم:** وأظنني سأقصر لأن تلك غاية المسائل العقائدية الغيبية، والتي لا مجال للعقل فيها، وأرجو أن تسعفني الكلمات.

ثم اتسعت ابتسامته **الجميلة:** هلا حاولتم وصف اللون الأبيض لمجموعة من العميان!

ارتسمت بسمات على وجوه الحضور، قبل أن **يحاول:** اللاوجود بمعنى عدم العدم، وليس عدم الوجود، أي عدم المكان والزمان والأبعاد والإحساس، تخيل نفسك تقف بوعيك لا بجسدك وسط فراغ مظلم لا نهائي ممتد إلى الأبد في كل الاتجاهات، لا زمان ولا مكان. هكذا كان (هو): أي الله الحق والوعي الأول.

فلما تأمل هو، أحب ذاته العليا، فتجلى بالحب والسلام والسكينة، فأوجد العدم بعد أن كان اللا عدم لكي يملؤه بالحب، وتلك مرحلة **اللاوجود:** أي كان هو، ولم يكن شيء معه.

ثم تجلى سبحانه ففاضت روحه الأولى ووعيه الكامل، إلى أرواح الوجود ووعيهم فغمرتهم بتأملاته **الأولى:** أي الحب والمشاعر النبيلة، وتلك مرحلة الوجود.

أعلم أني حاولت الإجابة، ولكن ثقي يا بنيتي أن هذه المسائل الغيبية لا تلقن، ولكن تُلقى في القلب المخلص بواسطة الكشف والإلهام، فيتشربها القلب، ومن ثم يعيها العقل.

رشا: شكرًا لك يا جدي، وأقسم لك أني استوعبتها من قبل، وما أردت إلا اليقين وأن أخاطبك وجهًا لوجه.

ذكري: عفوًا جدي المبارك، ولكن هل حديثك هذا يعني أن (هُوْ) خلقنا صدفة أو عشوائيًّا؟

توقعت أن ينزعج جدنا من السؤال؛ لأنه بَيَّن سلفًا أنا ما خلقنا إلا لحب الإله لنا، ولكنه لم ينزعج وأحال السؤال بهدوء شديد

للحضور: هل فهمتم هذا من كلامي عن معتقدنا في قصة الخلق؟

هتف **الحضور: لا لا لا!**

الجد: لقد أجابك إخوتك.

لم يجلس ذكري، بل استمر بشيء من العناد الوقح غير المناسب

للمقام: إذًا لماذا خلقنا الله؟

الجد: لأنه يحبك، فصيَّرَك جزءًا منه، نورًا من نور، وتكون إلهًا مثله، تشعر بما يشعر من حب لا نهائي ولا مشروط، ولم يخلقك لتكون عبدًا له أو لغيره في حظيرة الكون المادية.

ذكري: ولِمَ لا أشعر بذلك؟

الجد: لأن الديميروج خالف، وكان أول روح عرفت الشر، فأراد أن يستأثر بالألوهية وادعى الربوبية، ولذلك خلق المادة وما تحتويه من شرور.

لاحت في الأفق مشاعر ضجر مكتوم من الحضور لانفراد ذكري بالحديث دون غيره، أو لربما خوفًا على الجد من التبرم، فلما شعر الجد بذلك ضم كفيه ورفعهما إلى الهواء **وقال:** أرى شياطين تدخل عليكم في شكل طاقات سلبية، أخشى أن تنال منكم وتولد بينكم شحناء فتلقي بقسوة في قلوبكم.. لذا أيكم يخبرني بمن هو قائل الحكمة البليغة (لا تختلفوا فتختلف قلوبكم).

بشعور طفل أردت أن أسبق بها غيري لينظر نحوي جدي **فهتفت:** محمد رسول الإسلام.

الجد: صلى الله عليه وسلم، أحسنت يا بني.

كان الحضور يرمقوني فضولًا، فلم أعرهم أدنى اهتمام، فقط ما كان يهمني شيء آخر، أحقًّا صلى جدي على النبي محمد! كيف! ولِمَ! أليس –كما افترضت– عقيدتنا تتصادم معارضة لعقيدة الإسلام.

هممت بأن أسأل تلك السؤالات لجدي، ولكن يبدو أني أطلت التفكير، فما إن هممت إذ بجدي **يقول:** فلنصلِ عشر دقائق بصلاة محبة، بعدها، تذهبون إلى مراقدكم لترتاحوا قليلًا قبل صلاة الإشراق.

فشرعت في صلاتي **متأملًا:**

كصديق مجهول.. هكذا سأسكن قلوب ذوي النفوس الطيبة المتفتحة، محاولًا إيقاظهم وإلهامهم أرق وأرقى المشاعر على الدوام، واستنهاضهم من خلال أفكارهم النبيلة كي يهجروا سبات الأحلام الدنيوية.

وفي نور الحكمة سأشدو مع مسرّاتهم في خمائل السكون المحتجبة.

سأنظر للذي يظن أنه عدوي بأنه بالحقيقة أخي، بالرغم من قناع سوء الفهم الذي يرتديه. سأمزّق ذلك القناع بخنجر محبتي، عله إذ يرى فهمي المتسامح المتواضع يكف عن ازدراء تقدمات أماني الطيبة.

باب مودتي سيظل مفتوحًا على مصراعيه لأولئك الإخوة الذين يمقتونني والذين يحبونني على السواء.

سأشعر بشعور الآخرين تمامًا مثلما أتعاطف مع ذاتي، وسأعمل على خلاصي من خلال مساعدة إخوتي البشر.

إنني متأكد أنني إن منحت مودتي للجميع فسأشعر بالحب الكوني الذي هو الله.

الصداقة البشرية هي صدى الصداقة الإلهية. إن أعظم معجزات السيد الجد كانت مقابلته البغضاء بالمحبة والتسامح، مقابلة الكراهية بالكراهية، هي أمر سهل، ولكن تقديم المحبة بدلًا من البغضاء أصعب.. إنما أعظم شأنًا.

لذلك سأصهر الكراهية في لظى محبتي المضطرمة.

سأتخذ من كل شعب أفضل ما لديه، سأستحسن الصفات الطيبة لكل القوميات ولن أركز تفكيري على عيوبها.

في هذا اليوم سأتخطى حدود محبة الذات والمحبة العائلية وأجعل قلبي منزلًا رحبًا لكل خلق االله، سأضرم نار المحبة العالمية وأبصر الآب الكوني في هياكل كل العلاقات الطبيعية. سأطهر الرغبة في الحب وأحققها في الحصول على محبة االله القدسية.

بعد الصلاة ذهبت مجموعتنا للغرفة، وكانت زينب أشد ما تكون على ذكري، فخالفها يعقوب الرأي، ورأى أن من أبسط حقوق الأخ هو السؤال من بعد سنين التكتم، أما آدم ويوسف فقد رأيا أنها فرصة ضائعة، آدم من حيث المشاهدة واكتساب مزيد من فن الحوار، ويوسف من حيث اغتنام الفرصة وكسب المزيد من المعلومات.

أما أنا فشرعت في صلاة النوم، وظلت رشا صامتة، وإذا بالمذياع يدق نغمة الانتباه الرقيقة قبل أن يعلن عن بيان بكشف أسماء قائدي المجموعات والمكلفين من قبل الجد نفسه، فأصغينا جميعًا إلى أن سمعنا الصوت يعلن تنظيم المجموعات وجاء دورنا **فسمعنا:** الآنسة رشا رشيد مسؤولة مجموعة الشرق الأوسط، وسوف يرمز لهم بـ me٦.

أما الغريب فهو تعيين ذكري مسؤولًا عن مجموعة الهند، رغم مجادلته للجد في المحاورة.

لم تبد رشا كثير انفعال بالخبر، وكأنها كانت متوقعة حدوثه، وبعد أن هنأنا رشا بتوليها قيادتنا كانت أول أوامرها لمجموعتها الالتزام بصلاة الليل حتى النوم.

قبيل الشروق، أيقظنا تنبيه المذياع لصلاة الإشراق، وبعد الاغتسال ولبس الجلباب المغربي الأحمر، ذهبنا إلى السطح، وهناك وجدنا الجد قد سبقنا إليه وهو يرتدي نفس ثوبنا، ولكن باللون الأخضر، وفي يده عصا ذهبية غريبة الشكل.

كان طول العصا حوالي المترين، وهي عبارة عن ثعبانين مجدولين على شكل ضفيرة مستقيمة، أما رأسا الثعبانين فمتقابلان ليخرج من بينهما رأس العصا، والذي كان على شكل صليب مفتاح الحياة الفرعوني المسمى بـ (الخنع).

لم نأخذ الكثير من الوقت لننتظم للصلاة، وقد عرف كل منا مجلسه، انتويت أن أبذل قصارى جهدي في التركيز، عملًا بنصيحة زينب، كي لا تفوتني مجددًا فرصة أمس الضائعة مع أفعى شجرة الحياة، وشرعت في صلاتي مخلصًا بها **قلبي:**

االله هو مالك الكون، وأنا وريث مملكة قوته وغناه وحكمته.

لقد مسَّني النسيان فهويت إلى حالة من الاستجداء البشري وقصّرت عن المطالبة بإرثي المقدس.

يا رب، أريد وفرةً وصحة وحكمة بدون حساب.. لا من المصادر الأرضية المحدودة الضحلة، بل من يدك الكريمة ذات الملك والقوة والكرم الرباني.

لن أستجدي ولن أطلب رخاء وصحة ومعرفة بشرية محدودة.

أنا ابنك، ومن هذا المنطلق. يا رب هب لي أنوارك غير المحدودة.

دعني أشعر بأنني خاصتك. خلصني من وعي التسول والاستعطاء، واعصمني من الاستجداء. دع كل الأشياء الطيبة بما فيها الصحة، والحكمة، والرخاء تسعى إليّ بدلًا من بحثي عنها وتعقبي لها.

إلهي، ساعدني كي أتذكرك، وكي أبقى ممتنًا لك وشاكرًا لأفضالك على سنوات الصحة التي تمتعت بها.

سأنفق قليلًا، لا بنفسية الشحيح البخيل، بل بدافع ضبط النفس. سأصرف قليلًا علّني أوفّر أكثر، وأجلب بالذي أدّخره ضمانًا ماديًّا لي ولأسرتي.

سأبسط أيضًا يد العون بسخاء وأريحية لإخوتي المحتاجين.

إن مملكة الوجود كلها وكنوز الدنيا بأسرها هي لك يا رب.

أنا خاصتك ولذلك فإنني غنيّ بك.

انتهيت من كلماتي وغصت أكثر في بحر تأملاتي العميق منتظرًا ظهور أفعى الأمس، ولكنها لم تظهر، بل رأيت –ويالعجب– جدي يطوف من حولي، وقد وضع عصاه على رأسي، ولا أعلم لماذا انتفضت أطرافي مرتعشة بمجرد لمس العصا لي، وسال العرق مني سيلًا.

تلقفني جدي **بقوله:** حذار ثم حذار! من أن تباعد ما بين جفونك! إياك أن تفتح عينيك فتبصر ما لا يجب أن تبصره!

شعرت بهرمون الأدرينالين في جسدي يقوم بثورة سجين صبيحة تنفيذ حكم الإعدام فيه، وأخذ قلبي يضخ دمه كله في الانقباضة الواحدة، مما جعل دقاتهُ تسمع من على الشاطئ البعيد.

رفع جدي العصا عن رأسي ووخزني بطرف عصاه وخزات تبدو لطيفة، وغير مؤذية، لكني ومع كل وخزة كان جسد يرتعد كالمصعوق.

كانت الوخزة الأولى في جذري، عند أولى فقراتي السفلية العصوصية التي وردت في الحديث الصحيح بـ (عجب الذَنب)، والتي لا تبلى من جسم الإنسان بعد موته، وإنها هي ما ينبت منها الجسد ثانية للبعث، كما ينبت البقل من الحبة، توهجت حين توهج طرف عصاه باللون الأحمر، وشعرت أني تصلبت على الأرضية التي أجلس عليها.

أما الوخزة الثانية فكانت في عجزي، تحت سرتي بحوالي ٥ سنتميترات، حين توهجت العصا باللون البرتقالي شعرت أنني أوتيت قوة أربعين رجلًا.

ثم وخزني الثالثة في أعلى بطني، في ما نطلق عليه في عاميتنا المصرية (فُم المعدة)، فاصفرت عصاه، ومعها شعرت بسعادة وسرور ما شعرته قبل.

أما الوخزة الرابعة فكانت فوق قلبي بقليل، ومعها كان طرف عصاه كائنه الزمرد الأخضر، أما أنا فامتلأت بحب وسلام وسكينة مفاجئة.

تلاها بالخامسة عند حلقي، وحين تحول طرف العصا للون الأزرق انجلت غشاوة عن سمعي، حتى إنني سمعت صوت زعانف حوت يسبح في العمق.

بعدها كانت الوخزة السادسة بين حاجبي، تلك الوخزة آلمتني أكثر من سابقيها وشعرت أنني محاط بسحب باللون البنفسجي من

حولي، ولكن سرعان ما انقشعت تلك السحب، وأصبحت أرى إخوتي المصلين من حولي وجدي في ردائه الأخضر جالسًا مكانه، هذا رغم أني مغمض العينين.

جالت الخواطر في ذهني، وكلما خطرت لي خاطرة رأيتها أمام عيني على هيئة صورة مرئية، ويحي أترى تلك هي العين الثالثة التي طالما سمعت عنها؟!

فكرت في جدي المتعمق في صلاته الآن فرأيته جالسًا، إذًا فمن يكون صاحب تلك النكزات المدهشة، لكن لم يطل تفكيري إذ جاءتني الوخزة السابعة، عفوًا السابعة لم تكن وخزة، وإنما ضربة لطيفة من صليب مفتاح الحياة الذهبي على أم رأسي، وهو ما اصطُلح عليه بحيز التاج قبل أن يستقر عليها لثواني معدودة مرت عليَّ دهورًا.

في تلك الثواني رأيت أشياء لا أعرف كيف أصفها، رأيت أحداثًا كثيرة متداخلة عدت بالزمان، ورأيت أحداث الأرض كلها من لحظة ضربي على رأسي، وحتى الانفجار العظيم كشريط فيديو يعود للخلف بأقصى سرعة، سافرت خلال الأبعاد وكلمت الموتى، هذا كله خلال لحظة أو تزيد.

حتى شعرت برأسي تأخذ شكل سحب الدخان المتولد من قنبلتي هيروشيما ونجازاكي.

هذا وأنا أجلس القرفصاء وجدي يقف من خلفي وسمعت صوته **يأمرني:** أسرع الآن وانحنِ للأمام قبل أن تجن ويذهب عقلك، دعني أوقظ لك ضفيرتك (الكوَانداليني).

مِلْت برأسي للأمام حتى وطئت الأرض بجبهتي، فبرز عمودي الفقري، وأنا أضغط جانبي رأسي محاولًا منعها من الانفجار.

شعرت بجدي يسابق اللحظات وهو **يقول:** دعني أتم ما قد بدأته، وما عليك إلا أن تصلي الآن لأمك الطبيعة، كما صليت لأبيك الوعي الكوني.

قالها وهو يمرر عصاه العجيبة محاذيًا جانبي عمودي الفقري صعودًا ونزولًا، عن اليمين وعن الشمال، وينكزني بالطرف المدبب بين فقراتي.

ما لي لا أراك تصلي صلاة الأم! أسرع فإنك لا تتحمل عواقب الخطأ. قالها جدي منفعلًا.

فَعجَلتُ بالصلاة وأنا ألملم **تركيزي:**

أيتها الأمُّ الكونية.

بدِّدي من حولي هذه الظلمة.

عندما أجلس بعينين مغمضتين، متلفعًا بظلال من خلق ذاتي، دعي نور البصيرة يشرق على كياني بروعة وبهاء.

أزيحي نقابك البرَّاق للصور الكونية المتحركة، وأريني وجه رحمتك الذي يجلو الخداع ويُبدِّد الأوهام.

أيها النور الوهَّاج، أيقظ قلبي، صحِّ نفسي، ألهبْ ظلامي، مزِّق حجب السكون واملأ هيكلي بمجدك.

يا رب، اطرد منَّي الأفكار الخاطئة بأنَّنا كائنات بشرية واهنة.

أظهر ذاتك نورًا خلف عقولنا.. تألَّق الحكمة العميق.

أطلعني يا رب على خفايا وجودي في نيران وجدي، أحرق جهالتي وفي هدأة روحي دعني ألتقيك، تملَّكني، ودعني أشعر بحضورك الأبدي في داخلي ومن حولي.

في خلوة أفكاري أحنُّ لسماع صوتك، أبعد عني الأصوات الأرضية الكثيفة المتوارية في ذاكرتي. أود الإصغاء لصوتك الهادئ، الشادي على الدوام في سكينة نفسي.

إلهي! حيث أنت واجد الوجود، فلا بد وأنْ تكون موجودًا في أعماق كياني ووجداني.

إنك تمتلك القدرة الكلية والمعرفة الشاملة.. هاتان أيضًا صفتا روحي.. فلأُظهر ولو جزءًا يسيرًا من الكنوز المخبوءة في منجم روحي.

ما لبثت بعد صلاتي للإله الأم أن هدأ روعي، وذهب عني ما كنت قد وجدته في نفسي من صراع باطني، كما شعرت أن وزن جسدي صار مثقال ريشة من عصفور صغير أو حبة من حبوب لقاح ذكر نخيل تهيم في الجو باحثة عن أنثاها.

خاطرني جدي بلا صوت **منه:** الآن انهض وأطلق لبصرك العنان.

فتحت عينيّ وكان المشهد من حولي كما تركته آخر مرة بصرت **به:** إخوتي كل منهم منهمك في صلاته مستندًا على ظهر أخيه على سطح المركب.

وجدي على حاله الأولى في ثيابه الخضراء قابعًا في مكانه، وما إن نظرت نحوه إذ به يفتح عينيه فيبصرني فيبتسم لي وينهض.

لا أقول نهض قائمًا بجسده المادي، وإنما انسلخ منه واقفًا وظلت صورته البدنية قابعة في مكانها.

أشارت لي روح جدي الواقفة بالقدوم إليها، وحين أردت الاستنهاض إذا بي انسلخ من جسدي الجالس يتأمل فنظرت إليه أو بالأحرى إليَّ ثم اتجهت نحو جدي بين صفوف المصلين، وأنا لا أشعر بثقلي أو بأرض المركب تحت قدمي.

وصلت إليه فأمسك بيدي برفق، فسرى في جسدي نور، ثم قال لي بعاميتي **المصرية:** حمد لله على السلامة.

قلت **ببراءة:** هو أنا كدة مُت خلاص؟

ضحك جدي ضحكة ما رأيت أجمل منها على وجه **مشرق:** أنت كدة حييت.

ازدادت براءتي سذاجة **فقلت:** وبعدين؟

اتسعت ضحكة جدي حتى بدت له أسنان من نور وهو **يقول:** يعني بقيت سوبر مان. لم أدرِ ما أقول وانتظرت تعقيب جدي الذي ما لبث أن **قال:** آن لك أن تبصر الحقائق بعينيك لتكون على يقين من ماضيك، وليعينك هذا الماضي فيما أنت مقدم عليه، ثم أخذ بيدي وسرنا نحو البحر الساكن، فاخترقنا سور المركب بجسدينا الأثيريين فتخطينا السور، وسرنا على صفحة الماء.

كنت ممسكًا بيد جدي فقبضت عليها مع أول خطوة حين وطئت قدمي صفحة البحر ونظرت حيث أشار جدي، فبصرت جزيرة بلورية على مرمى البصر، ومع خطوتي الثانية كنت بالفعل على الجزيرة، وعليها رأيت أنواعًا من أشجار من كريستال لها ثمار بأحجام وألوان ما رأيتها قبل كذلك، الأزهار والورد والطيور على الأغصان، أما الحصى على الأرض فكان من صنوف الأحجار الكريمة.

سألت **جدي:** أين نحن؟

أجابني: في أقرب بُعد لبُعدنا المادي، ولكننا ما زلنا على كوكبنا، فقط أردتك أن ترى عدة مشاهد لتجمعها كقطع البازل فتضح لك الصورة، هيا اتبعني حتى ترى أول مشهد.

دخلنا أحد الكهوف العميقة، ومع ذلك كان مضاءً بنور أبيض شديد من غير مصدر للطاقة، فسألت جدي عن مصدر الضوء.

أجاب: الأرض لم تغزها الظلمة بعد، هذا لأن الظلمة شر، وفي هذا العصر كان الشر شبه معدوم إلا من النذر اليسير، انظر إلى هذا المشهد.

نظرت حيث أشار، فوجدت ذئبًا يلهو ويلعب بمرح مع قطيع من الحملان.

قلت: جدي العزيز! أنت تعلم بأمر الوشم وتعلم أني سافرت للعصر الأول لربما بإسقاط نجمي أو ما شابه، وكانت الأرض غير الأرض التي أرى.

قال: أي بني! إنك سافرت لعصر ما قبل آدم أو ما نسميه عصور تجارب الديميروج على الخلائق، ألم ترَ بعينيك كيف قضت التنانين على الإنسان الأول، وكيف قضى الهوموسبايان على النياندرتال، والديناصور على الهوموسبايان، وهكذا صارت الأمور في سلسلة من التجارب الدموية إلى أن انتهى رأي الديميورج بخلق آدم على صورته.

قلت: إذًا التطور صحيح، وقصة آدم أيضًا صحيحة، الآن جُمع الأضداد.

قال: عمومًا لقد وصلنا، ولتشاهد بنفسك.

عبرنا الكهف وخرجنا من الجانب الآخر، وإذ نحن بحقل غناء بالخضر والفواكه، وبه رجلان يتجادلان، أشار جدي إلى أحدهما **وقال:** هذا أبي قابيل، وهذا شقيقه لأمه هابيل، الآن أصغ سمعك لما سيقولان.

قابيل: ويحك يا ابن أمي! كيف تعبد من سجن روحك في هذا الجسد الطيني البالي، وزعم أنه هو رب الأرواح وخالقها، أخشى أن تكون ذريتك أغبياء مثلك ولا يعملون عقولهم فيضلون عن سبيل الله.

هابيل: لأن يكونوا أغبياء أحب إليّ من أن يكونوا كفارًا مارقين من رحمة الخالق، ثم يا أخي أتلومني أن أطعت أبي آدم أول الخلق وأحبهم إلى الخالق.

قابيل: قبح الله النور الحق وجهك من أحمق، أيها المجرم قاتل الأرواح وآكل لحومها، لا تنعتني بأخي، فأنت تعلم أني لست ابن أبيك، وإن أنكر أبوك ذلك ونسبني إليه زورًا، أبوك آدم الذي رضي بأن يكون عبدًا، أما أنا فأبي لوسيفر حامل مشعل النور، وند ربك الذي أمرك بقتل الأنعام وزهق أرواحها البريئة ليدخلها في سلسلة التناسخ ودوامة التقمص، فتُعَذّب بالذبح في كل حياة تحياها.

هابيل: لقد أفسد أبوك لوسيفر لك عقلك، ونكس فطرتك، فلم تعد تبصر قدرة الخالق عليك، ألا ترى أنه قادر على إماتتك بكلمة (كن).

قابيل: بلى هو قادر، ولكن فقط على موت نفسي لا روحي فهي خالدة، ولذلك هو يخشاني أشد من خشيتك أنت له، أرأيت كيف غضب ربك حين أكل أبوك آدم من شجرة المعرفة، فعرف ما أقوله لك الآن!

ولكنه –وبرغم معرفته– كان غبيًّا مثلك، فبدلًا من أن يعي ما علم ويعمل به فيتحرر، أو حتى يستتر حتى ينال من شجرة الحياة، فيتخلص من العبودية ويصير في مكانة ربه، إذ به يتوب ويتذلل ليعود إلى إغلال ربه راضيًّا، سامحك الله يا أمي! لِمَ أطعتي زوجك في توبته، ولم تذهبي مع أبي لوسيفر وتعملي بما علمتِ من شجرة المعرفة كما فعلت سابقتك ليليث وعزازيل رئيس الملائكة.

هابيل: إذًا، سترددد تلك الترهات حتى يسمعك ربي ويأمر بقتلك، نصيحتي لك كوني أخًا محبًّا لك أن تخفض من صوتك.

قابيل: تبًّا لك! حقًّا إنك مجبول على البرود والحماقة، أحدثك بأن الإنسان منا قادر على أن يرتقي لمرتبة ربك حين يتحد مع الإله الحق، وهذا ما بدأته فعلًا بتعليمه لابني خنوخ، وأنت تحدثني عن قتل ربك لي، ألم تسأل نفسك لِمَ هو مغرم بالقتل لهذه الدرجة؟ ألا يدلّك هذا على كم هو مبغض للحياة!

نظرت لجدي وهمست **له:** يعنيك أنت بقوله «ابني خنوخ»؟

فأومأ **برأسه:** أي نعم، فعدتُ لمتابعة الحوار الجاري.

ابتسم هابيل ببرود ولا **مبالاة:** ليس لهذه الدرجة يا ابن حواء أمي وأمك.

قابيل **بإصرار:** أتتحداني بأن أقدم له نباتًا من خضر وورد وفاكهة، وأنت تقدم له أيَّ شيء حي، أنه سيقبل قربانك دوني، ولن حتى يتقبل القربانين، وفي هذا دليل على شغفه لزهق الأرواح.

هابيل **بفضول:** وماذا لو فعل أن تقبل قربانك النباتي، أو قبلنا سويًّا؟

زاد قابيل إصرارًا وثقة بما **يفعل:** سأقبله وأرضى به ربًّا.

فرح هابيل بمقترح أخيه، وذهب من فوره إلى حظيرته وأتى بكبش سمين، فوجد أخاه قد سبقه بطبق كبير وضع فيه ثمارًا فاكهة وخضر وحبوبًا من بقل وأزهار ذات ألوان مختلفة وعطور، ولكن حدث أن صدق قابيل فيما توقعه، فنزلت نار من السماء فأتت على قربان هابيل دون قربان أخيه، لفترة ظل قابيل ينظر إلى طبقه العامر بنبات الأرض تارة، وإلى الدخان المتصاعد من قربان أخيه تارة أخرى في حنق وهو صامت يكتم غيظه مطرقًا وجهه.

إلى أن قال **هابيل:** الآن تب إلى ربي واستغفره ودع عنك هرطقتك، واسعَ إلى مرضاته، وأنصع له عبدًا مطيعًا.

صاح قابيل في **غضب:** اغرب عن وجهي أيها التابع الذليل المستفز، أو أعطني سببًا واحدًا منعه من قبول قرباني.

هابيل ببرود شديد وبنبرة ملؤها **الشماتة:** ما أريد بك إلا الخير، وما عليك إلا أن تذبح الذبائح وتأكل لحومها، ولا تنشغل بفكرة أصل الروح وخلودها وتقمصها، وما لقنك أبوك لوسيفر من هراءات.

بلغ غضب قابيل مداه، فالتقط من الأرض حجرًا **وقال:** إذا كان ربك يحبذ القتل ويرَغب فيه، فها أنا ذا سأفعلها ولو لمرة واحدة، ورضخ رأس أخيه بالحجر فشجه فقضى عليه.

ثم خرج قابيل من حقله واصطحب زوجته الحسناء، وكانت في شهرها الأخير من الحمل واتجه شرقًا.

سألت **جدي:** إلى أين يذهبان؟

جدي: إلى أرض نود، وادي السند حاليًّا، لتضع وليدها هناك.

قلت: أنا أعلم أن وليدها هو أنت، خنوخ الخالد، وعلى أرض نود سيَبْنِي قابيل أول مدينة على الأرض، وسيسميها خنوخ تيمنًا باسمك، لكن ما لا أعلمه هو كيف نلت تلك المكانة، ولم ينلها أباك قابيل، رغم أنه هو من علمك علوم أبيه لوسيفر، ودلك على الإله الحق ودين النور.

قال: هذا لأن أبي فعل منكرًا وهو قتل أخيه، فوجب عليه التناسخ وفقًا لقانون الكارما[1]، أما أنا فلم آتي منكرًا قط. وهذا حسب المعاهدة المبرمة بين الفريقين.

قلت: معاهدة!! أي معاهدة؟

قال **جدي:** أصغ إليَّ سمعك، وأنصت إلى قصة المعاهدة، وذلك سر آخر من الأسرار التي لن يخبرك عنها أحد، هذا إن علم به أصلًا.

قلت: كلي آذانٌ مُصغية.

قال: قد علمتَ أنه بعد أن هاجر أبي قابيل إلى أرض نود، بنى هنالك مدينته التي أسماها خنوخ تيمنًا باسمي! لكن لا أنت ولا غيرك يعلم ما حدث بعد ذلك.

ثم تنهد قبل أن يحكي كمن يستجمع ذكرى بالأمس **القريب:** شيئًا فشيئًا وسعت رقعة تلك المدينة، وصارت مدنًا حين كثرت ذرية أبي، وأنت تعلم أن في تلك الأزمان كانت أعمار البشر تربو على الألف سنة أو تزيد، وعلى الجانب الآخر كثرت ذرية آدم من ابنه شيث.. وبدأ صراع أحفاد حواء من رَجُلَيْها الزوج **والعشيق:** أي لوسيفر وآدم.

وحين رأى معسكر الآدميين تفوقنا عليهم حيث كنا -كما تعلم- نصف روحانيين ونصف مادي طيني، وعليه فكانت لنا قدرات خاصة غير العلوم الذي أمدنا بها جدنا لوسيفر، وبناءً على

---

(١) الكارما هي قوانين الجزاء، بمعنى أنه بما أن قابيل قتل، فوجب عليه أن تتقمص روحه في جسد جديد ونفس جديدة، وتؤدي ما عليها من حقوق من خلال الجسد الجديد.

ذلك بنينا مصانع ومزارع، وتقدمنا تقدمًا لم يشهد التاريخ مثله، ولا حتى في أزمانكم المعاصرة.

ورغم كل ذلك التقدم التقني والتكنولوجي، لم نسعَ لامتلاك سلاح قط؛ لأن عقيدة النور تقدس الروح وتعتبرها جزءًا من الخالق ستتحرر يومًا وتتحد به، وبناءً عليه، فلا يجوز الشروع في القتل، اللهم إلا دفاعًا، ولهذا تجرأ علينا بني عمي شيث، يغزوننا وينعتوننا بالكفار، ويعتبرون سرقة ثوراتنا، بل وقتلهم إيانا جهادًا مقدسًا فرضه عليهم الخالق، وكثيرًا ما كان أبي قابيل يفكر في اتخاذ قرار بصنع أسلحة فتاكة لِيُعمل فيهم القتل، خصوصًا عندما كانت تسيطر عليه فكرة أنه وجب عليه التناسخ بقتله لأخيه، وارتضى بعاقبة الكارما، ولكني كنت أثنيه عن الفكرة، وأذهب من حين لآخر إلى بني عمي شيث وأدعوهم إلى السلام، بل وأعلمهم الكتابة وسائر العلوم، ومن هنا علا شأني عندهم، ولما أثنى عليّ الخالق اعتبروني نبيًّا من أنبياء الخالق.

هكذا سارت الأمور إلى أن جاء يوم كر فيه معسكرهم علينا، فأثخنوا فينا القتل وعاثوا في أرضنا فسادًا. حينها استشاط أبي قابيل غضبًا، ولم يسمع لي ولا لأبيه لوسيفر حامل مشعل النور، بل وعصاه، واتفق مع عزازيل ملاك الخالق المتمرد عليه، واتخذا القرار المصيري بصنع السلاح الفتاك، واستخدامه ضد بني شيث الغزاة، فكانت مقاتلات تحمل صواريخ وقنابل قادرة على محو أراضي الآدميين، وبتلك الأسلحة عاثوا فسادًا في الأرض.

ومع ذلك تقبل أبي شفاعتي في الأسرى والناجين من الدمار، وكانوا يعدون بالملايين، وعاشوا في كنفنا باعتبارهم رعايا مكرمين

تحت حكمنا لا عبيدَ مهانين، أما الناجون من بني شيث فتفرقوا فلولًا وشكلوا قبائل شتى شبه همجية.

وهكذا توالت العصور، وقد ارتضونا ملوكًا وحكامًا عليهم، كما أخذت عائلتنا على عاتقها مسؤولية إعمار الأرض، وتفرقنا في أقاليم سبعة حول الأرض، وخصوصًا عند وديان الأنهار، وأنشأنا ممالك عادلة، وهم بلاد الرافدين ومصر والصين والهند وجنوب الربع الخالي؛ حيث –كانت وقتئذٍ– المروج والأنهار، وفي أقصى الغرب في بلاد الأزتك والمايا؛ حيث لم يكن حينها وجود للمحيط الأطلسي، وبقي أبي في مدينة خنوخ مهد حضارته الأولى في وادي السند.

وهناك حدث أمر جلل، وهو أن بعض الرعايا اتخذوا أبي قابيل إلهًا يُعبد، وكان حدثًا مدويًا آثار لغطًا جمًّا في سائر الممالك، بين مؤيد من باب التبجيل لأبي أصل العائلة، وبين معارض وأنا على رأسهم، لعلمي بأن هذا سيغضب الطبيعة الأم الحكيمة، مما ينذر بكوارث شتى تأتي على الأخضر واليابس.

وغلبت أبى كارمته وشدة طبعه العنيد، فاستحسن عبادة الناس له رغم تحذيري الشديد له، وتأسى به إخوتي الملوك، وأبناؤهم في الأقاليم السبعة، وأخذوا حذوه، فارتضوا عبادة الناس لهم كذلك، ولم يجدِ نصحي لهم بشيء.

أمهلتنا الأم الطبيعة دهرًا لم يخلُ من زواجر على فترات، عسانا نعود لعبادة الإله النور الأول الحق، ولكن أبي وإخوتي الملوك لم يتعظ منهم أحد، اللهم إلا أخي حاكم نينوى (بلد يونس عليه السلام).

فجاءتنا الطامات فرادى وجميعًا مملكة وحضارة تلو الأخرى فترجع أثرًا بعد عين، وبُدلت الأرض غير الأرض والناس غير الناس، ذلك وفي مسار موازٍ لنفس الحقبة الزمنية كان عبيد الخالق (الديميروج) من بني شيثٍ في أراضيهم في غرب أوربا وأواسط أفريقيا، يجتهدون فيما علموا مني من علوم، فتطوروا من الهمجية إلى حضارات محدودة نسبيًّا، فلما تبدل الحال علينا عادوا لغزونا تحت مسمى الجهاد بتكليف من ربهم وزعامة أنبيائهم، فكانوا يظفرون بنا مرة ونصدهم مرات.

إلى أن جرت معركة مهلائيل الكبرى[١] وكانت لهم الغلبة علينا، فلما خشيت على قومي الفناء، طلبت من عمي شيث لقاء جبرائيل، كبير مساعدي الديميروج، وحين لقيته ذكرته بسابقة فضلي على سائر الآدميين وسعيي الدؤوب لنشر الوفاق والسلام، وتعليمي إياهم العلم المحجوب على حد السواء، فلما أقرني على ذلك واعترف به طلبت منه مقابلة الديميروج.

وجاءت الموافقة، وصعدت بالفعل إليه بصحبة كبير مساعديه، وهناك أكرم وفادتي، وحين حدثني وصفني بمكارم الأخلاق، وأني خير أبناء حواء، كما أنه استثناني من وعيده على بني قابيل وخلع عليّ لقب الميتاترون[٢]، وفعلًا قبل شفاعتي في قومي.

ولكن كان له شروط **منها:**

---

(١) وردت تفاصيل المعركة في الجزء الأول وكذا علاقة الميتاترون بإيزيس وحورس.

(٢) بمعنى الذي يليه على ملك الأرض أو الخليفة.

أن ينفي قومي إلى أقصى الغرب[1]، وألا يخالطوا باقي الآدميين، إلا أنا كنت مستثنى من هذا الشرط، ولي أن أجوب الأرض، وليس هذا فحسب، بل لي أن أرد عليه في الملكوت.

وأنه سيرسل رسلًا لباقي الأرض، فلا يكذبونهم ولا يعادونهم، لا بالفعل أو الإشارة والتلميح.

ألا أذكر في قومي ولا انتسب لآل قابيل، وإنما لأعمامي من بني شيث ولد آدم.

ألا أمد البشر بمزيد مما عندي من علوم، وعليه فإن قومي يكتفون بما لديهم من علم، ولهم أن يتداولونه فيما بينهم.

فاوضته على الشرط الأخير، فأبى في الأخير إلا أن يكون التعليم بالرمز، فوافقته مضطرًّا.

عدت بعد ذلك إلى الأرض وأخبرت الفريقين، فوافق أبي على مضض، فأيقنت أنه يضمر أمرًا، ولقبوني بملكي صادق[2]، وأظهر الاستبشار وأضمر المرار، وأما ابن عمي مهلائيل فكادت تغلبه شهوة المنتصر، ويبطش بالكل، لولا أن كبح زمامه عمنا شيث.

أذكر حين بدأ توافد إخوتي ملوك الأقاليم السبعة، وأبي إلى أرض المنفى الغربية، أن التقاني جدي لوسيفر حامل النور، وكان معه عزازيل وشريكته ليليث، وعاتبني جدي برفق لقبولي شرط حجب العلم عن العالمين، فأجابه عزازيل بمكر بما **معناه:** لعل ابنه الملك المنتظر والمسيح الموعود[3]، يصلح ما فسد ويسود العالم بعلمه.

---

(١) أطلانتا فيما بعد.

(٢) ملك السلام والبر.

(٣) الدجال.

في ذلك الوقت كانت زوجتي (إيزيس.. إينانا) توشك أن تضع وليدنا، والذي أسميناه فيما بعد، أور (حورس)، ولما تكلم عزازيل بما قال، أدركت أن ابني سيكون ضلعًا في المخطط الذي يدبر خلف ظهري، وما أدارك بخطة يدبرها جدي لوسيفر بقدارته الخارقة، ومكر عزازيل وصبر أبي قابيل وعناده الدؤوب. وكل ذلك يصب في شخص ابني حورس الذي لقبوه بالمسيا.

ففي الوقت الذي كان يكد فيه شعبنا لإعمار الأرض الجديدة، والتي أطلقنا عليها اسم أطلانتا حتى صارت بفضل علمنا الرباني فخر الأرض، لدرجة أننا تواصلنا مع إخواننا من الأرواح الذين فروا إلى المجرات حين شرع الديميروج في مشروعه القديم بخلق المادة.

وفي وقت الإعمار هذا عمل الثلاثة الكبار على محفل سري خلف ظهري؛ لأنهم كانوا يوقنون أني لن أخلف عهدي مع الخالق، ولن أشاركهم في تدبيرهم.

فاتخذ هذا المحفل قرارين لا يزالان يؤثران في أحداث التاريخ والعالم إلى يوم الناس **هذا:**

أولًا: نصبوا ابني مكاني لزعامة العائلة، ولقنوه كل الأسرار المقدسة حتى تحررت روحه من جسده من أناه[1]، وبلغ درجة ما بعد النيرفانا[2]، بأن بلغ درجة عين، ثم درجة عين صوف، ثم درجة

---

(١) الأنا أو الأيجو هي ما تمثل وعي الإنسان المزيف عن ذاته وأصله والعالم من حوله، فتحول بين أصله الروحاني الرباني وبين معرفة ذاتها، وأنها لا تنتمي لهذا العالم المادي الوهمي.

(٢) النيرفانا في البوذية أو الموكشا في الهندوسية، هي نقاء الروح تمامًا من كل شوائب الحيوات المادية المتكررة الكثيفة، وبلوغها الدرجة النورانية

عين صوف حور، عن طريق سفروت الحية[1]، وهو السفروت الذي لا يتقنه إلا لوسيفر جدي، فأهداه إلى حفيده حور، ولذلك سماه باسمه وجعل رمزه العين ومذهبه صوف.

ولكنهم في نفس الوقت غمروا نفسه بكراهية الخالق، فصار ابني نسخة مكررة من أبي في طبائعه وخلقه، إلا أن ابني غير مقيد بكارما، وناج من التناسخ[2].

ثانيًا: اختيار مجموعة منتقاة بعناية من قبيلتنا بقيادة رجل اسمه إسرائيل، ودس بنيه في مدن ومجتمعات بني شيث للتجسس والعمل على الإفساد الخفي المبطن، ولكن بصور إنسانية رائعة، حتى يترأسوا تلك المجتمعات، ولكن بشكل غير مباشر، وتجنيد الرموز من بني شيث بكل وسيلة، حتى وإن لم يدينوا بديننا، فمن يفعل ذلك منهم عليه أن يبايع ابني ملكا عليه، ومخلصًا له كي يرتقي بروحه وينجيه من عذاب التناسخ، ويدخله جنه الاتحاد بالإله **الأول:** أي بارتقاء روحه وتخليها من الأنا (النيرفانا).

مضطرًا بترت حديث جدي للمرة الأولى، وروايته للتاريخ الذي كان شاهدًا عليه؛ حيث خشيت على نفسي من اللبس في **الفهم:**

المؤهلة لاتحادها **بالإله:** أي النور الأول والوعي الكلي، فيمتلك الخلد والأثير، بمعنى أن يكون مساويًا للديميروج عند الجماعات الباطنية.

(١) السفروت هي السبل والدروب ما بين مراتب القوة الإلهية وعددها عشرة، الموزعة على شجرة الحياة القبلية في المفهوم الغنوصي الباطني.

(٢) تفاصيل قصة أوزريس وإيزيس والصراع مع ست ورد في الجزء الأول من الرواية، والتي بعنوان ولي الله اليهودي.

عفوًا لمقاطعتك! ولكن أليس إسرائيل هذا هو أصل بني إسرائيل وأبو اليهود، أم هناك شخصان سُميا بإسرائيل؟

مسح جدي على شعري الأحمر وربت على وجنتي **بتودد:** إنما هو شخص واحد، ولكنك لو لم تسأل وتتعجب لكنت أدبت مرشدك لفشله في تحضيرك لِمَا سوف يناط بك.

ومن ثم **عقب:** كأنك تريد أن تزيل عن نفسك غشاوة كيف يكون إسرائيل هو يعقوب بن إبراهيم المولود بعد الطوفان، وإن ما أقصه لك الآن من أحداث جرت قبل نوح أصلًا؟

قلت: هذا فعلًا ما أردته.

قال: من أين لك شرعًا أن يعقوب هو إسرائيل، وأن اسم أبي قابيل وأمه حواء أو حتى من أين لك أن اسم ملك الموت هو عزرائيل؟

شعرت في صدري بحنق لأمر هذه الأسرة التي لا تجيب بسؤالك إلا بسؤال مثله **فقلت:** من الإسرائيليات التي مأذون لنا شرعًا بالإخبار عنهم.

جدي: حسنًا قد أجبت نفسك بنفسك، ثم إني أؤكد لك أن ليس ثمة حديث صحيح يخبر بأن يعقوب هو إسرائيل[1] وإنما العكس، فأنا أستشهد لك بآيات من القرآن.

---

(١) لم يرد في هذه المسألة في كتب الحديث التسعة المعتمدة عند أهل السنة ما يثبت أن يعقوب هو إسرائيل، اللهم إلا حديثًا في مسند الإمام أحمد، وفيه قوله النبي –صلى الله عليه وسلم– مخاطبًا اليهود، هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب مرض مرضًا شديدًا... إلى آخر الحديث. وهذا الحديث الوحيد والمختلف أيضًا على صحة سنده وأغلب الظن –هذا إن صح السند– أن لفظة إسرائيل في المتن هي مدرجة من الراوي، والله أعلم.

قلت: كيف؟

قال: آية سورة آل **عمران:** «كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ» فهل تعقل أن يعقوب النبي يحرم ما أحله الله؟

ألم يعاتب الله نبيه حين حرم ما حرم على نفسه في قرآن **يتلى:** «يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك».

أيضا آية سورة **الإسراء:** «وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ۝ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا».

أليس هذا عطف بيان بمعنى جواب للسائل من هم بني إسرائيل؟ هم ذرية ممن حملنا مع نوح، بل وصفه القرآن بالعبد الشكور، ولا تقل لي الضمير عائد على قريب **مذكور:** أي نوح؛ لأن هذه القاعدة ليست مطردة، ولها استثناءات كثيرة، أما لماذا وُصف بالشكور؟ وهل هو أصل اليهود؟ فهذا ستعلمه الآن حينما أكمل لك ما حدث، والآن هل تريد دليلًا آخر على أن إسرائيل ليس هو يعقوب؟

قلت: رجاءً أخبرني بما لا أعلم.

قال: حسنًا آية سورة **مريم:** «أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا».

لاحظ الفرق بواو العطف بين إبراهيم وإسرائيل، فإن كان إسرائيل هو يعقوب بن إبراهيم، فلِمَ فُرق بينهما بعطف المغايرة، خصوصًا أن السياق يحدثنا عن الذرية وأيضًا يحدثنا عمن كانوا

في سفينة نوح، كما آية الإسراء التي ذكرتها لك منذ قليل، فهل هذه صدفة أن يذكر إسرائيل مرتين في سياق الحديث عن سفينة نوح؟

وجدت في كلامه حجة، خاصة أنها ليس هناك نص قاطع في تلك المسألة، ولكنها من الإسرائيليات الكثيرة الموجودة في التفاسير، **فقلت:** أكيد العبرة ليست في كون يعقوب هو إسرائيل أو لا، وإنما فيما ترتب على هذا التدليس.

جدي: صدقت، ومن تمعن وتأمل في الخطاب القرآني الموجه لليهود أو الإخبار عنهم سيجد الأسلوب مغايرًا عن الخطاب الموجه إلى بني إسرائيل، أو حتى أهل الكتاب عمومًا.

أنا: ما العلاقة بينهم أو بالأحرى الفوارق بينهم؟

جدي: دعني أتم لك بقية الأحداث من بعد أن جهزت عائلتي روح ابني حور وخلصوه من أناه، وأرسلوا وفد إسرائيل إلى بني شيث، ومن ثم ستعلم بنفسك، حين تستمع إلى بقية الأحداث.

أنا: حسنًا أفعل! ولن أقاطعك.

جدي: بعدما استقر إسرائيل في أراضي بني شيث، واستمع لأنبيائهم، دان بدينهم هو وذريته وأخلصوا لدين شيث، والأدهى أن إسرائيل، بعدما ذاق حلاوة الإيمان، أخبر (شيث) بشأن المؤامرة التي أُرسل لها مما يعد خرقًا للمعاهدة، وبالطبع أخبرهم أن كل ذلك جرى بدون علمي.

في تلك السنين كان قومي قد بسطوا نفوذهم على الأراضي المجاورة، وآمن لهم قبائل الأمازيغ على الساحل الجنوبي للبحر المتوسط، حتى بلغوا البحر الأحمر وحكموا مصر، وأن ظلت أطلانتا هي عاصمتهم الزاهرة.

لك أن تتخيل غضب الديميورج حين علم بنقض قومي للعهد والميثاق المبرم ومخططاتهم لتأليه ابني حور. وعليه فقد قرر تدمير الأرض ومن عليها، هنا هرعت إليه مستشفعًا للبشر قبل وقوع الكارثة، وفعلًا بعد إلحاح مضنٍ وافق على تأجيل قرار التدمير على أن يبعث فيهم نوحًا نذيرًا أخيرًا قبل الطوفان.

وحصلت بلبلة في قومي وهم يسارعون الزمن لأخذ الأسباب الواقية من الطوفان المتوقع، فمنهم من أخذ ينحت الجبال بيوتًا، ومنهم من شرع في اتخاذ قلاع من مادة كريستالية، وهي أصلب من الفولاذ، مُجهزة بتكنولوجيا لإنتاج الأوكسجين لغرض التنفس، وقسم منهم –وهم من فلح في النجاة– استطاع بمساعدة عزازيل اكتشاف مداخل لجوف الأرض، فلجؤوا إليها، وهؤلاء –ورغم أنهم من نجا من الطوفان العظيم– إلا أن أرواحهم الربانية اندثرت، فصاروا في وحشية وهمجية بلغت ما الله به عليم.

أما أنا في خضم كل هذا، فكان همي هو كيف أحافظ على الإرث البشري من العلوم، والتي عاهدت الديميورج أني لا أُعلمها إلا رمزًا. فهدتني روحي إلى أن بنيت هرم مصر، وأودعت فيه كل الأسرار، سواء في البناء أو الأقبية. وأخيرًا حدث الطوفان، وهلك بنو قومي والمؤمنون بهم جميعًا، إلا من فر إلى جوف الأرض وحدثتك كيف صاروا، وقومي من بني إسرائيل الذين آمنوا بنوح، فاتخذهم الديميورج شعبًا مختارًا.

وهؤلاء من جرى عليهم صراع استقطاب بين الديميورج من جهة، ومن المثلث الباقي من **قومي:** أي جدي لوسيفر ومساعده عزازيل وابني حورس، الذي تولى الزعامة والإمامة بعد وفاة والدي

قابيل في الطوفان، خاصة أنه يبقى أن بني إسرائيل هم الباقية الحاملة لجيناتنا النورانية، بعدما توحش من الفارين إلى جوف الأرض.

قلت: كيف كان شكل صراع الاستقطاب هذا يا جدي؟

قال: الأنبياء من طرف الخالق، وابني حورس الأبدي ومستشاره الأمين عزازيل من جهة أخرى، فكان عدوًا لكل نبي يرسله الخالق، فكان هو الملك النمروذ ليحارب إبراهيم، وتسمى بالسامري ليؤلب القوم على موسى، وأوعز إلى بيلاطس بصلب المسيح بعدما رشا يهوذا لتسليم يسوع، ثم وقف يصرخ في **الجنود:** «اقتلوه واصلبوه ودماؤه علينا وعلى أولادنا». فاليهود يا بني هي في الأصل الفئة التي انتكست واتبعت ولدي حورس، ولكن للأسف، الغالب من بني إسرائيل قد تبعوهم للحزبية العصبية والقومية فخلاصة ما أريد قوله إن اليهود هم شريحة ضالة من بني إسرائيل المؤمن الذي فضلهم الخالق وقتئذ على العالمين، ولذلك حوّل الخالق تلك الأفضلية لفئة محدودة من بني إسماعيل ابن الخليل ألا وهم العرب. أما المقصود بأهل الكتاب فهم قومك من آل قابيل المعادون للأنبياء.

قلت: ولكن ألم يبرئ البابا يوحنا الثالث والعشرون بابا الفاتيكان قبل وفاته بخمسة شهور اليهود من دم المسيح سنة ١٩٦٥، في وثيقة معتمدة ورسمية؟

قال بنبرة من لا يريد **الاستطراد:** الكنيسة والفاتيكان بل ومسيحية شاؤول الطرطوسي كلها[١] لها قصة طويلة لا مجال لذكرها

---

(١) بولس الرسول.

الآن. ومع ذلك انتبه جيدًا فرسالتك التي أنت مكلف بها لعلها أشد من رسالة شاؤول، فكن لها ولا تخذل قومك.

بعدها تنفس جدي بعمق، وطلب مني إسبال جفوني مع التنفس العميق البطيء ٨ـ ٢ ـ[١] ٤.

حين فتحت عيوني وجدت نفسي في مكان صلاتي مسندًا ظهري لظهر نفس الأخ على الحال الذي تركته عليه، فاسترقت نظرة خاطفة صوب جدي فوجدته أيضًا على حاله متأملًا وقابعًا مكانه في ثوبه الأخضر، وسرعان ما همست الموسيقى إعلانا ببدء وجبة الإفطار وانتهاء الصلاة، وحين نظرت إلى ساعتي وجدت الوقت المخصص للصلاة كما هو لم يزد فيه شيء، فأدركت أن الوقت كان متوقفًا طوال فترة الرحلة مع جدي، وأني كنت في اللازمكان الحاوي للسجل الأكاشي[٢].

---

(١) شهيق لمدة ٨ ثواني، وكتم النفس ثانيتين، ثم زفير ٤ ثوانٍ.

(٢) السجلات الأكاشية (**بالإنجليزية:** Akashic records)، عبارة عن مكتبة ضخمة هائلة توثق كافة الأحداث في حياة الشخص، بل للكون كله، تعرف تلك السجلات أيضًا باسم كتاب الحياة، ويفترض أن الأثير هو من قام بإنشائها، ولفظ أكاشا لفظة سنسكريتية معناها السماء أو الأثير.

على مائدة الإفطار لاحظت أن مجموعتي قليلة الكلام، وتتلاشى النظر المباشر في أعين ببعضهم البعض، حتى آدم الثرثار في العادة كان واجمًا يلهو بملعقته في فنجان قهوته، وهو يفكر بعمق، وهكذا أطبق الصمت على الجميع، إلى أن بدلته رشا حين تكلمت بصفتها رئيس **المجموعة:** حسنًا إنه ليس سرًّا ولا هو فضل مَنَّ به جدنا على أحدكم دون الآخر، لقد سافر بنا جميعًا، وكلنا رأينا ما رأيناه، بذات الوقت، وإن كان كل منا على حدة لحاجة في نفس جدنا.

تنفس أغلبنا الصعداء، إذ إننا جميعًا كنا نريد أن نتشارك الحديث فيما عايشناه رأي العين، وكان أول المتحدثين آدم **الثرثار:** هلا فتح إلنا الجد الشاكرات السبع، وأيقظ لنا أفعتي الكونداليني، فصار إلنا قدرات خاصة! هيك أنا فاهم صح؟

يوسف متعجلًا ما يريد آدم **قوله:** صحيح! وبعدين؟

آدم: شو بيصير لو أساء حدا من الشباب استخدام هالقدرات لمصالح شخصية، ظَلَم بها مثلًا أو تَعَدّى؟

ابتسمت رشا بهدوء **وثقة:** انظر لي آدم!

آدم: شو؟ بدك شو؟

رشا: فقط انظر لي! وأخبرنا فيما أفكر فيه.

أخذ ينظر آدم لرشا ويجاهد تركيزه لقراءة أفكارها، مستخدمًا تلك القدرة التي اكتسبها مؤخرًا، لكنه **قال:** بعرف شو براسك، لكن بشعر أن تمي مسكر وما بقدر أحكي.

هنا اتسعت ابتسامة رشا **الواثقة:** هذا ما سيكون، سوف تفقد كل ملكاتك وما يميزك عن الآخرين، والآن بماذا تشعر وتفكر؟

آدم: فهمت الدرس، ونادم على سوء ظني.

رشا: الآن حاول ثانية استخدام ملكاتك ثانية.

ركز آدم قليلًا وسرعان ما ابتسم حين نجح فيما فشل فيه في المحاولة **الأولى:** بعرف فيما تفكرون، يوسف قلق على إدارة مشاريعه في الإمارات بسبب منعه عن الاتصالات الأيام الماضية، ويعقوب عم يفكر كيف يمزج بين ملكاته الخاصة ودراسته النفسية، وولي عم يفكر في فتاة اسمها...

وقطب آدم ما بين حاجبيه ليستدعي مزيدًا من **التركيز:** اسـ.. اسمها لينا.

هتفت زينب **ضاحكة:** واااو! أكمل آدم، قل لنا أسرار من يدعي البراءة هذا.

ضحك الجميع وساد جو من المرح على مائدة الإفطار، وبينما أنا أرده **خجلًا:** لا أنت غلطان! إذ بصوت المذياع **يعلن:** رجاءً من مجموعة me٦ التوجه لمكتب الأب كو.

تلفت بعضنا نحو رشا مستفهمًا عن هذا الاستدعاء غير المتوقع، قبل أن نقوم متوجهين للمكتب، وحين وصلنا كانت رشا أولنا دخولًا واستقبلنا الأب كو، بأن قام من مكتبه، وصافحنا واحدًا تلو الآخر بحفاوة بالغة.

براعمي التي صارت زهورًا يانعة، هل ينقصكم من شيء؟ هل يود أحدكم أن ينفرد بي ليكلمني في أي شيء أو مشكلة خاصة أو حتى عامة؟

لم يجب أحد، ولكن نظرنا لبعضنا، لعل لأحد أن يجيب بنعم، فلما ساد الصمت الدال على أن الجواب (لا)، شرع الأب كو في **كلامه:** أحبابي! طلبتكم اليوم لتبيان خارطة الطريق المرحلية، والتي تعد قبل الأخيرة للأحداث الجسام، والمقرر لها عشرين سنة بدءًا من ألفيتنا تلك.

ولتعلموا طبيعة مهامكم المقدسة للبدء فيها فور أن تطأ أقدامكم اليابسة، مستعينين عليها بأرواحكم النيرة.

أحبابي لتعلموا أنه بعد الحرب العالمية الثانية والتي كانت خطوة مهمة فاصلة صنعناها لأهداف لست بصدد الحديث عنها الآن، ولكن دعوني أخبركم أنه من أهمها السيطرة على أورشليم بعدما أقمنا دولة لليهود الموالين، ومن ثم بدأنا في نشر وعي العصر الجديد، والذي كان مقررًا له مدة زمنية تربو على الخمسين **سنة:** أي من خمسينيات القرن العشرين وحتى تمام الألفية، فعملنا بجد على نشر عقائد الثيوصوفية، ومفاهيم الأيزوتريك في الغرب الملحد، في خط موازٍ لنشر الإلحاد والربوبية اللادينية[1] في الشرق المؤمن.

وبالفعل نجحنا في حصر نسبة لا بأس بها من العقول بين مطرقة الإلحاد المادي المؤدي لفراغ الروح، واحتياجها لإيمان يملؤها أيًّا ما كان شكل هذا الإيمان، وسندان التشكيك في الثوابت الإيمانية

(١) الإيمان بأي دين، ولو كان دينًا وضعيًّا.

لدى كل مؤمن، فمن تحول من دينه للإلحاد وجد فراغًا نحن من نملؤه بمذهب الإنسانوية التي تُميع كل عقيدة.

وفي خطٍ مواز وتحديدًا خلال خمسينية العصر الجديد تلك، سربنا للعالم علومًا طالما احتكرناها لأنفسنا، فأحدثنا ثورة في الاتصالات وميكانيكا الكم، وغيرنا من شكل علوم الفيزياء وعلوم الفضاء، ولا يعتقد أحدكم أن تسريبنا لذاك العلم كرمًا منا عليهم، وإنما هو حقهم علينا، ولكنه في نفس الوقت متمم لما ستبدؤونه وميسرًا له.

على سبيل المثال الاتصالات المتاحة الآن من إنترنت وأقمار صناعية إعلامية ستجعل العالم يسمع دعوتنا التي سنجهر بها في نفس اللحظة وهكذا نكون قد حققنا غايتنا من تسريب تلك العلوم التي نملكها منذ أمدٍ بعيد، وحين ينبهر الناس بعد أن علموا أو حتى يشككوا بنظرية الأوتار والأكوان الموازية، ويسخرون من قطة شرودنجر فإذا بهم يروننا نطبقها لهم على أرض الواقع.

وندلهم على طرق لدروب سرية أو ما اصطلحوا عليه بالثقوب السوداء، والتي تصلهم بكواكب مأهولة بأرواح نقية تساعدهم في فهم طبيعة الحياة، التي يجب أن تحياها أرواحهم.

أو حين ترى الشعوب أننا امتلكنا سبلًا موصلة لسرعة الضوء من خلال الثقوب الدودية، فتحكمنا في الزمن، وطبقنا نسبية أينشتاين، ووفقنا بينها وبين جاذبية نيوتن، وتوصلنا لنظرية كل شيء التي احتار العلماء فيها، وأخبرناهم عن جزيء الرب (المادة السوداء) التي هي المادة الأولى وأصل الخلق، حين نكشف لهم عن كل تلك

العلوم التي نُتقن أسرارها بواسطة إخوة لكم، سيكثُر الأتباع مما يعني المزيد من الأرواح الناجية من شَرك التناسخ.

في الحقيقة أنا لا أنتوي تقديم ديباجة أو تقدمة طويلة بين يدي ما أردت قوله لكم، لذلك دعوني أدخل في الموضوع بشكل مباشر.

أبنائي الأعزاء! تعلمون أنه تم تقسيم الأرض جغرافيًّا وسياسيًّا وعليه توزيع المهام عليكم وفق هذا التقسيم، وعلى هذا فإنكم فريق me٦ يقع على عاتقكم عبء مضاعف لعدة أسباب **منها:**

أولًا: وقوع أورشليم –عاصمتنا المتوقعة– في حيز عملكم.

ثانيًا: صعوبة التوفيق بين الأديان الإبراهيمية الثلاثة، والخلاص إلى عقيدة واحدة يؤمن بها الإبراهيميين، ألا وهي مذهب الإنسانوية، فكما تعلمون أن إقناع جاهل بشيء ما قد يكون سهلًا، إنما الصعب هو تغيير قناعة مؤمن بشيء مناقض لإيمانه، ولو كان هذا الإيمان خرافة وأساطير.

ولهذا فإن الأمر يتطلب منكم جهدًا مضاعفًا، وآباؤكم في السماوات والأرض على يقين أنكم ستبذلون ذاك الجهد، ولن تخذلونهم.

وابتسم الأب كو بود حين رأى الوجوه قد علاها شيء من الخشية، لحجم المسؤولية الملقاة على عاتقهم ثم **قال:** هل ستخذلون آباءكم المقدسين أيها الأولاد؟

قلنا **جميعًا:** لا أيها الأب.

فصرخ **فينا:** ما هذا الوهن؟ ما لي لا أسمع أصواتكم... هل ستخذلون آباءكم؟

صرخنا **لصراخه:** لاااا!

لا أسمعكم أم أنا أصم!

لاااااا

ثم فجأة هدأت نبرة صوته، وعادت لما كانت **عليه:** أعلم أنكم لم تشربوا شيئًا منذ وفودكم إلى مكتبي.

وأشار إلى يوسف، وكان أقرب الجالسين لبراد المكتب، فقام وأخذ يقذف لنا بصفائح البيرة المثلجة، فلمعت عينا الأب معبرة عن امتلاكه روحًا شابة، تمنت لو تشاركنا المشروب، لكن يمنعها الوقار المطلوب للمجلس المنعقد.

بعد ذلك أخرج الأب كو من درج مكتبه نصف دستة مظروفات مغلقة، ثم قام يتمشى بيننا ويناول كلًا منا مظروفه، وبعدها بدأ بالكلام.

كو: بداخل كل ظرف الأوراق الرسمية التي تساعده لتنفيذ البرنامج.

فتحت مظروفي فوجدت به شهادة من جامعة السوربون الفرنسية العريقة، دالة على منحي درجة الدكتوراه في مقارنة عقائد الفرق الإسلامية، وبطاقة عضوية لنقابة السادة الأشراف، والتي تدل على اتصال نسبي لآل البيت، وجواز سفر باسم ولي الله جابر عبد الحميد الشريف، عليه صورة شخصية لي مصطنعة ببرنامج الفوتوشوب بملامح شعر حليق، ولحية متوسطة الطول مهذبة، تم صبغ احمرارها، وما بقي من شعري بالسواد، وعدسات لاصقة بنفس اللون.

وحين بدأ الأب كو يفصل لنا برنامجنا الخاص، تركنا المظاريف وأنصتنا بانتباه شديد.

تبدلت ملامح الأب الشفيق لجدية صارمة في لحظة، وهو **يقول:** البرنامج المقرر لكم مدته إحدى عشرة **سنة:** أي ينتهي في يناير ٢٠١١ على وجه التحديد وتفاصيله **كالآتي:**

بداية: الأخت رشا ستكون مسؤول التواصل مع الأب ناين، مشرف البرنامج بصفتها مديرًا للبرنامج العشري، وهمزة الوصل بيننا وبينكم، وأداة التناغم فيما بينكم، وعليكم أن تأتمروا بأمرها.

ثانيًا، نظرًا لحساسية المرحلة، فإننا قررنا عودة مرشديكم الروحانيين لمعاونتكم في البرنامج.

ثالثًا **التفاصيل:** ستستقر رشا في القاهرة على أن تلتحق بالحزب الفلاني –سمى اسمه– وعليها ألا ترتقي ولا تبرز في العمل السياسي، وإنما عليها أن ترتبط برئيس الحزب المدعو –سمى اسمه– وتسيطر عليه، وتدير الحزب من خلف الستار، ومن خلال زوجها رئيس الحزب.

على أن تكون أهم مبادئ الحزب هي شرق أوسط جديد، ليس فيه صراع ولا حروب، خاصة بعد أن ثبت فشل تجربة القومية، فعلى العرب الآن أن يخوضوا تجربة التطبيع والسلام، مما يعود على الجميع بالرخاء الاقتصادي، ووقف استنزاف التسليح للدخل القومي، وبيان أن الصراع الآن والعدو الحقيقي يتمثل في الشيعة، الذين يحاولون بشتى الطرق نشر أفكار ومبادئ ثورتهم خارج الحدود الإيرانية.

على خط موازٍ دعوني أطلب منكم تهنئة أخيكم ولي الله وأختكم زينب، فاليوم سنعلن زواجهما في حفل مشهود سيباركه الجد المقدس شخصيًا.

تحجرت مقلتاي شاخصة صوب الأب كو، بينما زينب فغرت فاها، وحين أطبقته لم تفعل سوى أن بلعت ريقها، وهي تسمع التهاني من رشا بشكل جاد، والتي لم تبدِ أي اندهاش على عكس آدم الذي بارك لنا وفي عينيه سخرية حاول أن يواريها.

أما يوسف فقال بغير **مبالاة:** مبارك!

كذلك يعقوب الذي أبدى دهشة مترقبًا لما هو آت.

أكمل الأب كو حديثه، وكأنه يريد أن يخفف علينا وطأة **المفاجأة:** لا تحسبن أنكم حالة الزواج الوحيدة هذه الليلة، فكلٌّ حسب مقتضى برنامجه.

أما تفاصيل البرنامج، فسيكون محل إقامتكم في المملكة السعودية، وتحديدًا في منطقة نجران، والتي ستنطلق منها دعوتك ورسالتك المباركة.

تلك الرسالة التي ستدعو فيها إلى توحيد المذاهب والعقائد إلى دين واحد، يجتمع عليه الكلُّ مؤمنِينَ بكافة الأنبياء، وتجتمع الكلمة على أن الدين ما هو إلا علاقة بين الفرد وربه، ولا ينبغي لأحد التدخل فيها أو الوصاية عليها.

أما لماذا نجران تحديدًا؟ فلهذا أسباب **منها:**

أولًا: ستساكن قبيلة زوجتك الإسماعيلية، التي ستناصرك على دعوتك، وتكون لك ظهيرًا حتى لو كنت مصريًّا، ما دمت من آل البيت، غير أننا نعمل هنالك منذ فترة والظروف صارت مهيئة لاستقبالك رسولَ المهدي للزمن الأخير.

ثم إن غالبية قاطنيها من الإسماعيليين الموالين، وأنت الآن من آل البيت، ولو مُكنت الدعوة هنالك ستنال رضا الشيعة الباطنية عمومًا إلى ربوع الشام، بما فيها من دروز ونصيرية (علوية) الذين هم على عقيدتك أصلًا، وإن جهل عوامهم وإنما أجاويدهم وعقالهم هم رجالك المخلصون.

عند هذه النقطة ستنتقل إلى لبنان، وتبث دعوتك لسائر الشيعة الاثنا عشرية، وسيكون لك رسل داخل اليمن والعراق والبحرين، حتى إيران، وما بعدها إلى حدود الهند.

إذًا هدفك وغايتك الأسمى هو اجتماع الشيعة على عقيدتك الباطنية في الألوهية، والتي تلقيتها بواسطة الكشف من خلال الإمام الغائب المعصوم، وتحت مسمى الكشف والعرفان، وهو ما سيضمن لك أيضًا ضم الملايين من متصوفة المسلمين، وهي كما تعلمون شريحة لا يستهان بها، والأهم أنك يا ولي ستتوغل في بلاد السنة من خلالهم.

أثناء تنفيذ مهامك مستخدمًا التقية لأقصى درجة مع مخالفينك، ستكون مهمة زوجتك زينب في الدعوة للنساء من خلال ما تعلمته من نائلة مرشدتها الروحية، وإنشاء مركز ضخم في قلب بيروت لعلوم الطاقة، تعقد دورات نسائية لعلوم الشفاء بالريكي والعلاج بالطاقة واليوجا والشفاء بالألوان، وممارسة التأمل والماكروبيوتك، وتشرح لهن نظريات، مثل قانون الجذب والإسقاط النجمي، وأسرار الأحجار الكريمة إلى آخره.

ثم في المرحلة الأخيرة، وفي ٢٠١٠ تحديدًا ستعودان للاستقرار في مصر، ويلتحق ولي بحزب رشا، ويمتزج العمل

الدعوي بالسياسي، كأنموذج للتعايش وقبول الآخر؛ حيث إنه ابتداءً من ٢٠١١ ستكون مرحلة جديدة بتكاليف مغايرة ستعلمونها في حينها، عند بدء تنفيذ مشروع الفوضى الخلاقة (الربيع العربي).

والآن فيما يخص آدم كونه منبرًا إعلاميًّا للمشروع، ستعمل على شراء أي قناة في لبنان، وتقوم بتطويرها، وليس إنشاء قناة حديثة، تعمل من خلالها على التفرقة باسم التجميع من خلال البرامج المثيرة، كالمناظرات بين الأطراف حادة الاختلاف، والتركيز على كل ما يسيء للآخر منها، تحت مسمى الحوار المشترك، أيضًا التركيز على إبراز السلبيات المجتمعية، كزنا المحارم واختطاف الأطفال وتبادل الزوجات... إلخ، وتصويرها على أنها ظواهر اجتماعية متفشية في المجتمعات العربية.

الترويج لمبادئ حزب رشا المنادي بالتطبيع، وحث سياسيين عربًا آخرين على حذوها، على أن يكون أيضًا من أهداف القناة الرئيسية تلميع المذهب الجديد لولي، وذلك بأن يكون له لقاء أسبوعي منتظر، يتكلم فيه أنه أوان علامات زمن خروج المهدي المنتظر، والفتن والملاحم، وليكون البرنامج مثلًا تحت اسم صرخة نذير.

أما الفترة النهارية فستديرها زينب، وذلك بتقديم ما تقدمه في مركزها لعلوم الطاقة بالإضافة إلى علوم أوراق التاروت وتفسير الأحلام، أما فقرتها الرئيسية والتي ستكون بعنوان المعرفة البيضاء، ويكون أضيافها الدائمون أشخاصًا مثل اللبنانيَيْن جوزيف مجدلاني ومريم نور، والسوري ديميتري أفييرينوس، والإسرائيلي شريدي

جبارين، وغيرهم من العرب الخُلص سواءً علموا خطورة ما يقدمون أو جهلوا بذلك مثل صلاح الراشد... إلخ.

وبالنسبة للترفيه، سيتم توفير حقوق أفلام من نوعية The Matrix وMad Max وMen in Black وpi وpk القائمة تطول في تلك النوعية.

أيضًا الأفلام الجريئة فكرًا ومضمونًا، كالحرية في ممارسة الجنس قبل الزواج، وأنه أدعى لاستمرار الحب والعلاقة الزوجية.

أيضًا، قبول المثلية على أنها تركيب جيني، وليست بمرض عضوي، ولا نفسي وليس للفرد تدخل فيه، وأنه ليس اختيار الشخص لنفسه أن يكون مثليًّا، وإنما هو مجبول عليها، إظهار التمرد على أنه فضيلة تدعو إلى التحرر من أي سلطة كانت أسرية أو دينية أو مجتمعية، وغيرها من الأفلام المتضمنة لمثل هذه الأفكار وشبيهاتها.

توقف الأب كو عن سرد تفاصيل البرنامج، وجلس إلى مكتبه وتفحصنا بعيونه قبل أن **يقول:** هل من أسئلة بخصوص ما سبق قبل أن انتقل إلى دوريّ يوسف ويعقوب؟

قامت رشا واقفة وهي **تسأل:** بالنسبة إلى تمويل المركز والقناة، هل نحن من سيؤسسهما أم أنهما سيؤسسان لنا؟

أشاح الأب بيده مجيبًا **رشا:** دعي عنك أمر التمويل، فإنه ليس ليوسف دور سواه، فهو سيعود إلى مسقط رأسه في دبي، ومن هناك سيتلقى التعليمات من الأب ناين بخصوص مجموعة الشركات التي أنشأ منها بعضها بالفعل، والأخرى المزمع إنشاؤها بإشراف يوسف،

وكيفية الدمج بينها، وهذا الصرح الاقتصادي هو مصدر تمويل البرنامج من خلال تكليف من رشا ليوسف يصدق عليه الأب ناين.

صمت الأب كو فقالت **رشا:** فهمت.

الأب **كو:** الآن لم يتبقَ لنا إلا تكليف يعقوب، وهو كما هو الحال بالنسبة لكم جميعًا تكليف مهمّ وحساس للغاية.

اعتدل يعقوب في مقعده وهو يترقب ما سيقال.

مرت لحظات صمت، قام خلالها الأب كو ووقف خلف يعقوب، وأسند راحتيه على كتفي يعقوب ثم بدأ **كلامه:** حبيبي يعقوب، سيتمركز في مدينة طاطا أقصى جنوب المغرب على حدود الجزائر، والقريبة من النيجر ومالي، ومن هناك سيبث دعوته التي هي تمامًا عكس دعوة ولي، بمعنى أنها موجهة للسنة عربًا وأمازيغ وأفارقة لإحياء دولة الخلافة، التي هي واجبة على المسلمين، ولا سبيل لها إلا بالجهاد المسلح.

المسؤولية على أخيكم يعقوب جسيمة، خاصة أن المقرر الزمني المحدد لها قصير وهو ثلاث سنوات فقط، ثم عليه الدخول بجنوده إلى العراق، ولكن لعل ما سييسر له الأمر نوعًا ما، هو أن على الجانب الآخر وفي إقليم بلوشستان على الحدود الأفغانية الباكستانية أخ لكم، له نفس دعوة يعقوب، وسيجتمع الفريقان في ٢٠٠٣ في العراق في الوقت المناسب، وستتواصل مع أخاك البلوشي في الوقت المناسب.

وأهم جزء في المهمة، هي استقطاع جزء من الصحراء المسيطر عليها قبائل الطوارق السنة لإدارتك، ومنها تزحف جنوبًا نحو نيجيريا، وتقيم هنالك نفوذك، في تلك المنطقة، وتنتشر في

الكاميرون والسنغال والنيجر ومالي بالجهاد المسلح، بينما دعاتك يتجهون ناحية الشمال في المغرب والجزائر وتونس وموريتانيا، وحتى الدول الأوربية سيتواجد لك دعاة هناك.

ذهب الأب كو ثانية إلى مكتبه، واسترخى على مقعده الوثير، وأخذ مجددًا **يتفحصنا:** هذا كل ما لدي لكم، والآن هل من أسئلة؟

ولما لم يتكلم أحد **قال:** حسنًا أخيرًا أود أن أخبركم أنه سيكون حولكم إخوة لكم في كل مكان لمساعدتكم، هذا طبعًا غير مرشديكم الروحانيين، فإذا شككت في أحدهم أنه أخ لك، فصافحه بيمينك، وضع يسراك على الجانب الأيمن من صفحة عنقه الأيسر، فإن قال لك الكلمة **الثلاثية:** كو بلو ناين! فاطمئن إليه وحدثه بما تريد، وأما من بَادَرَك بالكلمة من غير المصافحة المتفق عليها، فيجب عليك قتله فهو دخيل.

هززنا رأسنا جميعًا علامة على الاستيعاب.

فقال: أكرر التهنئة لأبنائي ولي وزينب على عرسهما الليلة.

ثم قام وعانقنا، وقبل كلًّا منا على جبينه، كما طلب منا الذهاب للمكان المخصص للحفل لاستلام لوازم الحفل من ثياب وغيره، وحين ذهبنا وجدنا العديد من الإخوة الذين قُرر لهم الزواج الليلة.

خطبة الدجال

في المساء زُين سطح المركب بالأضواء اللامعة، التي تلألأت في ظلمة البحر، واصطف الشباب المتأنق في بزاتهم السوداء في انتظار شريكاتهم.

ومن خلف كل منهم وقف الأصدقاء يمازحونهم في جو بهيجٍ، وبينما هم كذلك إذ ولج الجد هرمس الميتاترون للمكان متوسطًا الزوجات ممسكًا بأيديهن، فضج المكان بالتصفيق والأصوات المهللة فرحًا، بعدها تقدم الجد خطوات نحو الشباب الذين تقدموا فرادى، فإذا بلغ أحدهم أمامه جثا على إحدى ركبتيه، وقَبل يد الجد هرمس الذي يضع يسراه على رأس الشاب ممسكًا عروسه بيمناه، فيقوم الشاب ليلتقط يد فتاته، ثم يستدير بعد أن يحنيا رأسهيما توقيرًا للجد.

بعد الانتهاء من هذا الطقس جلس الجميع على الموائد العامرة بالشامبانيا وأصناف الحلوى والفاكهة، بينما جلس الجد بصحبة الآباء الثلاثة، ومعهم رجل غريب يرتدي نظارة سوداء سميكة رغم سواد الليل.

وسرعان ما وقف الأب بلو وطرق كأسه بملعقة صغيرة، فهدأ صوت الموسيقى، فقال الأب **بلو:** لنستمع إلى كلمة مليكنا المقدس الملك حورس المسيا المنتظر.

لم ينهض الغريب ذو النظارة السوداء، وإنما تكلم جالسًا في عجرفة **واضحة:** أولادي أولاد توبال قايين، بنو المتمردين وبنات الثائرات، قد حدثكم أبي الميتاترون عن أصول الأحداث الماضية، وما فيها، ولكنه لم يحدثكم عن مآل الأحداث ظنًّا منه، ولفرط سلامه النوراني أنه قادرٌ على أن يحول دون وقوع هذا المآل الكارثي.

أنتم تعلمون أن الديميروج خلق المادة، وشكَّل الإنسان على صورته، وسجن فيه الروح ليُعبد من دون الإله النور، ولهذا أرسل أنبياءه على مدار التاريخ.

ولكن ألم يسأل أحدكم ماذا لو فشل الديميروج في مخططه أم أنكم تعتقدون حقًّا في الجنة والفردوس أو الجحيم وبحيرة الكبريت!

دعوني أجيبكم عمّاذا لو فشل مخطط الديميروج، وستعرفون مدى رأفتكم بالناس وأهمية ما تفعلون إنقاذًا لأرواحهم! وكيف التبس عليهم الخير من الشر؟

أبنائي! اعلموا أن الديميروج الخالق لديه العديد من الخطط، والتي تشكل بمجموعها «خطته الكبرى»، ذلك هو السبب في أنه خلق المادة والإنسان. ولتحقيق أهدافه، ما زال يمضي قُدما في تجربة تطورية تكون فيها الروح مخلوقًا كالجسد والنفس، فيحكمها ويأمرها بعبادته مثلما أمر الجسد والنفس.

ببساطة إن له ما يقارب من ١٤مليون سنة، يحاول خلق روح أولى، ولا يزال ماضيًا في التمرس، والمحاولة، فإذا نجح، فسيوسع النتائج لتطال سائر الكواكب، والقصد السامي من خلف مهامكم السامية هو أن تحولوا بين هذا الرب وبين مساعيه غير مقدسة.

ولهذا يدعمكم إخوانكم من الأروح الساكنة هنالك قديمًا وحديثًا، وهم ما أسماهم إخوانكم القدامى الأنوناكي.

أما إذا أخفق، فسيتحتم عليه التخلص من هذا المشروع، والبدء من جديد من نقطة الصفر مما يعني الفناء ونجاة الأرواح، والذي يسميه بيوم القيامة، واعلموا أنه فعل ذلك مرات عديدة وكان مصيره الفشل تباعًا، ولكنه لم يُعلم الخلائق بذلك، وهو لا يمل في المحاولة مرارًا وتكرارًا. والحق أنه لن يتمكن من صنع نسخة مثالية أفضل مما كان يتصوره بشأن العالم المجهول له، وهو ما يحاول تقليده عبثًا، أعني أن يخلق روحًا ذات وعي نقي مثلما كان من فعل الخالق الأول النور الحق.

وأخشى ما يخشاه الديميروج أن تتمكن روح واحدة بتحرير نفسها من سجن الجسد المادي فتكون ربًّا موازيًّا وندًّا له وحينها سوف تفسد خطته بأكملها، فما بالكم لو تحررت ملايين الأرواح.

وهذا هو السبب في حرصه على أن يكون مستبدًا مطلقًا على هذا الكون المادي، وأن جميع المعارف من تنجيم وأرقام وسحر وخلافه والتي يمكن أن توقظ روح الإنسان وتجعلها تدرك ماهيتها، لا تزال ممنوعة تحت مسوغ التحريم؛ لأنها ستكون معرفة خطيرة، بل خطيرة للغاية لأنها ستكون قادرة على زعزعة استقرار خطة الديميروج الخالق، فإن روحًا واحدة فقط تتمكن من تحرير نفسها، ستكون قادرة على إضعاف مادة الخليقة بأكملها، وكذلك إضعاف خالقها، ومنعه من الاستمرار في خططه. هذه الروح ستكون المنقذ، منقذ العوالم والأرواح الأخرى، ليس هذا فحسب بل ستكون سببًا في صلاح الكون برمته، وكذلك في صالح الشرارات **الإلهية:** أي

الأرواح المتناثرة التي لا حصر لها في الكون الفسيح، تلك الأرواح القادمة من العالم الأبدي غير المخلوق، والتي تجد نفسها مسجونة هنا في هذه الآلة العمياء الكبيرة الماتريكس، كي تجعلها تعمل وتكد لتلبية غرائز غير مجبولة عليها في الأصل كونها نورًا شفافة وغير مادية.

هذا النظام، الذي أنشأه خالق الكون المادي، لا يمكن أن يعمل إلّا إذا امتلك هذه الجسيمات من العالم الروحي المستعبدة والمسجونة هنا، إن جميع هذه الجسيمات الروحية، تلك المسجونة في البشر، هي الأكثر أهمية ونقاء في التسلسل الهرمي الروحي حتى من سكان الكواكب وجوف الأرض.

بسبب هذا كله، يغدو شيئًا أساسيًا بالنسبة لخالق الكون المادي أن يُبقي على الروح مسجونة داخل الأجساد، كي يتمكن من استخدام طاقتها.

ولهذا السبب يحتاج خالق الكون المادي لأن يبقى الإنسان نصف نائم، ومشوشًا، بحيث لا يكف عن التقرب الأعمى من الخالق، الذي احتال عليه بالإغراء والعقاب. فَيعمل النظام المادي بأكمله (الماتريكس) على الإنسان وعليه أن يحافظ على الاعتقاد بأن الخالق هو الله الوحيد الموجود، وبأنه إله طيب.

وحين ينجح الديميروج منشئ هذا الماتريكس في هذا، ففي تلك اللحظة ستفقد كل روح أي إمكانية لتحرير نفسها، وإن فَشِل فسيدمر الأرض ويبدأ من جديد كما أخبرتكم من قبل.

أبنائي أبناء النور، أرأيتم الآن كيف أن الخيارين سيكون أحلاهما مرًّا بطعم العلقم، في حلق البشرية! أوعيتم الآن من الطيب ومن الشرير! آدركتم الآن حجم المسؤولية الملقاة على عاتقكم!

وحين بدأت الرؤوس تتمايل موافقة أردف **قائلًا:**

وأخيرًا.. أود أن أذكركم أنهم حين يرون ما بين أيديكم من علوم، أقلها هو ما تستطيعون به أن تمطروا به السماء، وما في أرواحكم من طاقات وقدرات ربانية تستطيعون بها أن تطيروا في الهواء، فسينعتوكم بالدجاجلة، وناكثي الحقائق والنواميس، وسوف يتناسون أنكم تدعونهم للإله النور الأول الحق، وأن أرواحهم خالدة أزلية أبدية، وإن جهلوا هم ذلك، وأن البشر جميعًا قادرون على امتلاك ما تمتلكون من قدرات.

أذكركم إن هم فعلوا ذلك فلا تلفتوا إليهم، وامضوا في برنامجكم، فإنكم خالدون ومن تبعكم في الأبعاد والأكوان الموازية؛ حيث اللاشقاء مع الأشقاء...

شاكر لكم لحسن إصغائكم جميعًا! وأهنئ شركاء الليلة متمنيًا لكم جميعًا التوفيق والفلاح.

وبينما كان المكان يدوي بالتصفيق، إذ لمحت ذكري ينسل من بين الحضور، ويذهب ناحية الجد وهمس في أذنه، فقام الأب بلو وتأبط ذراع ذكري، وخرجا من المكان، وما لبث بعدها الأب ناين إلا قليلًا حتى نهض قيامًا ودق كأسه.

وقف الأب ناين **قائلًا:** الآن مع مسك الختام، وكلمة جدنا المقدس المبارك.

أشرق وجه الجد مجددًا بعد عبوسه أثناء كلمة ابنه الملك المسيا المنتظر، فبدا مشرقًا ومضيئًا أشد ما يكون وهو يحادثنا حين **قال:**

بناتي وأبنائي، قد يعتقد بعضكم أن شخصًا مثلي عَمر دهورًا، فأيام الفرح التي حياها هي كثير، والحق أنها ليست كذلك، وإن كان فسيكون أهمها هذا اليوم الذي أرى فيه ذريتي تتآلف لإنقاذ ما يمكن إنقاذه.

أحفادي أزواج هذه الليلة.. أقول أزواجًا وليس شركاء، ولقد فكرت كثيرًا فيما يمكنني أن أهديكم به في ليلة عرسكم، فلم أجد أقيم ولا أنفس من الحكمة من أن أقدمها لكم.

ضج المكان بالتصفيق

لذا خذوا عني سبع كلمات وعوها، واعملوا بها وعلموها للناس.. ولا تجزؤها، بل هي كالكل في الواحد، والواحد في الكل، فهي لا تقبل التقسيم.

الحكمة **الأولى:** العقل الكلي الكوني من حولك! احذر أن تتغافل عنه أو تنساه قيد أنملة، فما الوجود المادي كله إلا طاقة

عاقلة، صدرت من الإله وأنتم قادرون كذلك على العطاء من خلال التفكر الذي هو نتاج العقل.

الحكمة **الثانية:** المتطابقات، وهي التي اشتهرت عني حين **قلت:** «كما في الأعلى، كما في الأسفل». ومعناها الذي أهديه لكم هو أن طبيعة الكون هي أنماط هندسية مقدسة متكررة، كما تعلمتم في شجرة وثمرة وبذرة الحياة، قفلها هو مكعبي مكعب ميتاترون، ومفتاحها هو الرقم الناتج من النسبة الذهبية، فعليكم بدراسة الهندسة المقدسة، وأنصحكم بكتب فيثاغورث وليوناردوا دافنشي السرية الموجودة لدى الآباء، إلا إذا عثرتم على أصل نسختي التي خبأتها تحت الهرم حين بنيته.

الحكمة **الثالثة:** التذبذب! اعلموا أن الكون كله طاقته وماديته، ما هو إلا طبيعة تذبذبية، ولذلك هو في حركة وتمدد دائم، ولولا الذبذبة ما كان الانفجار الكبير، ولا الخلق الأول، وما وجد تنفسًا ولا انبثاقًا ولا حياة، لذا أبنائي كونوا كالترانزستور وأجهزة الرادار، واضبطوا موجاتكم الروحية لاستقبال الذبذبة الإلهية، فتتعلمون بلا واسطة ولا وسيط.

الحكمة **الرابعة:** القطبية.. بمعنى أن الطبيعة كلها ثنائية، سالب وموجب، ذكر وأنثى، أخذ وعطاء، كل شيء وله عكسه تمامًا كالمرآة المصقولة، هذا العكس الذي يملك سر حياة الآخر ووجوده والعكس صحيح، وعليه فابحثوا عن النقطة المركزية بين طرفي القطبين، فتلك هي الحقيقة المطلقة، ويا ليتكم تفعلون!

الحكمة **الخامسة:** الإيقاع.. أريد أن أقول لكم إن في كل شيء يمكن العثور على إيقاع الطبيعة، التدفق للداخل، والتدفق للخارج مرة أخرى، نبضات الحياة الكونية التي تدفع الحياة إلى الأمام، تلك النغمات كلما كانت أرواحكم، أقل كثافة وأكثر شفافية، ستدركون تلك النبضات كنغمات موسيقية في لحن كوني بديع.

الحكمة **السادسة:** السبب والنتيجة! اعلموا أن العلل والنتائج متسلسلة في عرى وثيقة، إن تتبعتوها في السوابق ستدركون اللواحق، فلا تصدقوا في الصدف والعشوائية، إنما كل شيء بقدر، واعلموا أن سلسلة الأحداث الكونية تلك غير قابلة للاعوجاج أو الكسر.

الحكمة السابعة **والأخيرة:** الجنس، ولا أعني المعنى المتبادر للذهن من اللفظ، وإنما أعني أن بداخل كل شيء وحتى في الجمادات هناك نسبة ما من الأنوثة، ومقدارًا ما من الذكورة بدرجات متفاوتة.

هاتان القوتان ليستا مصدر الرغبات الجنسية فحسب، ولكنهما القوتان الخلاقتان وهما مصدر نشوء الأحداث في هذا العالم.

أبنائي.. هذه الحكم اسميتها الدرر السبعة، وما أدراكم ما الرقم سبعة! البعض اتخذها كلها، أو بعضها إلهًا مثلما فعل أهل الطاو مع الحكمة القطبية، فعبدوها في الين واليانج، وزرادشت مع النور والظلام، وقبائل المايا والأزتيك والأنكا، مع العقل الكوني فعبدوا الطبيعة، وأهل التبت مع حكمة الذبذبة، والأفارقة الأوائل والشامان مع الإيقاع، والمصريين القدامى مع حكمة المتطابقات، والهندوك حين حرفوا دينهم الأول ليتوافق مع حكمة الجنس، والآن كثير من العقلانيين كادوا أن يعبدوا مبدأ السبب، وحكمة السبب والنتيجة، عن جهلٍ منهم بحكمتها، وإن كانوا قد أدركوا أثرها العميق.

لذا أبنائي الأعزاء لعلي لا ألقاكم مجددًا، وبما أنكم منصرفون غدًا، لذا دعوني أدلكم على سبيل كسب تلك الحكمة المتمثلة في السبع مبادئ، عليكم أبنائي بالتأمل ثم الوعي، فإن التأمل هو لكم صلاة، وإن الوعي هو الإيمان، الذي به تبلغون جنتكم وتتحدون بالنور الأول، وتنجون من جحيم التناسخ، وتبلغون به منزلة الأنبياء وتأمرون به الملائكة فتطيع.

هذان **الأمران:** أي التأمل والوعي، يكيفيانكما التكاليف الواجبة، وتتجنبون بهما الحروب وتتخطون بهما حاجز الزمان والمكان، وتتحصلون من خلالهما على مصدر العلم الحقيقي، ذلك العلم الذي لا يدرك بالعقل ولا الحواس، تلك هي عين الحق والحقيقة.

هذا كل ما لدي، وتهانينا للأزواج، وصلواتي ودعائي لكم أن تكون أوتادًا تجمع الشمول لا معاول للهدم والخراب، وأخيرًا أرجو ألا تشغلكم مهامكم عن التأمل المؤدي للوعي الذي به ترتقون.

جلس الجد هرمس العظيم، وضج المكان بالتصفيق الحار.

ووقف الأب كو **ليعلن:** الآن يستطيع الشركاء الذهاب إلى غرفهم الخاصة التي أعدت لهم، ولينعم باقي الأبناء بالشراب والرقص.

وبما أنه يومنا الأخير لنا سويًا، أود أن أذكر الجميع بأنه ممنوع منعًا باتًا على غير المجموعة الواحدة تبادل الأسئلة، ولو عن رقم الهاتف أو تدوين أي كلمة، ولو في مذكرة شخصية.

شكرًا لكم جميعا.

سرت برفقة زينب مبتسمين لا لشيء، وإنما لنكسر حاجز الموقف الذي كان بمثابة الواجب وينبغي علينا القيام به، وحين دخلنا غرفتنا وجدنا فراشنا الأبيض مزدانًا بورد أحمر على شكل قلب كبير.

وما إن أغلقنا الباب خلفنا، وإذا بأحدهم يدقه مجددًا، تبادلت نظرة سريعة مع زينب قبل أن أفتحه، وكانت المفاجأة الكبرى إذ رأيت عم داوود متأنقًا أشد ما يكون في بدلة سموكن سوداء وبابيون أسود، ممسكًا بيده زجاجة شمبانيا لفها بشريط أحمر.

فورًا ارتميت في حضنه وهتفت (ملاااكي الحارس)، عانقني وهمس بحنين **وحنان:** (روبي حبيبي).

قلت **بالعربية:** تعالى! ادخل!

قال: استنى فيه مفاجأة كمان! ما إن انتهى داوود من جملته حتى ظهرت امرأة خمسينية، لم ترَ عيناي أجمل منها قط في فستان أزرق سماوي لامع، وعقد به قطعة كبيرة من اللازورد الأزرق، وصاحت بمرح **جميل:** طا طا تاااا!.

صرخت زينب من داخل **الغرفة:** ماما نونا!!! فعرفت أنها نائلة.

عانقت زينب نائلة وصارا يدوران في محلهما بفرح بالغ، إلى أن قال داوود بلهجته **السكندرية:** نونا يا مجنونة، سيبي لي شوية من العسل ده.

احتضن داوود زينب وقبلها من وجنتيها وجبينها.

فتح داوود هديته، وشربنا نخب الزفاف، ومازحنا داوود كثيرًا، وبينما هم على وشك الانصراف، إذ احتضنتني نائلة وهمست بجدية **مفاجأة:** إنها زينب بنتي وليست لينا! حاول ألا تنسى ذلك.

وشم لينا

في اليوم التالي أثناء عودتنا لفندق الريتز، وبينما نحن في الطائرة إذ سألتني **زينب:** كيف وشمت ذراعك، أليس من الممنوع علينا التمايز بأي علامة! فأحلتها إلى داوود، وكان جالسًا في المقعد أمامنا يضاحك نائلة بجواره، قص عليها داوود زورًا أنه هو من وشمني في صغري لظروف معينة، ولم يكن قرار المنع صدر بعد، لم تستسغ نائلة قصة شريكها لكنها لم تعقب.

خفق قلبي حين دخلنا الفندق ووجدت لينا –توءم روحي الرقمي– عليها أثر من كدمة خفيفة لم يفلح مسحوق التجميل في إخفائها كليًّا، كبحت رغبة جامحة في ضمها لصدري وسؤالها هل حلمتْ بما حلمتُ به، كما رأيت في عيونها عشرات الكلمات المبعثرة التائهة.

فخاطرتها بكلمة واحدة (أحبك) كررتها لها كثيرًا، ورقص قلبي طربًا حين رأيت بسمتها، بعدها صعدت غرفتي بصحبة زينب، وأنا على غير يقين، تُرى هل استلم وعي لينا كلمتي بدون فهمٍ منها ولذلك تبسمت!

وفي الغرفة، وبينما كنت مع زينب، جال بذهني سؤال كدت له أُسلب رغبتي فيما يجب عليّ فعله كوني زوجًا في شهر العسل، خطر **لي:** ماذا لو كانت لينا حلمت نفس الحلم في ذات الوقت! ولِمَ لا!

ألم أرَ الكدمة على وجهها مثلما روت لي في الحلم أنها دخلت في غيبوبة إثر حادث سيارة، وعليه وجدت نفسها على أرض الحلم.. هذا! إن كان صحيحًا، فمعناه أنه سيكون على ذراعها نفس الوشم.

هكذا أخذت تساورني الظنون، لكني أفقت منها على تأوه متعة من زينب، فأدركت واقعي واستكملته بدون رغبة حقيقية.

في المساء اجتمعنا على طاولة العشاء، وبطرف خفي لمحت لينا مغادرة، فنهضت بسذاجة طفل وسط دهشتهم الجمة، متذرعًا بأني تذكرت حاجة لي في باريس يجب القيام بها قبل مغادرتنا غدًا، حين خرجت وجدت لينا على غير المتوقع تنتظرني، شعرت براحة كونها كفتني ربكة البدايات حين **قالت:** أعتقد أننا في حاجة للتحدث!

جلسنا في مقهى أنجلينا القريب من الفندق، والمطل على حدائق التويليري وهرم اللوفر الزجاجي، وإذ بها تكشف عن ساعدها لأنظر إلى وشمها، صرفت نظري عن عينيها –حبوب البسلة خاصتي– لكنها نظرَتْ إلى **ساعدها:** أريد تفسيرً لهذا! ولكل ما حدث! والآن!

تجرعت الصمت وعاودت أنظر إلى حبتي البسلة اللتين لا أعلم متى وكيف عشقتهما، وفي حركة مفاجأة منها كشفت عن كمي، لترى النصف الآخر من الثعبان المرسوم على ذراعها على ذراعي، فنظرت إليّ مطولًا، وقالت كلمة واحدة وبتعبير يغني عن ألف **جملة:** كيف؟

هززت **كتفيّ:** صدقًا لا أدري!

وبغليان مكتوم اتخذت شكل التحدي والإصرار على الفهم **قالت:** أتدري أنني فقدت بكارتي في حلمك اللعين!

قلت في بلاهة بدون أن أتثبت من مناسبة مقالتي في **عقلي:** أدركت ذلك بالفعل، أعني حين مارست معك...

قاطعتني بنظرات جمعت فيها معاني الحيرة والدهشة **والاحتقار:** جيد! ثم؟

أدركت مدى سطحية تعقيبي لكلامها، فأجمعت شتات ذهني كي لا أزيد الأمر **تعقيدات:** أقسم لك أني ليس لي يد فيما حدث، ولا أملك لك جوابًا أو تفسيرًا لأسئلتك التي سبق أن سألتها مرارًا لنفسي.

قامت بشكل مفاجئ وهمت بالانصراف، حين لم تجد جدوى من حديثي، وبينما هي تمد يدها لتناول حقيبتها، إذ ضممت كفها بكلتا يديّ ولم أرفع بصري عن يدها.

أحبكِ! أقسم لك بما تعتقدين إني أحبك! هذا الجواب الوحيد والتفسير الذي أملكه وعلى يقين منه.

أنا لست بمراهق مخدوع في مشاعره، ولا برجل محطم يبحث دون أن يدري عمن تجمع له شتاته الذي بعثرته تجارب سابقة، أنا على العكس من ذلك كله بداخلي براكين ثائرة، وددت لو تلقي بحممها لترتاح من مكنونها الذي يغلي ولتنفس عن أسرارها.

قطعت لينا استرسالي، واكتشفت أنها لم تحاول سحب كفها الرقيق وهي **تقول:** أنا أصدقك!

حولت بصري عن يدها إلى عينيها، فرأيت علامات عطف وفضول ولا أبالغ إن قلت رأيت الكثير من المشاعر، وعادت لينا إلى **مقعدها:** من أنت؟

قلت **بعفوية:** اسمي ولي، طبيب صيدلي، وداعية إسلامي، من مصر.

تغير وجهها وعبست حتى إني ظننت أنها ستنهض مجددًا، لكنها لم تفعل، وإنما **قالت:** أوك! تلك أول كذبة، ومع ذلك لا مانع عندي أن نكمل لنرى ما هي دوافعك وسط هذه الهالة من الغموض التي تحيط بك أنت وثريّك العجوز.

قررت أن ألعب معها لعبة داوود، وأبدأ بالهجوم بدلًا من الدفاع، وكي أمتلك زمام الحوار، بدأت أعكس أجوبتي **لأسئلة:** إذًا ما زلتي تذكرين اسم رأوبين المدون على جواز سفري، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على قدر من الاهتمام.

قالت بثبات أعاد الكرة إلى **ملعبها:** هذا أمر لا أنكره، ولكنه أيضًا دليل على إنك كذبت.

لا أعلم كيف استسلمت لها بالقاضية من الجولة الأولى، وقررت الانسحاب من اللعبة واللجوء إلى المدارة دون هجوم أو **كذب:** الحق أن اسمي ولي فعلًا، وكل ما عَرّفت به نفسي سلفًا هو صحيح، أما اسم رأوبين فأنا اضطررت له كي أخرج من بلدي مضطهدًا.

على حين غرة، قالت لينا ما استغنيت به عن مسلسل الكذب الذي أعددته إذ **قالت:** أتفهم أمر التضييق على الدعاة في بلادكم، وهو نفس الأمر الذي جعل أبي رحمه الله يفر من تركيا حين استولت عليها العلمانية، وفُرضت على الناس بواسطة مؤسسات الدولة وعلى رأسها الجيش التركي.

استرجعت حديث داوود عن عائلة أبو العافية، الذين هاجروا من الأندلس حين سقوطها إلى الخلافة الإسلامية في الأناضول،

وتعجبت من نفسي لِما شعرت بالسعادة حين علمت أنها مسلمة رغم جذورها اليهودية، ومع ذلك **قلت:** سمعت أن عائلتك تعيش في أكثر من بلد.

لينا: لا أهتم بتلك الأمور، كل ما أعرفه هو أن أبي كان ممن يُطلق عليهم إسلاميين، وكان رفيقًا مقربًا من نجم الدين أربكان، وأنشأ معه حزب النظام الوطني، ومن بعده حزب السلامة، كما علمتُ أن كِلا الحزبين حُلّا، وانتهى المطاف بأبي سجينًا سياسيًّا، وحين خرج انفصل عن رفيق عمره نجم الدين الذي استمر بالسياسة، أما أبي فجاء إلى فرنسا، وتزوج أمي الفرنسية، وكنت أنا ثمرة هذا الزواج.

ومرت السنون وأنشأ نجم الدين حزب الرفاة الإسلامي، وصعد بالحزب وحين تولى رئاسة الوزراء قرر أن يستعين بصديقه القديم، فراسل أبي وأقنعه أن يلبي نداء الواجب، وهذا ما رفضته أمي قطعيًّا. فعاد أبي وحيدًا إلى وطنه، ولم يمر كثير وقت حتى توفي أبى هناك، وعلمنا فيما بعد أن قبره في أنقرة.

قلت: وكأنك تقصين قصتي لا قصة أبيك، فأنت قد اختصرتِ حكايتي، وما كنت سأحكيه لك، فقط غيري الأسماء وضعي اسمي بدلًا من اسم أبيك.

قالت: يبدو أن كلينا يحتاج لمن يفسر له ذاك الحلم المشترك.

وقطع حديثها رنين هاتفها وكانت والدتها، ودار بينهما حديث قصير مفاده أنها أنجزت ما كانت تفعله، وأنها بصدد أن تتخذ طريقها للبيت.

كرهتُ قيامها حين كانت تعيد هاتفها إلى الحقيبة، فقررت الحديث مجددًا لأطيل من وقت اللقاء، إلا أنها **قالت:** إنها أمي، يجب عليّ الذهاب.

قلت: أتمنى مقابلتها يومًا ما! تصوري عنها بعدما سمعتُ قصتها مع أبيك أنها ذات شخصية قوية حين عكفت على رعايتك حين تركككما والدك، ولكن أتساءل كيف وهو الإسلامي كان تأثيره عليكما؟ أكان يفرض عليكما شعائر الدين في البيت أو طريقة معينة في الثياب مثلًا؟

لينا: في الحقيقة أثناء صغري لم يحاول أبي معي أي إكراه على معتقد ما، وإن كان دائم النصح والإرشاد من زاوية طاعة الخالق وأمور الآخرة وقص القصص الديني، في حين كانت أمي ترفض تلك القصص، وتنعتها بالأساطير، ولكنها كانت تحثني على ذات الشيء، لكن من باب الإنسانية والقيم الأخلاقية، حتى لو لم يترتب على ذلك ثواب أو عقاب.

في النهاية وبمزيج من الفكرين أصبحت أنا لينا التي تحدثك الآن، لست ملحدة ومنكرة للإله، ولا مؤمنة بدين **معين:** أي أنك تستطيع أن تصفني أني لا أدرية أو ربوبية، أيًّا ما كان المسمى، فأنا لا أذهب إلى مسجد أو كنيسة، ببساطة أؤمن بالسلام والحب والتآخي بين البشر. فلا تعتقد أني حافظت على عذريتي تدينًا، وإنما هي كانت هديتي للإنسان الذي سيحبه قلبي، وأقرر حينئذٍ أن أكمل حياتي معه، وعلى كل حال قد كان ما كان.

والآن دعني أذهب إلى أمي! فهي تنتظرني للعشاء. قالتها وقامت فنهضت بالمثل، وحين صافحتني كنت كتمثال صامت لا يحرك سوى عينيه، غارقًا في بحر من المشاعر أمواجه أفكار متلاطمة.

فقالت: سعدت بلقائك!

رددت بأسى لانقضاء الوقت **سريعًا:** أنا أيضًا.

استدارت منصرفة وكنت أسير خلفها نحو باب المقهى حين **قالت:** أنا لا أجاملك، ولكنك فعلًا إنسان طيب وصادق، ولعلنا متشابهان في صفة البساطة، وعدم التعقيد، لدي شعور أننا سنصبح صديقين، حين يعرف بعضنا البعض في المرات القادمة.

شعرت أنها تحثني على أن أطلب منها لقاء آخر، ولكني لم أدرِ بماذا أجيب، فالتزمت الصمت، وحين خرجنا وبينما هي في المقعد الخلفي لسيارة الأجرة، إذ **قالت:** أوك في لقائنا القادم سنحاول البحث عمن يساعدنا في تفسير ما حدث.

قلت بوجوم طفل فقد أمه **للتو:** إني راحل غدًا، وأغلب الظن أني لن أعود أبدا.

تبدلت قسماتها من النقيض إلى النقيض، وصمتت لحظات شعرت فيها أنها تتردد في إظهار أسفها لعدم تكمننا من اللقاء مجددًا، إلى أن أخرجها من صمتها السائق حين سألها عن وجهتها، فأجابته، وبعدها رسمت ابتسامة مصطنعة وهي تغلق باب السيارة بعد أن **قالت:** تصحبك السلامة!

راقبت السيارة حتى غابت عن ناظري، وقفلتُ إلى الفندق، وهناك وجدت داوود يشرب كعادته، أما نائلة فكانت تدخن بعصبية

واضحة، سألتهما عن زينب فبادر داوود نائلة بالإجابة، قائلًا **بلهجته:** طلعت الأوضة ترتاح!

لم يمنع ذلك نائلة من أن تدلي بدلوها في الإجابة بخُبث الحموات الريفيات، وباللهجة المصرية التي يجيدها **الجميع:** آه ترتاح، أصلها تعبانة أوي يا حبة عيني وجوزها خرج فجأة من غير ما يقول ولو كلمة!

كان واضحًا جدًّا ما صار في غيابي، فحبذت تلطيف **الأجواء:** آسف!

لكن يبدو أن أسفي أتى بعكس ما رجوت إذ اعترت الجدية فجأة ملامحها.

نائلة: سبق أن لفتُ انتباهك غير مرة، لكنك لم تعتبر وللمرة الأخيرة أحذرك، غضب زينب يُغضبني، ولعلك لا تقوى على غضبي.

لم أشأ أن أزيد الموقف تعقيدات، واكتفيت أن نظرت إليها شذرًا قبل أن التفت إلى **داوود:** تصبح على خير يا عم داوود.

صعدت الغرفة وجدت زينب تمارس اليوجا في صلاة تأمل تجاوزي عميق، فدخلت الحمام، وصبغت لحيتي الحمراء بالسواد كما حلقتها على الوجنتين كما يفعل مشايخ نجران، وقصرت من شعري، وحين خرجت كانت زينب متظاهرة بالنوم.

تمددت بجوارها أحملق إلى السقف ولم أجد أي رغبة في الكلام.

نجران

في ظهيرة اليوم التالي ارتدت كل من زينب ونائلة النقاب، وبعدها بقليل كنا على متن الطائرة المتوجهة إلى مطار جدة، وهنالك وجدنا طائرة خاصة أُعدت لنا، أمر بها داعي الدعاة الإمام المكرمي الإسماعيلي، حين هبطنا مطار نجران، والذي يبعد حوالي ٣٠ كيلومترًا، وجدنا صفًّا من السيارات للترحاب بقدومنا وقد أوفدت رؤوس قبائل المكارمة، وآل يام، وآل هندي، وهمدان وغيرهم الكثير من الرجال لاستقبالنا، وكانوا مثلًا في الكرم وحسن الضيافة والاستقبال.

حتى إنهم جهزوا بيتًا خاصًّا لداوود كونه مساعدًا شخصيًّا لي ومستشاري الخاص، وحين انفردت بزينب للمرة الأولى في بيتنا الذي كان أُعد لنا سلفًا إذ بها تقول **لي:** حتى الآن لم أعرف لِمَ تركتني أثناء عشائنا في الفندق صبيحة زفافنا، وعلى الرغم من كتمي لثورتي بداخل صدري منذئذ، فأنا لم أسألك، ولن أتسول منك جوابًا عن ذهابك المفاجئ، الذي نبأني حدسي أن خلفه علاقة مستترة بأخرى، وهذا ما جرح أنوثتي جرحًا بالغًا، ولعلي تقصيت الأمر بوسائلي وعلمت من هي، على كل حال أريدك أن تعلم أني مكرمية، وما أدراك من هم المكارمة! هم أكبر قبائل نجران والمذهب يُنسب

إليها، ولذا هي من تتولى الإمامة الدينية، ولم يحدث قبل أن زَوَّجَتْ بنتًا لها من خارج العشيرة حفاظًا على الإمامة الدينية والأعراف.

ولأن أمي ماتت في صغري وبعدها توفي أيضًا أبي الذي كنت انتسب إليه، ورغم أنهم عهدوا إلى نائلة بتربيتي، إلا أن جميع الأسر تعد نفسها أسرتي.

وإن حدث وشعروا بأني على غير ما يرام، فعندئذٍ أخشى أن يحدث ما لا يحمد عقباه، فلا تدع أمورك الشخصية تؤثر على الهدف الأسمى.

قلت: أعتقد أنك تبالغين كثيرًا، وليس بيني وبين من تقصدين شيئًا لأخفيه، أو أسره عنك.

قالت بعقلانية تحسد **عليها:** هذه بداية واعدة ومبشرة تزيدني قوة في معركتي.

أنا: معركة!! عن أي معركة تتحدثين؟

قالت بلهجة مُقاتَلة **شرسة:** أنت! أنت معركتي التي وجب عليّ خوضها والموت دونها.

كان ثمة غموض وراء سبب ثورتها المكبوتة، ولأني خمنت أنه لن يكون إحساسًا لغيرة امرأة أو جراح زوجة مخدوعة؛ حيث إنه معلوم لكلينا أن لزواجنا أسبابه الاستثنائية، فقررت المناورة بأسلوب الاستفزاز لإماطة اللثام عن السبب الحقيقي لتلك **الثورة:** على أي حال سأحرص على أن أبدو زوجًا سعيدًا أمام عائلتك.

حين لمحت اضطراب أهدابها علمت أني نجحت في مسعاي، قالت **بانفعال:** وهل أنت على غير ذلك؟ وَلِمَ؟ وَبِمَ تكتمل سعادتك؟

قلت ببرود لأزيد من انفعالها الذي يُخرج مكنون **نفسها:** ليس معنى كلامي أني بائس حزين، لكن ما أريد قوله هو لِمَ لا نركز في برنامجنا، ونعمل على ما يساعدنا فيه أمام الناس، ولا نلتفت إلى الهوامش الجانبية؟

وإذا بزينب تنفجر وتضعف مقاومتها، وتهوي بصفعة على وجهي انعقد معها لساني، مرت لحظات صمت متبادل قذفتها فيها بنظرات من سهام مشتعلة مقذوفة من منجنيق يصر على دك الحصن قبل اقتحامه.

حدت من لهجة التحدي في نبرتها وهي **تقول:** أنا لست هامشًا جانبيًّا في حياتك، ولا ينبغي أن أكون.

قلت بلهجة سكندري **عصبي:** أُمال أنت إيييه! إياكِ أن تصدقي أنك بمثابة زوجة وحبيبة، علاقتنا ما هي إلا واجهة لشيء أسمى وليس أكثر من ذلك.

لم تدعني أُنفث عن غضبي ولو حتى بالكلمات وإنما تبدلت نظرة ندية التحدي في عينيها بنظرة انكسار مستضعف على حين غرة وهي **تقول:** أحبتك روحي قبل أن تدرك نفسي معنى الحب، أنت من جعلت لحياة طفلة معنى وغاية، طفلة نشأت في كنف كائن لا يراه إلا هي، أعني نائلة التي كانت تُملي عليّ ما يجب أن أعتقده في كل شيء حتى الحب.

أنا يا ولي تلك الطفلة، ولكي تفهم ما أعنيه جيدًا دعني أقص عليك قصة ليلة استيقظتُ فيها ليلًا، لأجد مرشدتي الروحية وقدوتي في الحياة تطارح معشوقها الغرام، ويتبادلان كلمات الحب والأشواق الملتهبة، احترتُ فيما أراه ولا أفهمه، ولما تكرر الأمر سألتها ببراءة

طفلة عما يحدث، أفهمتني نائلة أن ذاك ما يسميه الناس حبًّا وهذه العاطفة هي أسمى المشاعر ومنها خُلقت الروح، ولذا لا تكتمل الروح إلا به وتسمو إلى أعلى مراتب الإنسانية.

اشتاقت الطفلة بداخلي إلى أن تملأ قلبها الأخضر من ذاك الإحساس الرائع، وتغمرها سعادة مثل تلك التي تراها على وجه مرشدتها حين تلقى محبوبها، وببراءة أكثر طلبتُ منها أن أحيا تلك المشاعر فوعدتني نائلة بذلك، وبشرتني بأنها تدخر لها فتى في مثل عمري، وكانت تهديني صوره باستمرار، بل وتجعلني أراه عن بعد بطريقة ما لا يستوعبها عقلي كطفلة حينها ، فكنت أزداد تعلقًا به يومًا بعد يوم، ولما بلغت مبلغ الفتيات كانت نائلة ومعشوقها يأتياني أحيانًا بالشباب الموعود، فأجده نائمًا في فراشي كأمير مسحور في رواية رومانسية، فأقضي الساعات الطوال في ري ظمأي بالتطلع إليه نائمًا، وأنا أتخيل أحاديث عذبة معه كتلك التي أقرأها في الروايات.

ولكم نهتني نائلة وحذرتني من خطورة أن ينتبه أميري النائم من غفوته هذه، إلا أني لم أستطع مقاومة نفسي من لمس وجهه ومداعبة شعره الأحمر الوهاج، بل وتقبيله في أحيان كثيرة، حتى إنني كنت أتوسد صدره وأستغرق في نوم عميق رغم سابق يقيني أني حين أستيقظ لن أجده بين أحضاني.

وفعلًا هذه كانت أتعس لحظات يومي حين أُصبح فلا أبصره، فأتصبر بقدوم الليل ولقاء حبيبي النائم.

أرجو أن تكون قد أسعفتني الكلمات يا ولي لمنح مخيلتك شيئًا من مدى تعلقي منذ صغري بفتاي. ولن أختبر ذكاءك فأنا على يقين أنك أدركت عمن حديثي، ومن بعد الغضب ثم العقل ثم الوَجد،

وكل هذا في دقائق معدودات أتي وقت الجنون فصرخت **فيّ:** تبًا لغبائك!

لم أكن أحتاج كثير ذكاء حتى أفهم أني أنا الأمير النائم، أما العاشقان فهما داوود ونائلة.

تراخت أعصابي فصرت ككأس من الماء المثلج، وشعرت بكم من التعاطف لا حد له نحوها، فلما احتضنتها بحب حقيقي، إذا بها تجهش بالبكاء، وكي أخرج بها من ذلك المزاج الكئيب المتقلب همست في أذنها **بمناكفة:** الآن فهمتُ لِمَ كدتِ أن تلتهميني حيًا في صورة أقرب ما تكون للاغتصاب في غرفة اليخت عند أول انفراد لك بي.

جعلتها جملتي الأخيرة تقهقه من بعد شجن، فكانت تبكي وتضحك في نفس الوقت، وفوق هذا تلكمني بقبضتيها في كتفي بغنج ودلال، فحملتها إلى فراشنا.

في اليوم التالي سيق بي إلى مسجد المشهد، وهو ثاني أكبر مساجد الطائفة في عموم نجران[1].

فوجدته ممتلئًا عن آخره، نظرًا للسمعة التي سبقتني، حينئذٍ قررت طرق الحديد ساخنًا، ولأستثمر حمى وحماسة البدايات، فعلت فعلًا لم ولن يجرؤ غيري على فعله.

---

(١) المسجد الرئيس يقع في مدينة خشيوة، وهناك يطلقون عليها، المدينة المنصورة؛ لأنها أول مدينة ناصرت الدعوة الباطنية، وأصبحت الآن منصورة، لأنها أصبحت عقر دار هذه الطائفة؛ حيث فيها بيت المال الإسماعيلي والجامع الرئيسي للطائفة، ومحل إقامة الداعي المطلق لهذه للطائفة.

فحين أقيمت الصلاة تقدمتُ للإمامة، وبعد الفاتحة قرأت سورة **النورين:**

«بسم الله الرحمن الرحيم* يا أيها الذين آمَنوا آمِنوا بالنورين أنزلناهما يتلوان عليكم آياتي ويحذرانكم عذاب يوم عظيم* نوران بعضهما من بعض وأنا لسميع عليم* إن الذين يوفون بعهد الله ورسوله في آيات لهم جنات نعيم* والذين كفروا من بعدما آمنوا بنقضهم ميثاقهم وما عاهدهم الرسول عليه يقذفونه في الجحيم* ظلموا أنفسهم وعصوا الوحي الرسول أولئك يسقون من حميم* إن الله الذي نوَّر السماوات والأرض بما شاء واصطفى الملائكة والرسل وجعل من المؤمنين أولئك من خلقه يفعل الله ما يشاء لا إله إلا هو الرحمان الرحيم* قد مكر الذين من قبلهم برسلهم فأخذتهم بمكرهم إن أخذي شديد أليم* إن الله قد أهلك عادًا وثمود بما كسبوا وجعلهم لكم تذكرة أفلا تتقون* وفرعون بما طغى على موسى وأخيه هارون أغرقته ومن تبعه أجمعين* ليكون لكم آية وإن أكثركم فاسقون* إن الله يجمعهم يوم الحشر فلا يستطيعون الجواب حين يسألون* إن الجحيم مأواهم وإن الله حكيم عليم* يا أيها الرسول بلغ إنذاري فسوف يعلمون* قد خسر الذين كانوا عن آياتي وحكمي معرضين* مثل الذين يوفون بعهدك إني جزيتهم جنات النعيم* إني لذو مغفرة وأجر عظيم* وإن عليّا لمن المتقين* وإنا لنوفه حقه يوم الدين* وما نحن عن ظلمه بغافلين* وكرمناه على أهلك أجمعين* وإنه وذريته لصابرون* وإن عدوهم إمام المجرمين* قل للذين كفروا بعدما آمنوا طلبتم زينة الحياة الدنيا واستعجلتم بها ونسيتم ما وعدكم الله ورسوله ونقضتم العهود من بعد توكيدها، وقد ضربنا لكم الأمثال لعلكم تهتدون* يا أيها الرسول قد أنزلنا إليك آيات

مبينات فيها من يتوفه مؤمنًا ومن يتوله من بعدك يظهرون* فأعرض عنهم إنهم معرضون* إنا لهم محرضون في يوم لا يغني عنهم شيء ولا هم يرحمون* إن لهم في جهنم مقامًا عنه لا يعدلون* فسبح باسم ربك وكن من الساجدين* ولقد أرسلنا موسى وهارون بما استخلف فبغوا هارون فصبر جميل فجعلنا منهم القردة والخنازير ولعنّاهم إلى يوم يبعثون* فاصبر فسوف يبلون ولقد آتينا بك الحكم كالذين من وجعلنا لك منهم وصيًا لعلهم يرجعون* ومن يتول عن أمري فإني مرجعه، فليتمنعوا بكفرهم قليلًا فلا تسأل عن الناكثين* يا أيها الرسول قد جعلنا لك في أعناق الذين آمنوا عهدًا فخذه وكن من الشاكرين* إن عليًا قانتًا بالليل ساجدًا يحذر الآخرة ويرجو ثواب ربه* قل هل يستوي الذين ظلموا وهم بعذابي يعلمون* سيعجل الأغلال في أعناقهم وهم على أعمالهم يندمون* إنا بشرناك بذرية الصالحين* وإنهم لأمرنا لا يخلفون* فعليهم مني صلاة ورحمة أحياء وأمواتًا ويوم يبعثون* وعلى الذين يبغون عليهم من بعدك غضبي إنهم قوم سوءٍ خاسرين* وعلى الذين سلكوا مسلكهم مني رحمة وهم في الغرفات آمنون* والحمد لله رب العالمين»

لم تنقطع همهمات الشيوخ من مأموميني، عساي أن أكف عن القراءة، ولا أجهر بما أُبطن، حتى إن أحدهم تكلم في الصلاة، وصرخ من **خلفي:** «التقية ديني ودين آبائي». وهي جزء من حديث صحيح عندهم، يريد بها تذكيري بوجوب العمل بالتقية، لكني لم انتهِ، وإنما زدتُ الأمر تعقيدًا، إذ قرأت في الركعة الثانية، سورة الولاية[1]:

(١) هاتان السورتان المزعومتان يزعم بعض فرق الشيعة ممن يقولون إن الصحابة أخفوا بعض السور والآيات التي تدل على أن عليًا –رضي الله عنه– وصي رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وخليفته من بعده، وأن

«بسم الله الرحمن الرحيم* يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنبي والولي اللذين بعثناهما يهديانكم الى صراط مستقيم* نبي وولي بعضهما من بعض وأنا العليم الخبير* إن الذين يوفون بعهد الله لهم جنات النعيم* والذين إذا تليت عليهم آياتنا كانوا بآياتنا مكذبين* إن لهم في جهنم مقامًا عظيمًا إذا نودي لهم يوم القيامة أين الظالمون المكذبون للمرسلين* ما خالفهم المرسلون إلا بالحق وما كان الله ليظهرهم الى أجل قريب* وسبح بحمد ربك وعليٌ من الشاهدين*»

أثناء قراءتي في الركعة الثانية، تحمس كثير من الشباب المصلين خلفي لحماسي وجرأتي، فضج المسجد بالبكاء وضرب الصدور والصلاة على النبي وآله بصوت مرتفع جدًّا.

اللهم صلِ على محمد وعلى آل محمد

وما إن انتهيت من الصلاة، ومنعًا للقيل والقال، استدرت مباشرة للمصلين المذهولين، وألهبتهم بخطبة ثورية، فحمدت الله، وصليت على النبي المختار، وآل بيته الطيبين الأطهار، وتبرأت إلى الله من النواصب الأشرار، وعقائد المخالفين الأغيار.

وقلت فيما **قلت:** الحمد لله نور النور، ومدبر الأمور، دهر الدهور، العالم بخفيات الصدور، لا من شيء إلا أبدعه ولا من أصل إلا هو من اخترعه، ولا شيء تقدم عليه سبحانه ولا يضاف إليه إلاَّ جل جلاله.

لديهم المصحف كاملًا ويسمونه مصحف فاطمة، ورغم اختلاف الشيعة فيما هو معلن في هذه المسألة الخطيرة، إلا أن محدثهم حسين النوري الطبرسي (١٢٤٥ هـ ـ ١٣٢٠ هـ) له مؤلف ضخم بعنوان، فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب، ذكر فيه هاتين السورتين وغيرهما.

هو أول الأعداد، فرد الآحاد، مبدَأ الوجود، ومنبع الجود، ومنشئ الحدود، هو الشاهد والمشهود، وهو المبدع المعبود.

من لا تجاسره الخواطر، ولا تحويه المشاعر، ولا تدركه البصائر.

المنزه عن الأسماء والصفات، والبريء عن الأشياء في كل الحالات، والمتعالي عن مشاكلة أهل الأرضين والسماوات.

إذ لا ضد له ولا ند، سبحانه، وجل جلاله وعلا ملكه وعز سلطانه وسما شأنه.

وأشهد ألا إله إلا هو، شهادة من عرف حدوده حدًّا حدًّا، فاغتني به، واستغنى عن العالمين فردًا فردًا، فافتقر إليه.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الأمين، وصفيه المكين، أفضل الأنبياء عنده، الممنوح أنواره وسعده، صاحب المعجزات الباهرات والآيات البينات، محيي العظام الرفات، منقذ أهل الغرق في الجهالات السابحين في الظلمات، الآتي بكلمة الخلاص المنقذ بها حين لات مناص.

الموحد المبدع ذات الذوات، أصل الوجود والبركات، بديع الصالحات، ومسدي الحسنات، فصلى الله عليه من نبي أكمل به الديانات، وختم به النبوات، وقمع به أهل الضلالات، ودمغ ببرهانه ذوي الشبهات، وأنار به السبل في جميع الجهات.

وعلى وصيه وابن عمه، المفرج همه وكربه، سيف الله المسلول، وخيرته المقبول، المعجزة الباهرة والقدرة القادرة، لسان صدق جده إبراهيم، ونبأ الله العظيم، والسهم العلي الكريم، الذي تحركت السواكن لظهوره، وسُرت العناية الإلهية لحضوره.

ودارت لسببه الأفلاك، وسبحت الأملاك، صالح المؤمنين، وأمير المتقين، وقائد الغر المحجلين.

حوض الكوثر والقمر الأزهر، فلما ظهر بَهر، وقام فقهر وأعز الإسلام ونصر، وأمده الله بلواء حمده فظفر.

فكمل به الدين وأباد به الملحدين، وأيد به الموحدين، المثل المضروب للأولين والآخرين.

فصلى الله عليهما، وعلى ذريتهما الطيبين، وعترتهما الطاهرين، والأئمة المنتجبين آل طه ويس.

وعلى صاحب العصر والزمان، وولي الفضل والإحسان، الإمام المستور، وأصل بحار النور، ومصرف الأمور، وكلٌ في فلكه يدور.

الإمام الطيب أبي القاسم، أمير المؤمنين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

الحضور: اللهم صلّ على محمد وآل محمد

قلت: فيا أهلي وآلي، والله إنكم تعلمون كما أني أعلم أن الله تعالى قال في محكم **التنزيل:** «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ».

وتعلمون أنهم لطالما حاولوا حذف قوله، (في عليّ): أي بلغ ما أنزل في علي، يا قومي أفلا تتدبرون رب العزة سبحانه يخاطب نبيه بالرسالة وليس يا محمد أو يا عبدي أو أيها النبي، وإنما يا أيها الرسول، إذًا مقام سيدي أمير المؤمنين سلام الله عليه هو جزءٌ مكملٌ لرسالة محمد صلى الله عليه وآله. وكيف لا وهو وصيه وأمينه على أهل بيته.

الحضور **بحماس:** اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد.

قلت: يا قومي أنتم رسل الله وحملة أمانته بعد وفاة نبيكم، وفي غيبة أمامكم، أفلم يخاطبكم ربكم **قائلًا:** "قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ"

ألستم أتباع محمد، وتلك هي الدعوة! ألستم الموالين لآل البيت، وتلك هي البصيرة، أم عساكم رضيتم أن تكونوا من المشركين!

ألا تحملون مشاعل نور الإسلام الحق للعالمين، أم سنظل تحت سيف التقية إلى أبد الآبدين!

يا قوم أنا أعلمكم بوجوب التقية، وأعلم أحاديثها المتواترة عن آل البيت صلوات ربي وتسليمه عليهم.

الحضور: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد.

قلت: لقد حيينا دهرًا نعمل بأحاديث (التقية ديني ودين آبائي، ولا دين لمن لا تقية له، وتسعة أعشار الدين في التقية). ولكن أليس لكل مقام مقال، ولكل حادث حديث!!

لقد أمرنا الأئمة بالتقية حفاظًا علينا، إذ كنا آنذاك قلة مستضعفين من بني أمية عليهم من الله ما يستحقون، ولكن انظر ماذا فعل بهم بنو العباس فكان النصر بغير أيدينا! وها نحن الآن وقت العزيمة ولا مجال للرخص.

أليس لكم في الصفويين أسوة، وفي الفاطميين قدوة، لِمَ لا نحذو حذوهم، ونقيم دولتنا الموالية، ونسترد حق آل البيت المغصوب، ونثأر لدماء سيد شباب أهل الجنة الذي قتل مظلومًا!

عند هذا الحد تذكرت قول أستاذي ومعلمي **داوود:** إن الفاجر إذا كمل فُجره مَلَك زِمام عينيه، والحق أني كنت منتشيًا من فرط حماسي وشعوري بالقبول بينهم مما زادني فُجرا.

فأجهشت بالبكاء وتحشرج الكلام في حلقي، وصرت ألطم صدري بكفي.

فصرخ الحضور **حماسًا:** يا لثارات الحسين! يا لثارات الحسين!

أكملت وأنا **أنتحب:** أنسيتم كيف ساد سادتنا من الفاطميين الأرض، وذبوا حملات أهل الصليب على بلاد الإسلام وأهله، وبنوا الجوامع والجامعات! أنسيتم أزهركم الشريف المسلوب منكم بأيدي كبير النواصب ذلك الذي تسمى بصلاح الدين، والحق أنه خراب الدين، ولما سلب منكم أزهركم، أليس ليبث من خلاله للعالم عقائده هو لا عقائدكم أنتم التي تكتمونها تقيةً وهي الحق المنير.

أهلي وعشيرتي، عصرنا عصر العمل بالقوة، والبذل في سبيل الله، والصدح بالحق والموت في سبيله، ولنا في سيد الشهداء القدوة الحسنة.

الحضور: لبيك يا حسين! لبيك يا حسين!

وأخيرًا أبشركم أني لن أقيم في خشيوة بصحبة سيدنا ومولانا الإمام بعد أن منَّ عليّ فضيلته بمرتبة الحُجة، وإنما سأكون ها هنا بين ظهرانيكم لأفيض عليكم مما أفاض به إمام الزمان عليّ وشرفني بتعليمه إياي.

ولهذا وضعت منهاجًا تعليميًّا على مدار الأسبوع، نلتقي فيه هنا لنشرح عقائدنا من أمهات الكتب السرية المتوارثة، والتي لم تقع عليها عينٌ غير أعين أئمتنا عليهم السلام.

وأما الفقه فسوف ندرسه على المذهب الجعفري، وكذا كتاب الجفر ورسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، وغير ذلك الكثير، وعلى رأسها كتابي صحيفة الصلاة الكبرى وكتاب كنز الولد، وهذا سيكون للجميع وفي العلن إن شاء الله تعالى.

أخذت أتفحص الجميع بعد خطبتي الحماسية تلك، فوجدت شبابًا يغلي، وشيوخًا تحرك رؤوسها إعجابًا بما سمعوا.

فعادت إليّ ثوريتي وتلبست الزعامة، وأنا أقول لأحد **المشايخ:** مُرْ من هو دون الخمسين بالخروج من المسجد. وبالتبعية أمر الشيخ بعض الرجال، فقاموا بأمري فخرجوا وأوصدوا خلفهم الأبواب، وبقي في المسجد عشرات الشيوخ، الذين هم وفود القبائل ورؤوسهم.

مرت دقائق تعمدت فيها الصمت، وأنا أرميهم بنظرات حادة جامدة، لاذعنهم للانصياع؛ حيث لا مجال للنقاش فيما سأتفوه به.

وكان أول كلامي أن **قلت:** إمامكم الغائب، قائم الزمان، حجة الله المنتظر يقرئكم السلام جميعًا وفرادى.

انفعل الحضور لأقصى درجة وصدى في جوانب المسجد واهتزت **الأرجاء:** اللهم صل على محمد وعلى آل محمد.

قلت: السلام عليك يا فلان والسلام لآلك وربعك بني فلان. وعددت الحضور بأسمائهم، فمن سمع اسمه خطى إليّ وقبل يدي، فلما انتهى آخرهم، **قلت:** لقد أمرني مولاي القائم بطاعة الله ورسوله وطاعة سيدي داعي الدعاة الإمام المكرمي، كما يأمركم بطاعتي إن أنا أطعتهم، فماذا أنتم قائلون؟

رددوا: الطاعة للمنتظر، ولد سيد البشر، ومن يجحد فقد كفر.

هنا هب داوود واعتدل، ولوى طرف غترته البيضاء على رأسه كما يفعلون بحماس بالغ وأخذ يلقي جزءًا من ديوان ابن هانئ، الذي ألقاه أمام المعز الفاطمي، حين **قال:**

ما شئتَ لا ما شاءتِ الأقدارُ
فاحكُمْ فأنتَ الواحد القهّارُ
وكأنّما أنتَ النبيُّ محمّدٌ
وكأنّما أنصارَكَ الأنصارُ
أنتَ الذي كانتْ تُبشِّرنَا بهِ
في كُتْبِها الأحبارُ والأخبارُ
هذا إمامُ المتَّقينَ ومَنْ بهِ
قد دُوِّخَ الطُّغيانُ والكُفّار
هذا الذي ترجى النجاة بُحبِّهِ
وبه يحطُّ الإصرُ والأوزار
هذا الذي تجدي شفاعته غدًا
وتخمد أن تراه النار
من آل أحمدَ كلَّ فخرٍ لم يكنْ
ماً إن لها إلاّ الوَلاءَ شِعار

كان القوم –والحق يقال– ذواقين للشعر، ذوي نخوة، ومرؤة، وكرم، وإقدام، فرأيت في الوجوه تأثرًا بمجد الأقدمين، وهتف **الحضور:** البيعة لآل البيت.. البيعة لآل البيت.

قلت: بوركتم وبوركت بيعتكم، قد قبلناها فأعدوا بالشورى لي اثني عشر رجلًا منكم على رأسهم مكرمي يامي، والبقية من

سائر بطون القبائل، يكونون عضدًا وعونًا لي، أطلعهم على سري، ويمتثلون لأمري.

قال **كبيرهم:** السمع والطاعة لرسول الإمام.

وقال شيخ **آخر:** لكم علينا العهد والميثاق.

وحين فُتحت لنا أبواب المسجد، هتفت الحشود المنتظرة **بالخارج:** لا إله إلا الله، إمامنا ولي الله.

وحملوني إلى السيارة، وهم يُقبلون مني ما استطاعوا.

هرع داوود إلى باب السيارة، وجلس خلف المقود، وما إن خلصت نفسي من احتفائهم بي حتى انطلق مسرعًا نحو البيت، حين تفردت به زفرت طويلًا، وأنا أهندم ثيابي متأففًا من تقبيلهم إياي **قال:** هاهأاااوو! قشطة يا مولانا يا روبي يا لعيييب!

قلت: عجبتك يا عم داوود؟

قال: ده أنت تعجب الباشا يا باشا.. بس سيبك أنت بلعوا الطعم وناموا في العسل.

قلت: أنا لاحظت أنهم بالفعل مُهيئون لقبول ما أقوله أيا ما كان، غير أن الشعر بتاعك كمان شعلل الجو، بس جامدة الحتة بتاعت (ما شئت لا ما شاءت الأقدار فأنت الواحد القهار) جبتها منين دي يا راجل يا عجوز.

قال: هم أجمل شيء فيهم –رغم عقولهم دي– أنهم ولاد أصول، يجيدون الشعر والفروسية والأناة، عشان كدة لعبت على الوتر ده.

قلت: بس ده كفر صريح يا عم داوود إزاي يقبلوه؟

قال: يا روبي، كتبهم فيها أشد من كدة، مثلًا كان فيه واحد منهم اسمه علي بن الفضل، له قصة معينة، ولكن المهم أن علي بن الفضل ده حب المُلك والزعامة ولحق بالقرامطة، فأدعى النبوة، وحط عنهم فروض الدين، وأباح لهم المحرمات، فاستحسنوا الأمر وبلغ الأمر أن خطيبًا أنشد له على منبر مسجد مدينة الجند (تعز):

نقيم شعائر هذا النبي
خذي الدف يا هذه واضربي
وغني هزازيك ثم اطربي
تولى نبي بني هاشم
وهذا نبي بني يعرب
أحل البنات مع الأمهات
ومن فضله زاد حل الصبي
لكل نبي مضى شرعة
وهذي شريعة هذا النبي
فقد حط عنا فروض الصلاة
وحط الصيام فلا تتعب
إذا الناس صلوا فلا تنهضي
وإن صوَّموا فكلي واشربي
ولا تطلبي السعي عند الصفا
ولا زورة القبر في يثرب
ولا تمنعي نفسك المعزبين
من الأقربين مع الأجنبي

فمن أين حللت للأبعدين
وصرت محرمة للأب
أليس الغراس لمن أسّه
وسقاه في الزمن المجدب!
وما الخمر إلا كماء السماء
حلالٌ فقدست من مذهب

قلت: إيه الجنان والقرف ده!!

ضحك داوود **بمكر:** بس شهادة لله شعر حلو وموزون.

قلت: بالله عليك تكلمني جد شوية يا عم داوود!

قال: بص يا روبي يا بني! علشان أجيب لك من الآخر، الناس دي عرب أصيلة، وإنت عارف إن العربي طول عمره ومن قبل الإسلام يمتاز بالوفاء بالعهد والكرم والإقدام، يا راجل ده حتى اليهود بمعاشرتهم لهم في يثرب تعلموا منهم الصفات النبيلة دي، لدرجة إن كعب بن الأشرف اليهودي لما جاء له محمد بن مسلمة ليقتله في ليلة عرسه، نزل له وهو **يقول:** «إن الكريم إذا دُعي إلى طعنة بليل أجاب». وهو يهودي، فما بالك بالعربي الأصيل، والأخلاق دي هي اللي مكنتهم من فتح العالم لما أخلصوا لدينهم.. وأيضًا مكنتنا منهم في نفس الوقت.

قلت: إزاي يعني يا عم داوود؟

قال: بالمثال يتضح المقال، حين نجحنا في نشر عقيدتنا النورانية في بعضهم وآمنوا بها، أصبحنا نرى فيهم الفدائي من الحشاشين يطعن نفسه، أو يقفز من على قلعة آلموت بإشارة من الحسن الصباح، والرافضي كيف يجلد نفسه حتى يدمي ظهره

مستمتعًا بذلك، وانظر إلى الخارجي، وعزيمته في القتال، وكيف هي همته في الطاعة.

قلت: فهمتك يا عم داوود! عشان كدة وقفت تُذكرهم بالشعر الذي قالوه قديمًا، لعلمك أنه مؤثر فيهم لطبائعهم الأصيلة.

كنا قد وصلنا إلى البيت فدخلنا لتناول العشاء.

وهكذا مرت الأيام على منوال واحد، حياة زوجية مستقرة مع زينب، وإن كنت لا انقطع عن التفكير في لينا.

كذلك استتبت لي دعائم الدعوة، وبدأت تشتهر بين القبائل، بلا منغصات تذكر من السلطة المركزية.

الإنجاب العذري

كان قد تم اختيار اثني عشر رجلًا، من بطون القبائل، على رأسهم شريف مكرمي كما أمرت، فلبثت فيهم شهورًا لقنتهم فيها أصول دعوتي، والتي كانت أهم دعائمها هي أن على شيعة آل البيت عليهم السلام التوحد في الكلمة والتنظيم.

كما رسخت فيهم المبدأ الرئيس وهو نبذ خلافنا في تعيين الإمام المنتظر هل هو فلان أو فلان، وإرجاء مبايعته لحين ظهوره الشريف والدعوة إلى نفسه، وأرسلت دعاتي إلى بهرة الهند وزيدية اليمن ودروز –موحدي– لبنان، ونصيرية سوريا(علويين)، وغيرهم في العراق وأفغانستان وباكستان ودول آسيا الوسطى المسماة بالاتحاد السوفيتي سابقًا.

من جهة أخرى، فقد راسلت السلطات في إيران طالبًا المقابلة، فلبثت يسيرًا حتى جاءني الرد بالموافقة وتحديد موعد في لندن على ضفة البحيرة في منتزه حديقة هايد بارك الشهيرة.

أبقيت على المكرمي نائبًا عني على نجران، وسافرت بصحبة داوود بعدما أطلعت رشا بالمراسلة وأخذت منها أمرًا بمتابعة اللقاء، نزلنا في فندق إنتركونتيننتال لندن القريب من منتزه الهايد بارك، وهناك وفي الموعد أتاني ثلاثة رجال، وأمروني بالسير معهم، وحين

هم داوود بالسير معنا أخبروه أني فقط من سيحضر اللقاء، وأما داوود فسيمكث أحدهم معه حتى أعود إليه فامتثلت لهم.

وما إن ركبت سيارتهم، حتى أخرج أحدهما كيسًا حريريًّا أسود، قدمه لي كي ألبسه وهو يعتذر بأدب شديد، تعمدت النظر إلى ساعاتي قبل أن أضع الكيس، سارت السيارة بشكل بطيء في البداية، بعدها زادت السرعة، فعرفت أننا خرجنا من زحام لندن، بعد مدة شممت رائحة البحر التي أميزها جيدًا، وقبل أن تتوقف السيارة بحوالي ١٥ دقيقة عادت السرعة للبطء ثانية، ولاحظت صوت مياه خفيف تحت الإطارات، ورائحة الفراولة حين أبطأ السائق من سرعته، فخمنت أننا في إحدى مناطق الريف الإنجليزي، وحين رُفع عني الكيس نظرت إلى ساعاتي كان قد مضى ١٢٢ دقيقة.

كان المكان عبارة عن كوخ خشبي كبير أشبه بالبيت المتنقل.

إذًا نحن سلكنا طريق A٢٣ جنوب لندن إلى مدينة برايتون (٨٠٫٨ ميلًا)، ثم تجاوزنها حين أبطأ السائق، فنكون الآن تحديدًا في منطقة seven sister country park. ولو صح تخميني، يكون هذا المكان الذي أجلس فيه عبارة عن كوخ متنقل مستأجر من الذي يستخدمه السائحون عادة في الريف الإنجليزي.

استقبلني رجلان ذوا لحى متوسطة، صافحاني بحرارة وجلست مقابلهم على المقاعد المصنعة من خيزران البامبو، وبادرَ أحدهما **بالكلام:** أنا عمراني من جهاز السافاك[١]، وهذا زميلي مرتضى من قوات الباسيج،[٢] وقد سمعنا بك خيرًا كثيرًا.

---

(١) الاسم القديم لجهاز الأمن القومي والاستخبارات الإيراني، لكنه يستعمل حتى الآن اختصارًا، ولكن بشكل غير رسمي.

(٢) الحرس الثوري.

قلت: ما أنا إلا موالٍ لآل البيت، لن يهدأ لي بال حتى أثأر من النواصب[١] قتلة مولاي أبا عبد الله عليه السلام[٢] وأرد عليهم كربلاء في نحورهم.

مرتضى: أحسنت أحسن الله إليك.

عمراني: عرفنا بنفسك أكثر أخي ولي، أعني نشأتك وحياتك الخاصة.

قلت: حياتي الخاصة ليس بها كثير يذكر، إلا أن أصولي من أشراف صعيد مصر، انتقل جدي إلى الإسكندرية، وأقام بمنطقة بحري، وكان أبي صغيرًا حين رحل جدي، لذا لا أعرف كثيرًا عن الصعيد. درست الصيدلة بمصر، وكنت منتسبًا بالسوربون أدرس عقائد الفرق، وهناك تعرفت بزوجتي الإسماعيلية.

أخرجت لهم أوراقي، فأخذا يتبادلان فحصها فيما بينهما، إلى أن قال **عمراني:** يبدو أن ما سمعناه عنك صحيحًا، ولا أخفيك أننا تحرينا عما قلت، ووجدناه صحيحًا حتى إننا التقينا بوالدك الحاج جابر الصياد في الإسكندرية.

قلت: للأسف هو على معتقد البكريين[٣]، في الظاهر ولكن الحقيقة أنه باطني المعتقد وهو جاهلٌ بكل ما سبق، على كل حال أنا أنتوي الاستقرار بمصر بعد حين ومن هناك أعمل على الدعوة لمذهب آل البيت بين المخالفين، لكن بعد أن أطمئن على توحيد كلمة الموالين أولًا.

---

(١) أهل السنة.

(٢) سيدنا الحسين رضي الله عنه.

(٣) نسبة إلى أبي بكر رضي الله عنه.

مرتضى: كلامك جيد وتعجبني حماستك.

عمراني: حسنًا، ماذا تريد منا؟

قلت: دعمكم، فأنا أرى أن ثمة تقاطعات كثيرة بيننا، ودمج مشروعاتنا ذات الأهداف المشتركة الكثيرة والفوارق العقدية التي لا تكاد تذكر.

بدا التركيز الشديد والاهتمام على ملامح عمراني وهو **يسألني:** تكلم أخي بتفاصيل أكثر.

قلت: أنتم تريدون كما يقال تصدير الثورة، وهذه غاية نبيلة وأنا مؤمن بها، كما لديكم التمثيل السياسي والدبلوماسي الرسمي، وهذا ما أفتقر إليه، لكني في نفس الوقت لدي منصب ديني ألا وهو نائب الإمام المهدي المنتظر، وهو ما يجعل ملايين الشيعة رهن إشارتي. ولهذا فنحن نحتاج أن يعتضد بعضنا البعض لصالح هذا المذهب.

ولكم عليَّ أن مكانتي هذه لن تتعارض مع مذهبكم المتمثل في ولاية الفقيه، وإنما بالعكس سوف أدعو لسماحة المرشد الأعلى، وأبايعه وأنضوي تحت لوائه وأطيع أمره.

عمراني: لكن أخي ولي إن إمامك غير إمامنا ومهدينا المنتظر؟

قلت: سيدي المبجل، هذا هو لب دعوتي وجوهر حجتي، لماذا نختلف نحن الموالين ونكفر بعضنا في أمرٍ ما زال منتظرًا؟ فلنتوحد اليوم ضد النواصب أعداء آل البيت، فإذا خرج سيدي ومولاي الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري –عجل الله فرجه الشريف– من سردابه في سامراء، فلكم عليّ العهد والميثاق والقسم بالعتبات المقدسة، أن أكون خادمه وداعية له، ليملأ الأرض قسطًا وعدلًا بعدما ملئت ظلمًا وجورًا، كما أني لم أكلفكم فلسًا واحدًا. فأنا كما

قال ربي سبحانه وتعالى في قرآنه **الكريم:** «إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب»

استحسن مرتضى كلامي جدًّا، وبدا متأثرًا وهو **يقول:** صدق الله العظيم.

أما عمراني فكان من الواضح توجسه، لكنه رسم بسمة ماكرة هو الآخر، ولم ينبس ببنت شفة، ولو تعليقًا على أي مما قلت، فقط صافحني **قائلًا:** سنلتقي قريبًا في طهران، انتظر اتصالًا منا.

أقلتني السيارة وعدت أدراجي للمنتزه، فوجدت داوود ضجرًا من ملازمة الرقيب له، وفي طريقنا إلى الفندق القريب، قصصت على داوود ما حدث، فاستبشر خيرًا، وبعدما تناولنا غداءنا اتصلنا بشركة الطيران، فلم نجد طيرانًا مباشرًا إلا بعد غد، فخطر لي زيارة لينا، قلت وأنا أنظر إلى وشمي دون أن **أشعر:** سأستقل القطار إلى باريس.

قطع داوود شرابه وسألني بدون **تقدمة:** لينا؟

لاحت واضحة معارضة داوود من خلال نبرته **فقلت:** ربما، لكني أراك تمانع، أين كلامك عن توءم الروح وأنها شعلة نار لا ينطفئ لهيبها!

داوود **بحسم:** ليس لدينا وقت لمثل هذه الأمور، فلننهي غداءنا ولنذهب إلى صديقي الماجد نتبضع بعض الهدايا من محلات أرودز لزينب ونائلة، ولا تنسى شيوخ العشائر تأليفًا لقلوبهم، الواجب أهم.

ولكن سرعان ما لانت ملامحه وهو **يقول:** يا روبي أنت تعلم يقينًا أنك أغلى من حياتي، وإني لم أسئ إليك، ولن أفعل، بني لقد ظننت أني أتممت مهمتي على خير وجه، وآن لي أن أنعم بالاسترخاء،

فلا تُضيرني فيك، واعلم أنه ليس كل ما تعتقده يسهل تطبيقه، فلا تصطدم بصخرة الواقع فتهشم رأسك.

لم أبالِ لعظته قيد أنملة، وإن لم أبد ذلك له مراعاة لتأثره **البالغ:** حسنًا يا عم داوود! اذهب أنت إلى الأرودز وسألحق بك.

بعد أن انصرف داوود حجزت على أول قطار متجه إلى باريس، وما هي إلا ثلاث ساعات حتى كنت في فندق الريتز، وحين لم أجد لينا هنالك كاد أن يذهب عقلي، فتصنعت الحيلة حتى أخذت عنوانها، ورقمها من زميلتها.

اتصلت مرارًا، ولكن كان هاتفها مغلقًا، فانتقيت باقة ورد بعناية، وذهبت إلى العنوان، وحين قدمت الأزهار لوالدة لينا التي استقبلتني، وقد غلب ظنها أني أحد زملاء العمل لطفلتها الوحيدة، على حد وصفها، قدمت لي القهوة بعيون الأم المكلومة، فسألتها عن لينا **أجابت:** لا تزال على حالها منذ الذي حدث، حبيسة غرفتها، تأبى الحديث أو لقاء المعارف والأصدقاء.

لم أشأ أن أبدي جهلي عما تتحدث عنه، وإنما **قلت:** هل تأذني لي بالدخول عليها لعلي أفلح في استنطاقها؟

أذنت لي الأم الثكلى على مضض، دخلت غرفتها ورأيت، ويا لهول ما رأيت! كانت لينا راقدة أشبه بزهرة ذابلة، أو مومياء محنطة، يجاورها رضيع يغط في نوم هادئ، غرقت في حيرتي، ماذا عساي أن أفعله! تأملت المولود النائم، فإذا هي طفلة، نعم طفلة، تشبهني جدًّا، نفس الشعر الأحمر الوهاج، والأنف الدقيقة المدببة مع العيون الزرقاء، أتُراها ابنتي! إذًا هي طفلتي، ولكن كيف، أيُعقل أن بسبب ما حدث في الحلم، إذًا هو لم يكن حلمًا، وإنما كان إسقاطًا نجميًّا

قذفني فيه داوود، ولكن لِمَ فعل؟ سأُجن! أتُراني حالمًا! ما الذي يحدث! شعرت برغبة عارمة في تقبيل الرضيعة، وكذلك فعلت، وليتني ما فعلت.

فتحت لينا عينيها ببطء، فلما أبصرتني اتسعتا، وفي فزع غاضب **قالت:** أنت! ماذا أتى بك، ألا يكفيك ما صنعت! أيها الساحر الدنيء، فليلعنك شيطانك الذي تعبده، لن أدعك تأخذ ابنتي معك إلى مصيرك المحتوم في الجحيم. ثم دخلت في نوبة صراخ هيستيري.

اقتحمت الأم غرفة وحيدتها فزعة، والتقطت الرضيعة الباكية، وهي ترجوني الخروج، هرولت خارجًا وعلى درج المبنى السكني بكيت للمرة الأولى في حياتي كلها، بكيت بحرارة وعرفت طعم الدموع التي لم أتذوقها قبل ذلك قط.

عدت إلى لندن كموجة تسونامي غاضبة، تأبى إلا أن تكتسح من يعارضها، وذلك ما قرأه داوود في وجهي حين دخلت عليه الكونتنتال، فبادرني **قائلًا:** حين أُذن لي في كشف الأسرار لك وكنا في طريقنا إلى موناكو، حسبتُ أنه الأنسب لك أن تشاهد الحقيقة بأم عينيك لا أن تسمعها مني فحسب.

فقمت بإرسالك عبر الأبعاد لترى كيف بدأ الخلق الأول، وإنسان ما قبل آدم، مرورًا بصراع قابيل وأخيه، وكيف حاول جدك ابن قابيل المصالحة بين أبيه وجده، وكل الأحداث التالية لتكون على بينة من الأمر.

ثم بدا لي حين رأيتك تعلقت بلينا أن أجعلها تشاركك الرحلة، وتستمتعا بالصحبة بعض الوقت، خاصة أني كنت على يقين أن عائلتك ستحول بينكما في عالمنا المادي، ولن تلتقيها ثانية، فدبرت لها حادثًا بسيطًا غير مؤذٍ لتغيب عن الوعي فأتمكن من إرسالها معك، ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان.

قلت: إذًا أنت كنت تعلم بأمر الحمل والولادة منذ البداية؟

تجنب داوود النظر **إليّ:** طفلتك هي حفيدتي أولًا وأخيرًا، ولن أتركها أبدًا.

أراد أن يعانقني لتهدئتي ولكني صرخت **فيه:** كنت تعلم ولم تخبرني؟

عانقني **بالقوة:** كان يجب ألا يعلم أحد بالأمر، حتى أنت!

اسمعني وأصغ إليّ جيدًا. إذا علمت عائلتك بوجود ابنتك، فسيقتلونها هي وأمها، فلا تتقمص لباس دون كيشوت وتحارب طواحين الهواء، ودعنا نُصرف الأمور بحكمة قرد ودهاء ثعلب.

أُسقط في يدي لمجرد سماعي كلمة القتل، فجزعت وزدتُ حيرة على حيرتي.

١١ سبتمبر

عدت إلى المركز في نجران مهمومًا، يثقلني حزني، وبذل داوود جهدًا مضاعفًا للتخفيف عني، وساندني كي لا تتأثر الدعوة، وقبل أقل من شهر كانت قد جاءت الدعوة لدخول طهران بواسطة زورق تابع للبحرية الإيرانية عبر الخليج الفارسي[١]، وهناك التقيت بعمراني ومرتضى مجددًا، وبعد تداول الأمور تم الاتفاق على **الآتي:**

توءمة بين برنامجي في توحيد الشيعة على اختلاف مشاربهم، مع البرنامج الحكومي في تصدير الثورة الإيرانية، على أن تكون القيادة الفعلية لعمراني وفيلقه المسلح المتفرع منه الكثير من الميليشيات على الأرض، على أن أكون أنا مسؤول الدعوة الأول خارج إيران بشرط التبعية للمرشد.

تركيز دعوتي في منطقة الهلال الخصيب، مع تلقي الدعم اللوجستي، والعسكري -إن لزم الأمر- من إيران.

وفي هذه النقطة تساءلت **قائلًا:** أنا أعلم أنكم تقومون مشكورين بالدعوة المكثفة في أفريقيا، وأنا أيضًا قد بدأت التبشير في آسيا، وبالفعل أرسلت دعاتي إلى هناك فما الرأي في توسعة البقعة الجغرافية المستهدفة للدعوة، أم ترون أن أكتفي بمنطقة الهلال الخصيب؟

---

(١) الخليج العربي.

وجدت منهما تجاوبًا على أن أكوّن من هناك خلايا نائمة تحت الطلب في المناطق المذكورة، ومستعدة إلى الانضمام لفيلق عمراني وقتما تشاء الإدارة الإيرانية، بشرط أن تكون دعوتي قاصرة على ذوي الأصول الشيعة، دون السُنة، إلا من أتى طواعية منهم وهذا بالفعل ما حدث.

وبعد مضي عام تقريبًا من الاتفاق مع الإيرانيين كان برنامجي يمضي بنجاح ضعف أضعاف ما توقعت، فتيقنت أن عائلتي المقدسة تساعدني بقوة خفية في التنفيذ عن بُعد، وأن أصابعها حولي في كل مكان، حتى صار لي دعاة سفراء للدعوة في البلدان التي أرسلتهم إليها.

أما عن حياتي الشخصية فكانت تسير على ما يرام مع زوجتي التي كانت أسعد المخلوقات على سطح البسيطة، حين رأت إخلاصي لها وعدم الانشغال بلينا، لكن فقط ما كان ينغصها إلا عدم حملها خلال العام رغم محاولاتها بكل السبل، حتى أسحار نائلة لم تجدِ نفعًا.

خلال تلك السنة، لم أستطع مغادرة نجران، لكني حاولت الاتصال عشرات المرات بلينا، لكني للأسف لم أفلح، كما أني علمت من الفندق أنها في إجازة طويلة، فكلفت داوود بالسفر إليها، وإمدادها بالمال بطريق غير مباشر، فعاد وطمأنني أنها بدأت تتعافى من صدمة عصبية شديدة، كانت قد ألمت بها، وأنها متعلقة جدًّا بالطفلة.

حتى كان ربيع ٢٠٠١، وفيه حدث أن أرسلت لي الأخت رشا بضرورة حضوري اجتماعًا مهمًّا جدًّا في أمريكا، وحددت لي عنوانًا وموعدًا يجب عليّ الذهاب فيه إلى ولاية فرجينيا، والانتظار هناك حتى صدور التعليمات أخرى لي.

كان المكان عبارة عن موتيل صغير نائٍ على طريق ولاية فرجينيا المؤدي إلى مقاطعة أرلينجتون، بتُّ ليلتي في الموتيل المحدد، وفي الرابعة فجرًا طرق بابي رجلان ضخمان يرتديان بزات مدنية موحدة، واصطحباني في سيارتهما الشيفروليه السوداء الضخمة إلى مبنى البنتاجون، ومن ثم إلى قاعة اجتماعات ضخمة.

فُتح لي الباب، وإذا بالأب كو على رأس طاولة اجتماعات مستطيلة، وعلى يمينه يجلس صف من كبار العسكريين الأمريكيين، وقليل من ذوي البزات الموحدة ذاتها.

ويجلس مقابلهم مجموعةme٦ بالإضافة لأخ لم أتبين من هو، قبلت يد الأب، وعانقت إخوتي فردًا فردا، وبعدها تم تقديمي للمجهول الذي تبين أنه أخي البلوشي القائم بأعمال يعقوب في الجهاد السني في آسيا.

بدأ الاجتماع بكلمة لذي البدلة العسكرية حول البدء في مسار جديد من الصراع المؤدي إلى الهيمنة الأمريكية على العالم، بعد أن انتهت من الخطر الأحمر[١] بتفكك الاتحاد السوفيتي بالحرب الباردة، وأنه أوان القضاء على الخطر الأخضر[٢] الذي ذروة سنامه الجهاد.

و لكن هذا يتطلب حدثًا مدويًّا يزلزل العالم ويؤرخ به، وكما قال الأمريكيان ذوا البدلات الأنيقة، أن لديهم ملفًا معدًّا سلفًا لهذا الأمر، ويتمثل في عمل إرهابي على غرار ما فعله الكي جي بي (KGB)[٣] عام ١٩٩٩، حين فجروا الشقق السكنية في أربع مدن

---

(١) المعسكر الشيوعي.

(٢) الإسلام السني.

(٣) المخابرات الروسية.

روسية، وأن هذا الحدث يجب أن يكون في قلب أمريكا، يسقط آلاف الضحايا، ويكون مبررًا لما سيطلق عليه حربًا على الإرهاب، و لكنه في الحقيقة هو مشروع لحربٍ صليبية صهيونية جديدة، تسعى لتفتيت المنطقة من خلال فوضى خلّاقة في مرحلة تالية، لتبقى دولة إسرائيل قوية وسط دويلات، و لينتقل إليها الملك المنتظر للحكم من أورشليم بدلًا من نيويورك، والذي يقع محل إقامته فيها للآن وتحديدًا جزيرة مانهاتن.

دارت مناقشات كثيرة وأسئلة أكثر، وأنا أُصْغي وأراقب في صمت، وبعد أن تم الاتفاق واختيار برجي التجارة في نيويورك مسرحًا للعملية، وتوريط المعسكر السني من خلال سفر يعقوب بصحبة البلوشي إلى أفغانستان، على أنه مهندس العملية وممولها، كونه مجاهدًا مخلصًا تابعًا للقاعدة في بلاد المغرب العربي، وهناك سوف يعرضان المشروع على أسامة بن لادن، والذي غالبًا سيوافق عليه نكاية في الأمريكان خصوصًا أنه لن يكلفه شيئًا وإنما العكس سيضيف إليه الكثير حال النجاح ونسبة العملية للقاعدة.

طلبت الكلمة من الأب كو فأذن لي **فقلت:** أراكم تتحدثون عن حرب ضد الإرهاب بينكم وبين المعسكر السني، وقد تجاهلتم الجانب الشيعي تمامًا، وهو قوة لا يستهان بها، وأنتم تعلمون أن أي شيعي متدين ولاؤه لإيران في المقام الأول، وليس لوطنه الذي يعيش فيه، فماذا لو في أتون الحرب وخضامها قررت إيران أن ترفع لواء تحرير القدس مثلًا، وتنفذ الشعارات التي طالما تغنت بها.

قال أحدهم من ذوي البدل **العسكرية:** ولِمَ يفعل الملالي ذلك؟

قلت: جميعًا يعلم محاولات إيران نزع البحرين من حكم السنة، وكيف نجحت في تحويل زيدية اليمن إلى اثني عشرية، ويشهد بذلك الكثير من مسلمي السنة الأفارقة الذين تشيعوا مؤخرًا.

فليس من المستبعد أن إيران في فوضى الحرب بينكم وبين السُنة تقرر ضم فلسطين إلى مشروعها في الهلال الخصيب، وحينئذٍ سيتضامن معها الشعوب السنية، التي تحلم بتحرير القدس، وإن تشيعت فلسطين كلها، وسيكون بديهيًّا أن أقصى متشيعًا خير من أقصى بيد اليهود الأنجاس.

ابتسمت وأنا **أقول:** أعني من وجهة نظرهم.

قال ذو البدلة المدنية، وهو مسن شديد **الوقار:** هل انتهيت؟

أومئت **برأسي:** أي نعم.

قال **بهدوء:** أولًا أشكرك لفرط حماسك، وثانيًا بُنَيّ هل تعتقد أننا لم نحسب دور إيران الإقليمي؟!

لم ينتظر مني جوابًا ولكنه **استرسل:** كل ما في الأمر أنك سمعت فقط الجزء الأول، أما الباقي فلو أنك تريثت لعلمت أنه كله لك.

قلت **بشغف:** كيف؟

قال **المسن:** بعد العملية مباشرة، سيكون منا بالطبع تهديد ووعيد بذهاب جيشنا إلى الشرق الأوسط، وسنعين دولًا بعينها أنها هي محور الشر، وعليه فإننا سنرفع شعار من ليس معنا فهو ضدنا.

عند هذه المرحلة ستبلغ شركاءك في طهران، بأنك بلغك بواسطة عملائك المزروعين في الأجهزة الأمريكية أن الأمريكان يفكرون جديًّا في ضرب المنشآت النووية في بوشهر ونطنز وأصفهان.. وأنك مستعد لفتح باب خلفي للتفاوض معهم للتحالف.

ولسوف نعطيك بعض الأسماء لتقدمها لهم، حتى إذا ما سألوك عن عملائك في واشنطن وتحروا عنهم كيفما شاءوا سيجدونك صادقًا في ادعائك، وحينها سنتفاوض معهم، وإذا ساعدونا في أفغانستان والعراق، فنحن على استعداد بغض الطرف عن مشروعهم النووي، بل وتسليمهم العراق على طبق من فضة.

اندهشت جدًّا من عرضه المغري **فقلت:** وهل فعلًا تنوون فعل هذا؟

قال **بجدية:** نعم! ولكن لأجل مسمى.

قلت: كيف؟

قال: حين نتحالف مع الشيعة ونسلمهم العراق، سيأتي أخوك يعقوب من أفغانستان إلى العراق، ويعلن الجهاد ضدنا، وينشئ دولة إسلامية سنية داخل العراق، وحين نخرج نحن من العراق نتركهم يتناحرون فيما بينهم سنة وشيعة بلا منتصر ولا مهزوم.

أنهى حديثه لي وأشاح بوجهه عني بلا اكتراث، وكأنني لم أكن مصغيًا له أو يحدثني، ثم انتصب قائمًا، فوقف من كان على يمينه ويساره من الأمريكان، ثم قال بلهجة **الآمر:** الآن، كلٌ منكم قد علم مهامه وتكاليفه، يجب أن تتم الضربة الأولى يوم ١١ سبتمر على وجه التحديد.

كان من الواضح أنه ينهي الاجتماع، فنهضنا جميعًا لمصافحتهم، إلا الأب كو ظل جالسًا، وذهب إليه الوقور المسن فقَبل يد الأب كو، فقَبل فريقه يد الأب بالمثل قبل انصرافهم.

بعدها انفرد بنا الأب فاطمأن على أحوالنا الشخصية فردًا فردًا، وقص علينا مقتطفات من سير عمل باقي المجموعات، وأن الجميع يعمل بجد واجتهاد، وكان مما ذكره أنه تم التخلص من الأخ ذكري مسؤول مجموعة الهند لأسباب تعلق بالوفاء المطلق.

وفي الأخير أكد علينا أهمية تلك عملية، وأنها لا تحتمل أدنى خطأ، وبعد ساعة أخبرنا أن نخرج فرادى وكنت أول الخارجين.

مفاجأة غير سعيدة

عدت إلى مركزي في نجران على متن طائرة دبلوماسية أمريكية، وقبل هبوطي اتصلت بداوود ليقلني بالسيارة إلى البيت.

وعندما جاء لم يكن على حالته المرحة التي عاهدتها عليه، سألته عما به، فأجاب وليته ما أجاب إذ ألقي قطعة صوان في **وجهي:** إن لينا في بيتك مع زينب.

صحت فيه **بلهجتي:** نعم يا خويا؟ وعرفت سكتنا إزاي؟

قال على استحياء **بالآرامية:** تتبعت عنوان فرع البنك الذي كنت أقوم منه بتحويل النقود لها شهريًّا، مثلما طلبت مني، ولكنها تبرر مجيئها أنها تريد فقط حق إثبات النسب للبنت، حتى إذا ما سألتها يومًا عمن يكون أبوها.

نظرت إليه مغضبًا وتجرأت **عليه:** فالح، خربتها وقعدت على تلها! صمت داوود ولم يعقب.

دخلت البيت مغضبًا، فاستقبلتني نائلة والسيجارة عالقة بين شفتيها كعادتها دائمًا، وقبل أن أسأل قالت بشماتة اهتزت لها **سيجارتها:** هُم بالأعلى!

قالتها ولم تتحرك من مكانها ككلب شرس يرابط عند باب بيت، من على الدرج سمعت صوت لينا ترجو زينب أن تدع الطفلة

لها وهي تجهش باكية، وما أن رأتني لينا حتى تشبثت بي مستغيثة من زينب التي تكاد تعتصر البنت في أحضانها رافضة ردها إلى لينا.

كان جليًّا أن زينب ليست في حالتها **الطبيعية:** تعالَ يا حبيبي انظر إلى ابنتنا هدية السماء! انظر كم هي جميلة! كم تشبهك بهذا الشعر الأحمر الجميل! شعر أمنا ليليث! نعم إنها تشبهك لأني أحبك أكثر مما تحبني! لكني لا أكترث الآن المهم أن لي طفلة هي جزء منك.

كان الموقف المأزوم يستدعي من الحكمة **الكثير:** حبيبتي بل أنا المتيم بحبك، فلا تتهميني بأنك الأكثر حبًّا، ولكن الآن صار لي منافسة صغيرة على قلبك العاشق.

ابتسمت زينب طربًا لِمَا تسمع **فتشجعتُ:** حبيبتي ناولي ابنتنا لأمها كي ترضع الصغيرة، ألا تسمعي بكاءها! حبيبتي أنها تتضور جوعًا!

قالت: لا أنا أمها، أنا من سترضعها.

وحين ألقمت الرضيعة ثديها وجدته جافًّا فعاودت البكاء، فبدت ملامح انزعاج غاضب على قسمات وجه زينب، فبادرتُها قبل أن تعود إلى غضبها **مجددًا:** حبيبتي نحن ملائكة، والملائكة لا تقوم بمثل هذه أشياء، نحن لا ننجب ولا نُرضع، أليس هذا صحيحًا؟

أومأت برأسها موافقة وذرفت دمعات، دلالة على رغبتها في إرغام نفسها على تصديق مقالتي، مددتُ يدي بهدوء وخلصتُ الرضيعة من براثن زينب، ولكن بمجرد ما أن ناولتها للينا حتى انتفضت زينب من فراشها مجددًا وهي صارخة تريد انتزاع الطفلة من لينا التي صرخت بدورها، فصرخت فيهم أنا أيضًا.

يا إلهي! كم كان المشهد هيستيريًّا بشكل جنوني بلغ الوصف.

صعد داوود ونائلة الدرج يهرولان، وضربت الأخيرة لينا على رأسها بقوة حين شاهدت زينب شاعثة الشعر منتفخة الأعين ثائرة تهذي بكلام مبهم، لم تبالِ نائلة لسقوط لينا على أرضية الغرفة الصلبة بدون حراك ورأسها تنزف بغزارة، ومرت لحظات صُمتُ فيها عن التنفس حين انكفأ داوود يسبر الحياة في جسد لينا، وأفطرتُ على شهيق عميق حين أخبرني بتشبثها بالحياة، وهو يضمد جرحها بغترته البيضاء.

ثم اعتدل قائمًا وجذبني خارجًا قائلًا **لنائلة:** الحقي بنا لنتحدث بالأسفل.

بالفعل جلس ثلاثتنا وكان داوود أول **المتحاورين:** والآن يجب إصلاح كل هذا العبث! صحيح؟

لعنته سرًّا، فحتى في موقف كهذا تصيغ كلامك على شكل سؤال، ما أخبثك! أفكنت شيطاني أو الأخرى كما تدعي.

قلت: يجب أن ترحل ال...!

قاطعتني نائلة بجزم **مُغضب:** لن يرحل أحد، ولن تخرج تلك الشقراء على قدميها ما دمت أنا على قدمي.

هتف فينا **داوود:** كفى كفى! ليس هكذا تحل هكذا أمور، دعونا الآن نتسم بشيء من العقلانية، لهذا سأقرر أنا، وعليكم أن ترتضيا ما سأقول، واعلما أن هذه المعضلة لو بلغت مسامع الآباء، فإني سأتأذى كوني من تسببت فيها من البداية وأعتقد أن كلاكما لا يرتضي لي أي أذى.

بانفعال قالت **نائلة:** اختصر حديثك، واقض ما أنت قاض.

بدوري انتصبت **قائمًا:** لن أسمح لأحد بقتلها.

مجددًا صاحت نائلة وقد انتفخت غضبًا، واستطالت بشكل مفزع وتحول لونها **للأحمر:** أتتحداني أيها الأدمي!!

قام داوود من مجلسه ووقف بيننا وأشار بيده **لزوجه:** شششش!

ثم التفت **إليَّ:** اجلس بني! اجلس لن يُقتل أحد.

لم يتح الفرصة لنائلة لتعقب على جملته الأخيرة فقال **مباشرة:** الحل الوحيد الذي يرضي كل الأطراف، هو أن ندع الطفلة لزينب إرضاءً لها ولنائلة، وتنشأ في كنف هذا البيت. ولكن بقاء أمها سيشكل تهديدًا مستمرًا لنا جميعًا، لمعرفتها بنا وبما أنك ترفض فكرة القتل –وأنا أعذرك في هذا– فلا بديل أمامنا إلا أن نُفقد لينا ذاكرتها بطريقتي الخاصة، وأعتقد أن ذلك أخف ضررًا من القتل، بل وفيه شفقة بها كونها ستنسى تجربتها المريرة معنا، وحملها في طفلتها بتلك الطريقة الشاذة، وكأنك لم تظهر من الأصل في حياتها.

نظر داوود إليّ بحنان **أب:** أظنك يا بني تتفق معي في هذا.

كنت في حيرة من أمري، فقط فكرت من زاوية أخف الضررين، لذا فحين قال **داوود:** دعني أصلح ما أفسدتُه حين أرسلتها إليك في حلمك التعس. دفنت رأسي بين كفي بعد أن أومأت بالموافقة على كلامه.

صعد داوود بصحبة نائلة، وأخذا لينا إلى غرفة أخرى ليخيطا جرح رأسها، وغلبتني دمعات حين سمعت نائلة تقول إنها يجب أن تقوم بحلاقة شعر لينا الغزير، ثم أغلقا الباب خلفهما بإحكام بعد أن طلبا مني مغادرة البيت، ليزاولا عملهما بهدوء.

مرت سويعات جلست فيها بالسيارة، بعدها خرجت لينا بصحبتهما وهي ترتدي نقابًا لا يُظهر إلا عينين زائغتين تتلفت يُمنة ويسرة، حتى إنها حين رأتني لم تبالِ بل أجزم بأنها لم تعرفني حقًّا.

وسارت برفقة نائلة حتى سياج البيت، وهناك كلمتها نائلة بكلمات قبل أن تخرج لينا هائمة وحيدة.

وأبصرتها تخطو خطى حائرة بالخارج، فسألتُ داوود عن وجهتها، فأخبرني بأنها ستذهب إلى سفارة بلادها، وتخبرهم بأنها تعرضت لحادث فقدت على أثره أوراقها.

لم أستسغ كلامه، لكني لم أملك خيارًا من أمري.

المجنونة

صارت الليالي كئيبة مريرة بطعم حنظلٍ جاف أُلقي في شمس ظهيرة ببيداء حتى تعفن، والأيام من بعد ما حدث للينا كانت في ثِقل جبال ثلج صُنعت من رماد فحم، استحال بعدها الأبيض الأزهر إلى أسود بهيم، كنت كمجسد آلي دؤوب مبرمج، بلا كلل ولا إحساس، وتقريبًا بلا مأكل أو مشرب، وإن حدث وتذوقت من ذلك شيئًا شعرت بلهيب يحترق معه ما تبقى لدي من ضمير.

الغريب في الأمر كان هو مساندة زينب لي ودعمها المستمر بكل ما أُتيت من قوة لأتجاوز أزمتي، ونحيا بعدئذٍ زوجين تجمعنا طفلة ينتظرها مستقبل باهر.

ولَكم حاولت الاتصال بهاتف لينا فقط لأستقصي عنها خبرًا، ولكن هذا أيضًا فشلت فيه، فقط الجانب المضيء في كل ذلك تمثل في طفلتي التي لم تألُ زينب ونائلة جهدًا في رعايتها على أحسن وجه. أسميتها واحة، لتذكرني دومًا أنها ظلي الظليل في رمضاء فيافي الحياة.

حتى جاء اليوم المنتظر يوم ١١ سبتمبر، وحدث ما أعدننا له بدقة، وكُلل جهد الأسرة بنجاح منقطع النظير.

وبالطبع كنا قد أنذرنا أولياءنا من اليهود بتجنب المباني بوقت كافٍ، وبينما كان الرئيس الأمريكي بوش الابن يتوعد بحرب صليبية جديدة، إذ جاءتني التعليمات من رشا بتركيز الخطاب في العلن على

كراهية أهل السنة مُبغضي الحياة، وفي نفس الوقت التهديد والوعيد لأمريكا إذا سولت لها نفسها بمحاولة وضع قدم لها في إيران، بعد أن أطلقوا على إيران محور الشر[1].

كما جاءتني أوامر من الأب كو مباشرة بالعمل سرًّا على تجييش جحافل من الشباب الشيعي وإرسالهم إلى أفغانستان بعد التسليح والتدريب الجيد، ليس لمقاومة الغزو الأمريكي، وإنما العكس، وتحديدًا على الأرض.

وكانت الخطة هي أن يقوم الطيران الغازي بالقصف الشديد، ودك كل ما يمكن دكه، وحين يهدأ، يخرج أنصاري الذي جمعتهم من ربوع آسيا وخصوصًا الهند وشيعة باكستان من حصونهم، والعمل على القضاء على جيوب المقاومة الأفغانية بكل ما أوتينا من قوة، والاستيلاء على السلاح الأمريكي المتطور، والذي كانت أمريكا قد أمدت به مقاتلي القاعدة قديمًا إبان حربهم مع السوفييت.

وبالفعل نجحت الميليشيات الشيعية وأدت مهامها بامتياز، ولم يبقَ من المقاومة السنة إلا قلة فرت مع زعيمها (بن لادن) إلى جبال تورا بورا المنيعة، وفيما عدا الجبال فقد تمكن الأمريكان من السيطرة عليه بشكل كامل.

وعندئذٍ طلب مني الإيرانيون الذهاب إلى الأمريكان وطلب حصتهم والمكافاة على العون الذي لولاه ما تمكنوا من أن يخطو خطوة على أرض أفغانستان، وهنا طلبت من رشا مقابلة الأب كو بعدما أطلعتها على الأمر، وحين التقيت به طلب مني إطلاع طهران

---

(١) فقط في العلن للتمويه.

بأنه ليس من الممكن أن يحكم الشيعة كابول في ظل الظرف الراهن، **وأنهم:** أي الأمريكان ينتوون تقديم الشخصيات السنية بشرط أن يكونوا مؤمنين بالعلمانية كأيدلوجية يجب تطبيق مبادئها على أرض الواقع، خصوصًا فيما يتعلق بفصل الدين عن الدولة، فلا يحكم على الأرض إلا سني ليس له أي صلة بالدين من قريب أو بعيد.

وإنَّ على طهران الانتظار حتى الخطوة التالية المتمثلة في غزو العراق، وأنهم إذا قاموا بما يناط بهم بنفس الأداء الممتاز في المعاونة كما فعلوا في أفغانستان، فإنهم سيهنئون بالحكم المطلق للعراق، وعلاوة على ذلك تقديم رأس صدام حسين نفسه ليُضحى بها.

سال لعاب الإيرانيون حين ذكرت لهم اسم صدام وحكم العراق، فاتبعوني كالعميان، وحدث ذات يوم من أيام ربيع ٢٠٠٣، حين كانت تدوي طبول الحرب، وفي خضم غزو الأمريكان للعراق، كنت أنا أرغي وأزبد في المسجد لأتباعي عن أحداث ١١ من سبتمبر، وكيف أنها موافقة لعلم الأعداد، تاركًا كل تلك الأحداث الأجسام، وهذا لأن التعليمات كانت بالتزام الصمت والحيادية.

وحين كنتُ أُسأل عما تفعله أمريكا بصدام، كان الجواب المُعلب **جاهزًا:** اللهم اضرب الظالمين بالظالمين، وأخرجنا من بينهم سالمين.

وعملًا بتلك السياسة، أهملت ذكر ما يجري على بُعد بعض الكيلو مترات من قتل في المسلمين في العراق، وعلاوة على ذلك كنت أحدث الناس عن علم الأعداد وعلاقتها بالأحداث، ليزدادوا غفلة إلى غفلتهم، وحدث ذات يوم أن كنت أحدث الأتباع بما لا يزيدهم إلا جهلًا **قائلًا:** نعلم أن المركز الذي دمر يوم ١١ سبتمبر

٢٠٠١ يقع في نيويورك في شارع جرف هار، وهذا الاسم ذكر في القرآن الكريم في سورة التوبة. لذلك تأملوا معي إخواني الكرام.. قال **تعالى:** "أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين"

(١٠٨ – ١٠٩) سورة التوبة.

تقع هذه الآية في الجزء (١١)، وهو يوم الانهيار ورقم السورة (٩) وهو الشهر الذي وقع فيه الانهيار، وعدد كلمات السورة (٢٠٠١) وهي السنة التي وقع فيها الحادث، ورقم الآية (١٠٨ – ١٠٩) وهما رقما البرجين. ألا يدل كل ذلك على أن غضب الجبار أتى بالنصر على أيدي جند الله من الملائكة، حتى وإن سَخّر لها النواصب كأسباب للنصر ليس إلا، وليس تكريمًا لهم، فإن الملك ليؤدب العُصاة بعصاتِه، فهل في ذاك تكريم أو فضل للعصا على العُصاة!!!

قال **سبحانه:** "سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ»[**فصلت:٥٣**]

سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.

ظللت أهرف بما لا أعرف عن فضائل الأعداد، وأنها هي التي استقى منها الفلاسفة الحكمة، والزهاد الدين، والمتأملون ربهم.

كنت أحدثهم عن الأعداد وعلاقتها بالأحداث، وفي مخيلتي يوم أن رأيت لينا للمرة الأولى، وكيف حدثني داوود أن مصيري وخلاصي مقيد بها بواسطة الأعداد، وكيف أنه ربط بين اسمي واسمها وتاريخيّ ميلادنا وحدثني عن عائلتها يهودية الأصل.

وأنها –وفق علم الأعداد– توءم روحي، ونصفي الآخر الذي قلما يتقابل مع نصفه في الحياة الدنيا.

أين ذلك كله من داوود حين كان يمحو ذاكرتها! أتُراها هي أيضًا قدرها أن تحبني مثلما عشقتها أنا، من غير أدنى معرفة سابقة أو حتى لقاء عابر!

ولِمَ لا إذا كان دين داوود الغامض يُنبئ بهذا، إذًا فهو حتمي الحدوث؟!

نعم أراها قد هوتني كما هويتها، ألم يبدُ عليها السرور الحقيقي حين التقيتها في مقهى أنجلينا! حتى وإن كانت ضجرة بسبب الحلم فهذا إحساس طبيعي.

أما الدلال والتمنع الأنثوي المعهود الذي يأبى أن يعلن حبه بسهولة فهذا هو الذي تيقنت منه آنذاك.

هكذا لاطمتني أمواج بحر هادر من التفكر، وعصفت بي رياح مشاعر مختلفة ومتناقضة، فصمتُّ وظن الجالسون أني دخلت في حالة من الوجد والكشف ولربما الوحي.

فعم الصمت أرجاء المسجد، وإذا بشبح لامرأة شبه عارية تدخل علينا المسجد.

صاح بعض **الرجال:** لا حول ولا قوة إلا بالله، وانتفض البعض كي يستر جسدها، قمت أتبين الأمر ولحق بي داوود، كانت مجرد عظام ومفاصل يكسوها جلد بلا لحم أو شحم، قصيرة الشعر كالرجال، عيناها.. ث.. ث.. ثكلتني أمي، إنها لينا نعم هي! لينا!

عيون لينا التي لا أخطئها ما حييت، حبتا البسلة خاصتي، وإن كانت ذابلة، لا بل جافة يابسة تكاد تتشقق من التجربة والضياع.

سعيت لها وعرفتني هي، قالت بفرنسية واهنة لم يفهمها من الموجودين سواي أنا وداوود، وبمنتهي **الوهن:** لقد اغتصبوني! ضربوني! كادوا يقتلوني.

صاح **أحدهم:** إنها مجنونة غابة سقام[1].

جذب القائل أنظار الحاضرين، **فاسترسل:** نعم هي المجنونة التي تعيش في الغابة، لقد اعتادت أسرتي أن تمدها بالطعام كلما ذهبنا إلى الجنوب، كما يفعل الكثير من الأسر معها لتقتات، نعم هي مجنونة ولكنها مسالمة جدًّا وتهذي دومًا بكلمات غير مفهومة.

هتف **آخر:** فلنتصل بالشرطة.

قال داوود بلغة **الآمر:** لاا، علينا أن نلتزم الصمت حتى يقرر سماحته. يقصدني بحديثه.

ثم ما لبث إلا يسيرًا كي لا يدع لي مجالًا للتفكير.

وقال: الرأي أن نذهب بها إلى بيت سماحتك، ولتقم الحاجة زوجتك برقيتها المباركة أنتم آل البيت، وإن شاء الله بفضل بركتك وبركة الحاجة، يعود إلى المسكينة عقلها.

استحسن الحضور كلام داوود، فحملوها إلى السيارة حملًا، وهي مغشي عليها، كنت أفكر بعمق فيما يمكن عمله لهذه الرقيقة التي كنت سببًا بلا إرادة مني في كل المعاناة تلك بدون ذنب جنته.

وفي السيارة لاحظت أن داوود يقود في طريق مغاير لطريق بيتي، فخشيت أنه يضمر لها شرًّا، وكعادتي حين انفرد بداوود

---

(١) متنزه واسع تبلغ مساحته أربعة ملايين متر مربع.

أتحدث بلهجتي العربية، وبحنق غاضب كونه المسؤول عما جرى ويجري الآن للينا صرخت **فيه:** أنت رايح في أنهي داهية!

قال بوقاحة لم أعتد على مثلها **منه:** نقطنا بسكاتك وما تفتحش بقك!

استفزتني جملته جدًّا، ولأنه كان يسلك الطريق المُخرج من المدينة ناحية منطقة الرحى، ازدت توترًا فصرخت **فيه:** وقف العربية وكلمني.

وحين لم يعرني أدنى اهتمام، اشتد غضبي فأخذت بمقود السيارة وأنا **أصرخ:** قلتلك وقف العربية!

فما كان من داوود إلا أن عاند وضغط على دواسة البنزين، فترنحت السيارة وخرجت عن الطريق الممهد وشقت سبيلها في الصحراء، ونحن نتصارع على المقود حتى اصطدمنا بأحد الكثبان الرملية ودارت السيارة حول نفسها مرتين قبل أن تستقر على الرمال.

كنت أشعر بدوار شديد، ومع ذلك، حين رأيت داوود يُخرج من السيارة مجرفة ليحفر قبرًا للينا يريد دفنها على قيد الحياة، هرعت إليه، كي أخلصها من براثنه، وهجمت عليه أصارعه، فبادرني بالمجرفة على رأسي بقوة لا تناسب مظهره الهَرِم، فبلغ بي الدوار مبلغه وسال مني الدم.

ولما تيقنت أني لن أقوى على المقاومة سرت خطوات مترنحًا، وألقيت بنفسي على لينا الراقدة على رمل الصحراء، وألصقت جسدي بجسدها ليلاقي جسدينا نفس المصير.

وكنت أهمس لها في أذنها طالبًا منها أن تسامحني، وأمسح عن وجها الملائكي التراب لعلنا نلتقي سويًّا في مكان أفضل غير دنياهم هذه البائسة.

ظل داوود يحفر ويهذي إلى **بكلمات:** أتدري أين أنت؟ أنت في أرض مقدسة، أرض أصحاب الأخدود، أترى تلك العظام المتناثرة؟ هذه عظامهم حين قتلهم ذو نواس ملك يهود حِمير المتوج يوسف بن شرحبيل.

اليوم سأفعل بها ما فعله ملك اليهود ذو نواس بمن تنصر من أصحاب الأخدود. سأجعلك تنظر إليها كما كانت أم الرضيع تنظر إلى أولادها وهم يُقذَفون في الأخدود واحدًا تلو الآخر أمام أعينها.

هكذا ظل يحفر ويذكرني بالحادث المذكور في القرآن، والذي جرى لسوء حظي في هذا المكان لأزداد حزنًا على لينا.

ولما رأيته أنهى حفر الأخدود، وأشعل فيه النار، رجوته الرحمة فلم يلِنْ، وإنما توجه نحونا، فتشبثتُ بجسد المسكينة الضئيل بما بقي لدي من قوة، وقاومتُ تسليمها للشيطان القاتل.

أخذ داوود يركلني بشدة، وهو يجذب لينا بيده القوية، توسلت له كثيرًا أن يقبرني معها وازدت بها تشبثًا، لكنه ركلني في رأسي ركلة قوية فقدت معها الوعي.

حين رُد عليّ وعي سمعت صوت يناديني باسمي **اليهودي:** رأوبين! رأوبين!

بعيون متثاقلة قاومت الوهن وقلبتُ بصري في أرجاء المكان فوجدتني في غرفة نومي، ويجلس على طرف سريري الأب كو، وداوود قائمًا خلفه ممسكا بيده كأسًا من العصير الطازج.

وهنا أشار الأب كو لداوود فقدم لي العصير.

كان الأب هادئًا حد البرود، وهو يأمرني بالاعتدال والشرب من **الكأس:** انهض لا وقت لدينا للترّاهات، علينا السفر بأقصى سرعة ممكنة إلى إيران، هيا انهض لتطلب الإذن منهم بالدخول عبر الخليج.

تحشرج الصوت في حلقي **فتنحنحت:** ما.. ماذا حدث؟

الحق إني كنت أتساءل عن لينا، لكنه أجاب عن الحرب **الدائرة:** الجيش العراقي يقاوم ببسالة في مدن الجنوب، البحرية البريطانية كادت أن تُفنَى في منطقة أم قصر والأمريكان يتساقطون في الناصرية كالجرذان، لو صارت المعارك على هذا المنوال لن نتمكن من دخول بغداد أبدًا.

قلت: وماذا عن الطيران؟

قال: الطيران دك أكثر من اللازم في المناطق المدنية، وإذا تمادينا في القصف وسقوط مدنيين أكثر سيحدث المزيد من السخط الدولي علينا، خصوصًا أننا اضطررنا لاستعمال قنابل تزن تسعة أطنان غير القنابل الفسفورية الحارقة، وهذا ما أثار علينا التظاهرات المناوئة للغزو وجعلها تجتاح مدن وعواصم العالم أجمع.

هل تعلم أن الصحاف[1] أعلن أمس أن الأمريكان «ينتحرون الآن بالآلاف على أسوار بغداد».

قلت: وما الحل؟

قال: الحل يكمن في استسلام الجيش العراقي وعصيانه لصدام حسين.

قلت: هذا مستحيل! أنت تعلم كم يخشونه، ولا يخالفون له أمرًا مغبة عقابه.

قال **بغضب:** إياك أن تلفظ كلمة مستحيل ثانية أمامي، فقد جئتك بنفسي اليوم للذهاب سويًّا إلى إيران ونتدارك الأمر، وفي جعبتي خطة لتجنيد علقمي من الداخل.

شرد قليلًا قبل أن **يستطرد:** يبدو أن التاريخ يعيد ذاته بالفعل! فكما هو مسطر بكتب التاريخ أن بغداد التي كانت حاضرة العالم القديم لم تسقط إلا من الداخل، بفعل كبار الشيعة وعلى رأسهم ابن العلقمي الوزير، والشيخ نصير الدين الطوسي، وها نحن الآن نريد البحث عن ابن العلقمي جديد، لتجنيده بعد أن قمت أنت بدور المرجع الشيعي القديم نصير الدين الطوسي.

---

(١) محمد سعيد الصحاف وزير الإعلام العراقي إبان الغزو الأمريكي، والذي اشتهر بوصفهم بالعلوج.

هيا قم واغتسل سريعًا فثمة مشكلة يجب تسويتها قبل الذهاب[1].

بالطبع فهمت مغزى جملته، وأنه يعني مشكلة لينا، ولكن هذا لم يمنعني من السؤال كي أستزيد **يقينًا:** أي مشكلة؟

قال: كف عن الثرثرة وانهض لترتدي ثيابك، ثم الحق بي بالأسفل، فلا يزال لدي حديث معاك.

خرج الأب كو من غرفتي بعد أن أمر داوود بمساعدتي في ارتداء ملابسي، مرت لحظات تبادلت فيها صمت الأشجار مع داوود، وذهبت بعدها إلى خزانة ملابسي، ولكنه استوقفني **قائلًا:** اذهب أنت إلى الحمام، وسآتيك أنا بما يلزمك من ثياب.

وما هي إلا ثوانٍ حتى دخل عليَّ الحمام ثم أحكم غلق الباب من الداخل.

كنت عاريًا تمامًا ومع ذلك لم أشئ أن أستتر، وإنما وقفت أمامه متحديًا ككبشٍ يوشك أن يَدخُل نِزالًا في النطاح.

---

(١) ذكر ابن كثير والطبري وغيرهم من المؤرخين أن مؤيد الدين بن العلقمي، هو الوزير الشيعي الخائن الذي اتفق مع المرجع الشيعي نصير الدين الطوسي على مراسلة هولاكو قائد التتار، يغريهم بغزو بغداد بعد أن عمل على إضعاف وتقليل أعداد جيش الخلافة العباسية، وذكروا قصة خيانتهم للخليفة المعتصم آخر خلفاء بني العباس، حتى إن الطوسي أفتى بقتل الخليفة ركلًا بالأرجل، بعد أن وُضِع الخليفة في شوال حتى لا يراق دمه، ويكون لعنة على قاتله، نظرًا لأن الخليفة العباسي من آل البيت.

ولكن داوود لانت ملامحه فجأة وقال بصوت **مهموس:** روبي لن أقسم لك إلا بك، وأنت تعلم من أنا، وأني لا أضطر إلى قَسم، كما أني أعلم الخلق بك. ولتصدق قسمي.

يا ولدي، إنا منذ أن أهدتني إياك السماء، يعلم الخالق أني ما حركت ساكنًا ولا طرفتُ جفنًا إلا من أجلك ولأراك هنيئًا موفقًا.

أغمضت عيني وتجولت في باطن عقله، والمدهش أني وجدته صادقًا، قلت بمنتهى التأثر ومعاتبًا **إياه:** ولهذا طوعت لك نفسك محاولة قتلي! هُنت عليك يا عم داوود!!

قال: يا بني افهم! وحياتك عندي كان تمثيلًا في تمثيل، ولأجل مصلحتك أنت أولًا وأخيرًا، لأني كنت على يقين أنهم لن يدعوني أَمَسَّك أنت أو هي بسوء، فحاولت أن أبريء ساحتي لتتسنى لي فرصة مساعدتك، بأن تظاهرت أني أقتلها ولأني على يقين أننا مراقبان فلن يسمحوا لي بذلك.

جلست على حافة مغطس الحمام، محاولًا أن أعي ما **يقول:** تقصد إيه يا عم داوود؟

تردد كثيرًا قبل أن ينطق ليعطي نفسه برهة ينتقي فيها الألفاظ، فقلت بنفاد **صبر:** انطق يا عم داوود! مافيش وقت!

قالها بشكل مباشر دون **موارية:** لأنك أنت من يجب عليك قتل لينا بيديك قربانًا لهم لتستعيد ولاءك وانتماءك للعائلة المقدسة.

صرخت **فيه:** هل جننت؟

هنا ضغط على فمي بشدة حتى لا يتجاوز صوتي جُدر الحمام.

قال: يا بُني! هذا هو قانون المخالفة عند عائلتك، وقد صدر الحكم بالفعل، وهم بالأسفل ينتظرونك لتنفيذ الحكم قبل سفرك لإيران بصحبة الأب كو.

أنا: لعنك الخالق الواحد الأحد أيها الخَرف! كيف ورطت تعيسة الحظ في كل هذا؟ ألم يحدث أن أخبرتني أنك ستمحو ذاكرة المسكينة وكأن شيئًا لم يكن مما كان! ماذا حدث جعلها تعود إلينا ثانية؟ كيف وقد فقدت ذاكرتها؟

أطرق داوود **رأسه:** نائلة هي من تستحق أن تصب عليها عظائم لعناتك، وليس أنا.

- كيف؟
- الخبيثة لم تكتفِ بأن أسقتها إكسيرًا من شأنه أن يفقدها الذاكرة كما اتفقنا معها، ولكنها فوق ذلك أضافت آخر لتجعل الفتاة شاردة العقل فاقدة الحواس والأبعاد الزمكانية، كمن هو في حالة من السُكْر الشديد الذي لا ينفك عنه، فيظنها من يراها مجنونة، وذلك كيدًا منها لأجل ربيبتها زينب التي ظنت أنك خنت زواجك منها مع لينا إلى أن أنجبت منها. ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان، فحينما تعرضت لينا للاغتصاب في الغابة، حدث لها صدمة عصبية ونفسية قوية، على إثرها استردت الإدراك بالعالم من حولها.

ابتسمت ابتسام المُغضب وقلت **مستنكرًا:** والآن يجب أن أقتلها بلا ذنب جناه القاتل ولا جريرة للمقتولة، وإنما فقط لخطأ ارتكبته أنت وعشيقتك اللئيمة سليلة نسل عزازيل.

تجرع داوود سيل الإهانات في سكون، فعلمت أنه لا جدوى من التقريع، وأن الوقت وقت ما هو آت وليس ما كان قد مضى.

فقلت: وما السبيل إلى الخلاص؟

نكس داوود رأسه وأخذ يحركها ذات اليمين وذات الشمال في **أسى:** ليس هناك خيار إلا أن تستجيب لهم.

قلت متعجبًا **ونافيًا:** أأقتلها؟! وحركت رأسي كي أطرد أصل الفكرة **ابتداءً:** هذا ما لن يحدث أبدًا!

وتغيرت نبرة صوتي **للتحدي:** أقسم بالنور الأول، أني ولو سُلخت حيًّا ثم قُطعت إربًا إربًا ما صنعتُ بها ذلك.

رفع داوود رأسه وكانت منتكسة وحدَّ إليّ بصره فعرفت في قسماته الجدية، **قال:** بل ستفعل!

تفرست في وجهه مليًّا، ومعها شعرت بشيء من الفزع الذي قاومته لأجد القدرة على **قول:** وما يحملني على ذلك؟

لأنك إن لم تقتلها بيديك فستُقتل معها، وعندئذٍ تغدو كمن حارب طواحين الهواء، فلا نجوت أنت ولا هي نجت.

قلت بمزيد من **التحدي:** وإن كان ما تقول فلن أفعل.

لم يدعني أتم قولتي، وإذا به يلقى في ثقة ورقته الأخيرة الرابحة حين **قال:** وماذا عن واحة ابنتك؟! أي ذنب جناه ذلك الملاك والبُرعم المُزهر حتى تطمس روحها الطاهرة.

لم أحتج ذكاء أينشتاين حتى أستبين مغزى حديثه، إنه الآن يشير إلى قتل الرضيعة ولذلك استطرد في الحديث، ولكن بنبرة مشير **أمين:** اعلم يا بني أنهم يودون لو أنك أبيت قتل لينا، بمعنى آخر عليك أن تعلم أنك بعنادك هذا تسدي لهم معروفًا.

اختلجت الحروف في حلقي قبل **أقول:** ماذا تعني؟

قال: أعني أنك ستُعطي لهم مبررًا أمام جدك لقتلك من باب قطع الشك؛ حيث إنه بعنادك هذا ستؤكد على نفسك تهمة مخالفة الأوامر وكأنك تزوجت بها كما يدعون، وستكون حجتهم أنك أنجبت من خارج أسرتك نقية الدم، ودعني أذكرك بالأخ ذكري وكيف تخلصوا منه بدم بارد رغم أنه من المقربين لجدك ولكنهم وجدوا له الذريعة المناسبة حتى سمح لهم الجد بذلك.

قلت: لا أقصد نفسي، ولكن قصدت ابنتي، لِمَ سيقتلونها؟

قال: لعدة أسباب، أهمها أنها وسيلة ضغط عليك لتنفيذ الأمر، كما في قصة رضيعة أصحاب الأخدود حتى تمتثل لهم في قتل لينا فيتم لهم اليقين أنك لن تخالف الأوامر ثانية، ولن تكون لك حياتك الخاصة أبدًا.

ثانيًا لأنها من نسلك، وبالتالي ستمتلك روحًا نقية ذات قدرات خاصة، فيُخشي منها التمرد إن هي كبُرت وخرجت عن الطاعة، فأطفالنا كما تعلم ينتسبون بالأم لا بالأب، فسيقتلونها بدم بارد قربانًا للمسيا كي يخلص روحها الخالية من كارما السوء فتنجو من دوامة التناسخ.

شردتُ للحظات أفكر في مصيرٍ واحة، بينما تكلم فيها داوود بكلام كثير لم أتبين منه **إلا جملة:** إذًا لينا في كل الأحوال مقتولة.

سألته بصوت آتٍ من قَعر جُب كجُب **يوسف:** وماذا لو امتثلت، هل ستنجو الطفلة؟

قال: بالطبع! وأنا أضمن لك هذا، فأنت تعلم كيف أن زينب متمسكة بها، وأسرتكم حينئذٍ ستسمح أن تعيش في كنفك ابنة لك من زينب، وحينئذٍ يأمنون تمرد الطفلة مستقبلًا.

قطع الحديث صوت نائلة من خارج الحمام تبحث عن **داوود:** ديفي! أين أنت؟

فزعت حين سمعت صوت الشيطانة بالخارج، ناولني داوود منشفة كبيرة مسرعًا متعجلًا وهو يهمس **لي:** في كل الأحوال لينا ستقتل، سواء أكان بفعلك أم على أيديهم. ولدي أرجوك أنجُ بالصغيرة وبنفسك.. لأجلي وبحق محبتي لك استجب لما سُيملى عليك.

كررت نائلة نداءها له، فخرج لها وسمعتها **تحدثه:** بلِّغه أن الأب كو يستسرعه كي ينزل، فثمة أمر طارئ سيتم قبل سفرهما.

تظاهر داوود بالدهشة، وكأنه لا يعلم ما ينتظرني من حدث جلل، ثم دق على الباب وهو يحثني على الإسراع، بعدها رافق نائلة وهبطا الدرج حيث ينتظر الأب كو.

ارتديت جينزًا أزرق، وقميصًا أبيض قطنيًّا، ولم أنسَ كاب البيسبول ونظارتي الشمسية السوداء، استعدادًا للذهاب إلى طهران عبر الخليج العربي.

حين كنت أهبط الدرج نزولًا للطابق السفلى، رأيت الأب كو جالسًا على المقعد الهزاز وهو يستمع أوبرا الناي السحري لموتسارت ويدق الأرض بحذائه اللامع.

وفي أركان الغرفة أربعة رجال في ملابس سوداء، أو بالأحرى أربعة ثيران آدمية على شكل حرس شخصي للأب كو، والذي سألني دون أن ينظر **إليّ: لِمَ لم** تتصل بطهران حتى الآن؟

أخرجت هاتفي الثريا المتصل بالأقمار الصناعية، وهاتفتُ عمراني فأخبرني أن الزورق سيجهز في غضون ساعة.

وبنظرة واحدة من الأب كو استنطقت داوود **قائلًا:** السيارات ال GMC جاهزة.

بعدها خرجنا جميعًا كسرب من البطاريق الصامتة، وبينما كانت زينب تحمل الرضيعة النائمة، كانت لينا تستند إلى نائلة، وهي شبه مخدرة تترنح وتتمايل فتتكئ على نائلة.

قاد بنا داوود حتى بلغ جبل تصلال، وتحديدًا منطقة الأخدود الواقعة بين قريتي قابل والجربة، وهناك صعدنا إلى الجبل، وفي كل ذلك لم ينبس أحدنا ببنت شفة، اللهم إلا النظرات الناطقة بآلاف الكلمات.

ولما بلغنا القمة أخذ أحد الحرس بيد لينا كجلاد يوشك على أن ينفذ الحكم الذي كان قد صدر سلفًا، بينما حمل الآخر الرضيعة، كي يقذفها من الجبل إذا هو تلقى أمرًا بذاك، فنظرت الطفلة إليه وضحكت وكأنها تدعوه للهو معها.

وبينما أنا أتناول من ضحكة ابنتي بنهم، إذ قال الأب **كو:** إذًا ما هو قرارك؟ بمن نبدأ؟ أم عساك تُبرهن على بِرك بالعائلة بقتل من رأت وسمعت!

كنت أتنقل ببصري بين لينا وطفلتي واحة.

وبينما أنا أُقلب ناظري بين لينا وهي تترنح كالمنتشي، وواحة بضحكتها المبهجة، لم أقوَ على النطق.

فقال الأب **كو:** صمتك ينبؤني أنك تفكر بشأن الخيار الأصعب.

وما إن نطق الأب كو بكلمته حتى أخرج اثنان من الحرس سلاحيهما، ومع فرقعة سحب أجزاء المسدسات شخصت الأبصار انتظارًا لما سأقرره، فمددتُ يدي وجذبت لينا برفق من براثن الحارس الضخم وعانقتها طويلًا، وقبلتها بين عينيها بحرارة، فبادلتني العناق والتقبيل بلا وعي منها لما يجري، ولانت بين يدي كقطعة قماش بالية، وتماديت معها في القُبل وأنا أخطو بها رويدًا رويدًا حتى بلغت حافة الجبل، وهناك أغمضت عيني ودفعت بها نحو الهاوية.

صرخت لينا صرخة دوت في الأرجاء، فصرختُ لصراخها حتى فزعت الطفلة بين يدي الحارس وشرعت في البكاء إلى أن تلقفتها زينب في حنان أم حقيقي، تفحصتُ الوجوه فوجدت نائلة وقد عبس وجهها، وكأنها تمنت لو أنني لم أفعل ما فعلت لأكون أنا المقتول، لا القاتل.

وعلى النقيض سُر وجه زينب وداوود بنجاتي من الموت، وعانقتني زينب طويلًا ومن بين صدرينا الطفلة، فبدونا أمام الأب كو أسرة سعيدة.

بعدها رافقت الأب كو في إحدى السيارتين نحو الزورق المنتظر، وقد عاد الجميع إلى البيت.

وفي إيران، قدمت لهم الأب كو مبعوثًا رسميًّا للرئيس الأمريكي جورج بوش شخصيًّا وبالفعل اتصل أصحاب القرار في طهران

بواشنطن، وأتى لهم التأكيد على هوية كو وأنه أحد أهم مستشاري البيت الأبيض.

هكذا استغرقت المفاوضات يومًا كاملًا، والتي كنت خلالها تمثالًا صامتًا من الجرانيت حتى بلغنا الساعات المبكرة من صبيحة اليوم التالي.

وانتهى النقاش أخيرًا إلى الاتفاق على ترشيح اسم من مستشاري صدام، كان ولاؤه السري لإيران، على القيام بما قام به العلقمي قديمًا، وهذا العلقمي الجديد سيتولى دفع رشاوى طائلة لمساعدي صدام حسين الآخرين وأيضًا للقيادة في الجيش العراقي، وخصوصًا الشيعة منهم، وكل حسب رتبته من المال الأمريكي، مع وعود إيرانية قاطعة لهم بالحفاظ على مكانتهم، بل والترقية في المناصب المهمة، والحساسة فيما بعد، مقابل الاستسلام للغزو، وإلقاء السلاح، وتكون طهران هي الضامن لتلك الوعود.

وطبعًا صدرت الفتاوى من المراجع العليا الشيعية للتأكيد على القادة والجنود الشيعة أن استسلامهم هو واجب ديني مذهبي، ونصرة لآل البيت، وانتقام من الناصبي صدام حسين الذي طالما ناصبهم العداء.

ويتم تسليم حكم العراق بشكل كامل لنظام ولاية الفقيه، تحت حكم المرشد الأعلى الإيراني بعد الانتهاء من الغزو، بصورة غير معلنة على أن يكون بول بريمير[1] هو الواجهة المعلنة تحت مسمى رئيس الإدارة المدنية للإشراف على إعادة إعمار العراق.

---

(١) التابع الوفي لهنري كيسنجر رأس الأفعى.

هكذا مكثت في طهران خمسة أيام في غرفة عمليات حربية، كنا ندير القيادة الخائنة للجيش العراقي والميلشيات الشيعية التابعة لي، والتي تقاتل بجوار الغزاة.

كانت الضوضاء حولي لا ترحم وأخبار القتل والتدمير لا تتوقف، وبرغم كل هذا وبقدر ما رأيت من كم للخيانة وغدر للأمانة من الجند تجاه وطنهم وتسليمه للغزاة، إلا أنني كنت أرى نفسي أعظم جرمًا وخيانة منهم مجتمعين، حين قتلت أحب البشر **لقلبي:** لينا المسكينة، التي لا ذنب لها سوى أنها أحبتني بصدق، ووهبتني نفسها طواعية، بدافع هذا الحب.

لهذا كم وددت لو كنت خارج هذه الغرفة اللعينة لأدوي بصرخاتي المكظومة بداخلي.

ولكم سئمت سؤالات الرجال من حولي لطول **صمتي:** هل أنت على ما يرام؟

فكنت أجيب بإيماءة من رأسي وبسمة لا أعرف لها طعمًا، ولكن أغرب شعور انتابني هو حين استشف الأب كو ما أنا عليه من شرود **فسألني:** هل أنت نادم على قتلها؟

لا أعلم كيف أجبته بِثقة مطلقة صدقها وسُر **بها:** بالطبع لا، لست بنادم، ولو عادت الكَرة لقتلتها ثانية.

صديقي قارئ اعترافاتي المشؤومة، لا تحدثني وأنت جالسٌ مستريح بمنزلك وفي ركنك المفضل على أريكتك تتناول مشروبك الهانئ، أنه كان من الأشرف لي أن نُقتل جميعًا ثم نهنأ بالحياة الخالدة في العالم الآخر، لأنك إذا فعلت فسأذكرك أن معتقدنا أنه لا يوجد عالم آخر، وإنما جنتنا هي حين نرتقي ونتحد بالروح الأولى، أو كما

يسميه البعض منكم النيرفانا أو الاتحاد بالنور الأول، أما جحيمنا فهو تلك حياتكم الدنيا.

حاولت مرارًا أن أقنع نفسي أني ما صنعت الذي صنعت إلا من أجل مستقبل باهر للرضيعة واحة، وأن في صنيعي هذا راحة للينا مما تلاقيه، لكني لم أصل للسلام النفسي وازدت غمًّا على غم.

وأثناء صراعي الداخلي هذا، كانت الموازين قد انقلبت لصالح الأمريكان على أرض المعركة، وسقطت مدن الجنوب بالكامل، وانهزم الجيش العراقي في معركة المطار، التي كانت آخر جيوب المقاومة، وبات الغزاة على وشك إعلان النصر والسيطرة.

شيطان أم ملاك؟

وأخيرًا انفرط عقد العراق وتساقطت محافظاته واحدة تلو الأخرى، وحين غدا سقوط بغداد مجرد سويعات أمرني الأب كو بمغادرة طهران فورًا والعودة إلى نجران.

وهناك في البيت لم يأتِ أحد على ذكر واقعة لينا، وكأن شيئًا لم يكن، حتى إني وجدت من زينب مبالغة في زينتها وإعداد الطعام الدسم، كحالتها دائمًا عندما أعود من سفر.

ومع ذلك ظللت يومين لم أتذوق طعامًا، ولم أحدث أيًّا منهم ولو بتحية صباح أو مساء، ولم أخرج حتى للمسجد كي أرى الأتباع.

وبينما كنا نشاهد على قناة cnn حالة الفوضى والنهب التي تتم تحت أعين القوات المحتلة، في اليوم الثالث، إذ تنقل قناة الجزيرة مقاومة يائسة لحرب شوارع لمجموعة من رجال سُنة من غير العراقيين، بجانب الحرس الجمهوري المخلص لصدام حتى النهاية بأسلحة خفيفة، في أحياء الأعظمية والوزيرية وغرب حي المنصور.

كنا نشاهد التلفاز، وأنا تكاد تلتئم على جدران البيت من شدة الضيق من المنزل ومن فيه، كضمة القبر على العصاة.

أخذتُ أفكر مليًّا ماذا عساي أن أفعل حتى أغادرهم للأبد، وبلا عودة، وبدون أن تتبعني شياطينهم، إذ دق هاتف داوود الجوال

وتحدث قليلًا، ثم بعدها أخبر الأب كو بحالة وفاة عند إحدى العائلات الكبرى، مما يتحتم عليه وجودي لتقديم واجب العزاء.

أشار الأب كو إلينا أن نذهب.

ورغم ضجري لهذا الواجب المفاجئ، لكني وجدتها فرصة مناسبة للخروج من جو البيت الخانق، ولكن الذي حدث أن داوود أوقف السيارة بعد خروجنا بقليل ليخبرني أنه لا يوجد عزاء ولا غيره، وإنما هي مكيدة كادها ليتفرد بي في الحديث.

وكان أول ما **قاله:** هَون عليك فإن ساعات بؤسك قليلة.

لكنه وجدني غير مبالٍ بمواساته فاستطرد **للتأكيد:** أنا أعي ما أقول وقصدت المعنى الحرفي لكلماتي.

للمرة الثانية لم أُبال، فاستفزه عدم اكتراثي، فاستدار نحوي بعد أن ضرب مقود السيارة بكلتا **يديه:** انا أخبرك أنه بسقوط بغداد سينتهي كل شيء، فلا فائدة من جلد ذاتك بسياطٍ تؤلمني أنا أكثر مما تفعل بك.

وجدت هنا لذة عارمة في استفزازه ورغبت بالمزيد من ذلك **فقلت:** دعك من ذكر الآلام، أنت تعني بعد سقوط بغداد ستكون ثمة مهمة جديدة بتكليف مختلف.

لم أنجح في مسعاي بأن أُغضبه، وإنما تصنع الهدوء وأشعل سيجاره **الفاخر:** لا لم أعنِ ذلك من قريب أو بعيد.

قالها اللعين، ثم صمت وهو ينظر أمامه نحو اللا شيء، فوجدت نفسي أحترق فضولًا، أريد أن أسأله عما يعينه، وكلما مرت ثواني الصمت، زادت بداخلي ألسنة اللهب، فكنت أنا المُغضب وليس هو.

فصرختُ **فيه:** فلتقل ما تريد قوله أو استدر نحو البيت اللعين.

التفت صوبي مجددًا وأهداني نظرات ود **صادقة:** إنت كنتَ في اختبار ولاء، وقد نجحت فيه بتميز، ومن ثم ستجني جائزتك بعد الانتهاء من أمر الغزو، فلا تحزن.

تقريبا أُصبت بفقدان نطق فوري مصحوب بمحو للوعي؛ حيث إني حاولت النطق كي أسأله عما يعنيه، فاحتجت دقائق هي كالدهر حتى **قلت:** نعم نجحت بأن قتلت من أهوى، وأقنعتني أنت قبلُ أنها توءم روحي بعلومك الزائفة؟

قال بجدية **بالغة:** لينا هي أخت لك في العائلة المقدسة، ومُكلفة مثلك تمامًا، أعني أنها مجرد ممثلة لدورها، وقد أدت مهمتها في الإيقاع بك على أحسن وجه ممكن، وهذا هو اختبار الولاء الحقيقي بالنسبة لك، كما أنه كان هو التكليف بالنسبة لها أعني الدور الذي قامت به هي أيضًا على خير وجه وبامتياز جدير أن تنال عليه أوسكار أفضل ممثلة، وللعلم جمعيكم يمر باختبارات للولاء في صور شتى وأحداث لا متناهية، كل حسب موقعه وظروفه.

قلت: أتعني أنهم كانوا سيقتلونني حقًّا إن لم أقتلها رغم أنها مدسوسة عليّ؟

قال: بدون أدنى شك، ولهذا تسللت إليك في الحمام كي أُقنعك بالامتثال وتنفيذ ما يُطلب منك، فأنا كنت تحايلت من قبل حتى علمت بماهية اختبار الولاء الخاص بك، حبًّا لك وكرامة وكي أُنذرك في الوقت المناسب، ومن هنا علمت بما يحاك لك بواسطة لينا وأنها هي اختبار ولائك، ولو علموا مني ذلك لأباحوا دمي بداعي مساعدتك على تجاوز الاختبار الخاص بك.

لم أدرِ بماذا أجيبه، فأنا كنت على يقين من محبته لي، لكني لم أتصور يومًا أن قدري عنده يصل إلى حد المجازفة بنفسه لإنقاذ نفسي، ومع ذلك كله لم أشأ أن أتكلم عن علاقتي الخاصة بداوود، وإنما التأكد مما أسمعه بخصوص لينا.

قلت: إذًا هي لم تمت وكان الأمر كله تمثيلًا؟

هز رأسه بالإيجاب، وأضاف **بابتسامة:** نعم هو كذلك، كانت وسائل الوقاية موضوعة بعناية أسفل الجبل.

قلت: وماذا عن واحة؟

قال: ستكون لك أنت وزينب.

قلت: وأين لينا الآن؟

قال: هي أقرب ما تكون منك، ولكنك لن تراها حتى يؤذن لك في ذلك، أو اقتضت مصلحة ما تراها العائلة، وحينئذٍ سوف تُكشف لك الحقائق التي أُنبئك بها الآن. ولكن الأهم من ذلك كله هو أنه عليك أن تتقن تمثيل جهلك بالاختبار الذي مررت به، وتتناسى كل كلمة صرحتُ بها لك الآن.

قلت: ولكن لماذا تكشف لي حقيقة لينا الآن وأنها كانت اختبارًا قد تجاوزته بنجاح؟

ابتسم ابتسامة جميلة، وهو ينفث دخان السيجار **قائلًا:** يا لك من غبي! أعندك شك أنك أغلى الخلق في قلبي. وتحولت الابتسامة لضحكة وهو **يقول:** أيها الأبله، ألم تعلم كم هو مَقتي للأسئلة! وها أنا أجيبك سؤالًا تلو الآخر، هل تريد دليلًا على تميزك عندي أبلغ من هذا.

كان لا يزال يضحك حين باغته **بسؤالي:** الآن وبعدما عرفتُ كل ما فعلتَه لأجلي وبحق مكانتي عندك أخبرني الحق، وليكن هو سؤالي الأخير ومطلبي الذي لن تردني دونه خائبًا، أخبرني هل أنت ملاك حقًا أم شيطان؟

اتسعت ضحكة داوود جدًّا، حتى إنه أخذ يسعل من دخان السيجار، من شدة الضحك، وما قطع هستيريا الضحك التي انتابته إلا أن بلغ مسامعنا أصوات ضوضاء تأتي من المدينة في هيئة أبواق سيارات تدوي محتفلة، بل وطلقات نارية احتفالية، فكف عن الضحك وَمد يده سريعًا إلى مذياع السيارة، وإذا بالأخبار المحلية تعلن عن خبر سقوط بغداد.

عاد داوود إلى جديته في الحال وهو يحرك **السيارة:** يجب أن نعود للبيت فورًا.

وهناك وجدت الأب كو واقفًا أمام شاشة الـ cnn يصفق بوقار؛ حيث كانت نائلة وزينب يتعانقان فرحًا ويضحكان بعدما فتحت نائلة زجاجة شامبانيا.

شاركتُهم الاحتفال بالعناق والتصفيق المرح حتى حل دوري لتهنئة داوود وعناقه، فلما تقابلت وجنتينا همست في **أذنه:** ملاكي الحارس أنت أم شيطان؟

قهقه داوود كثيرًا وتعالت **ضحكاته:** لا أحب الأسئلة ولن أجيبك أبدًا!

ثم استمر في مواصلة ضحكه الصاخب، وتيقنت عندئذٍ أني لن أظفر منه بجواب، فزلت قدمي في بِركة من وحلٍ مسموم من الحيرة.

وماذا عليّ إن كان شيطانًا مريدًا، بعدما فعل ما فعل لأجلي، ولربما لينا هي ذاتها شيطانة من جنس داوود، نعم هو شيطان ساحر، الكذب كان له طبع، ولعله كذب ليخفف عني، وعليه تكون لينا ما هي إلا أنسية مسكينة علق بها قدرها بيننا نحن أنصاف الشياطين.

ولكنه دومًا كان شفيقًا بي والشياطين لا تعرف الشفقة.

هززت رأسي لأنفض عنها ذرات عالقة بي من بقايا ضمير كان حيًّا وأنا أتناول كأس الشمبانيا الفاخر محتفلًا بسقوط بغداد بين المحتفلين، وتذكرت نصير الدين الطوسي الخائن فهمست لنفسي كي أصمتها.

لا بل داوود صادق، ولينا هي بالفعل أخت لنا كانت تؤدي مهمتها التي كُلفت به وأتمتها على أكمل وجه، مثلما قال داوود ملاكي الحارس.

فهرس

تنويه مهم	٧
الطريق إلى العصر الجديد	٩
رائيل وشركاؤه	٢١
ساعة أرودز	٤١
توءم الروح	٤٧
الديميروج واللوجوس	٦٧
الحلم	٩٠
الشباب الستة	١٠١
الجد المبارك	١١٩
الكونداليني والشاكرات السبع	١٣١
رحلة عبر الماضي	١٣٨
عشر سنوات من التكليف المقدس	١٥٦
خطبة الدجال	١٦٩

أعمدة الحكمة السبع	١٧٤
وشم لينا	١٧٩
نجران	١٨٧
الإنجاب العذري	٢٠٥
١١ سبتمبر	٢١٣
مفاجأة غير سعيدة	٢٢٠
المجنونة	٢٢٥
العلقمي والطوسي	٢٣٣
شيطان أم ملاك؟	٢٤٦

كاريزما
للنشر والتوزيع